كيف يواجه الإسلام غربته
في صدور المؤمنين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
٢٠١١ م

اسم الكتاب: موسوعة قراءة عصرية للأحاديث النبوية جـ١
اسم المؤلف: خديجة النبراوي
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١١/١٠٢٣٧

تحذير:
جميع الحقوق محفوظة لدار العواصم وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إليكترونية أو نقله بأي وسيلة أخرى أو تصويره أو تسجيله على أي نحو بدون أخذ موافقة مسبقة من الناشر أو المؤلف.



دار العواصم للنشر والتوزيع
حي السفارات - مدينة نصر القاهرة - مصر
هاتف: ٢٢٧٥٦١٣٢ فاكس: ٢٢٧٢٠٦٩٠ موبايل: ٠١١١٩٥٣٦٦٣
URL: http://www.Elawassem.com
Email: Elawassem@hotmail.com

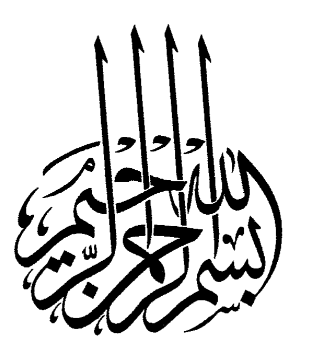
موسوعة قراءة عصرية للأحاديث النبوية
من وحى الآيات القرآنية



كيف يواجه الإسلام غربته
في صدور المؤمنين

إعداد

خديجة النبراوي



شـرح موجـز للهـدف من « موسوعـة قراءة عصرية للأحـاديث النبـوية من وحى الآيـات القـرآنيـة »

يهدف العمل إلى شرح الأحاديث الشريفة بروح العصر من وحي الآيات القرآنية حتى لا يجنح الشرح إلى الزيغ عن مصدر التشريع الأول وهو القرآن العظيم. وقد اعتمدنا في عملنا هذا على الاستقاء من الأحاديث الواردة في موسوعة « كنز العمال » والتي تتضمن حوالي ٤٦٠٠٠ حديث مبوبة تبويبًا موضوعيًا و ذلك لإثراء الفكر الإسلامي بتناول أكبر عدد ممكن من الأحاديث التي تعالج قضايا حياتنا في جميع المجالات.

اجتهدنا في بيان نبع تلك الأحاديث من الآيات القرآنية للرد على دعوى من ينادون بالاقتصار على القرآن الكريم ويسمون أنفسهم « القرآنيون »، ومنهاجنا في تلك الموسوعة يبين بالدليل القطعي أن القرآن والسنة توأمان لا ينفصلان، لأن السنة من نبع القرآن الكريم وهي المذكرة التفصيلية والخطوات التطبيقية لدستور القرآن العظيم.

قمنا بتخريج كل حديث والحكم على صحته والبعد عن الضعيف والمتكرر والمتشابه بقدر الإمكان، وذلك لدحض شبهات من يشككون في صحة الأحاديث النبوية ويتخذونها حجة للبعد عن المصدر الثاني للتشريع، ذلك المصدر الذي يبين ثراء الشريعة وصلاحيتها على مدار الزمان مهما توالت الأجيال.

جمعنا كل الأحاديث التي تتناول موضوعًا متكاملًا في كتاب مستقل، وذلك لتيسير مهمة الباحثين، ودفع حركة البحث العلمي في الموضوعات التي تتناولها تلك الموسوعة وتشمل الكتب التالية:

الكتاب الأول: « كيف يواجه الإسلام غربته في صدور المؤمنين »

الكتاب الثاني: « فلسفة الذكر والدعاء في الإسلام »

الكتاب الثالث: « في رحاب فضائل القرآن وعظمة معانيه »

الكتاب الرابع: « أصول علم الأخلاق الإسلامي »

الكتاب الخامس: « التخطيط الإسلامي للتنمية الاقتصادية »

هذا وأود الإشارة إلى أنه سبق لي تناول دراسة متكاملة للسنة الشريفة في موسوعة من خمس مجلدات تتضمن ١٤٨٠٠ حديث وتسمى « موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدي الخلفاء الراشدين » وقد حصلت على جائزة الدولة التشجيعية لهذا العام.. والله أدعو أن يسدد خطانا لخدمة السنة الشريفة بما يحقق الارتقاء الحضاري المطلوب للأمة الإسلامية والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

خديجة النبراوى

باحثة متفرغة - عضو اتحاد الكتاب

تقديم

أ. د. علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له أشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٢).

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء:١).

وقال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب:٧٠-٧١).

ثم أما بعد: فإن دراسة السنة النبوية من خير ما بذلت فيه الأوقات وأفنيت فيه الساعات وذلك لما للسنة النبوية من أهمية عظمى في بناء الإسلام فهي مصدر من مصادر التشريع مستقل بذاته؛ إذ أن كثيرًا من الأحكام الشرعية سواءً الأحكام المتعلقة بالعقائد أو المتعلقة بالأمور العملية لا يمكن معرفتها إلا عن طريق السنة النبوية. وهي أيضًا شارحة للقرآن ومبينة له وموضحة له كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (النحل:٤٤) ما هو الذكر هنا: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ ﴾ فالذكر هنا هو السنة، فالسنة ذكر. وقد استدل العلماء على حجية السنة بآيات من القرآن الكريم على اعتبار الحجية لها أمثال قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ (النساء:٦٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر: ٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣-٤).

كما استدلوا على حجيتها من السنة بقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي فيما رواه البخاري في صحيحه عن أبي موسى: « إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق ».

وفي البخاري أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا: يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ».

وروى ابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال: « يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله ».

هي محفوظة أيضًا، لكن الله -جل وعلا- حفظها بطريقة غير حفظ القرآن فقيد لها رجالا يذبون عنها الضعيف والموضوع والباطل وما لا أصل له.

فالسنة محفوظة بحفظ الله -جل وعلا- لها فهي شارحة للقرآن ومبينة له، وموضحة له ومبينة لمجمله، فإذا قرأت قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (البقرة:٤٣).

وكان الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- يمشي يوما من الأيام فوجد مجموعة من الطلاب يتدارسون حديث رسول الله ﷺ فقال: إني لأحسب هؤلاء من الذين قال النبي ﷺ فيهم: « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله ».

وقد قيد الله -جل وعلا- لهذه الأمة من يحفظ سنة نبيها ﷺ فجمعوا الأحاديث وبوبوها.

ولكننا في العصر الحديث غابت المسميات الحديثة وجهل الناس أن الحديث النبوي هو من مشكاة النبوة وأنه توأم القرآن، وأن فيه ما يعالج جميع مشكلات العصر الحالي، وجميع العصور المختلفة، وقد جاءت موسوعتنا هذه لتضع الإسلام على قمة الحياة وتوضح بالدليل القاطع أنه دين كل العصور في العقيدة والشريعة وحقوق الإنسان والسياسة وجميع المجالات.

فكل ما يخطر بالبال وضع الإسلام له الحلول، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عالمية هذا الدين. ولذا فإن مثل هذه الأعمال هي التي تساهم في توضيح صورة الإسلام المجهولة لكثير من المسلمين وليس غير المسلمين فقط. والله أسأل أن يتقبل هذا العمل من مؤلفته، وأن يجزيها عليه خير الجزاء إنه نعم المولى ونعم المعين.

أ. د. علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

تقديم

أ. د. حسن عباس زكي

وزير الاقتصاد الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمين – والصلاة والسلام على رحمة الله إلى العالمين، وعلى إخوانه وآله وأصحابه والتابعين. أما بعد:

فلقد بعث الله سبحانه وتعالى محمداً على فترة من الرسل، وأنزل عليه القرآن الكريم، فختم الله تعالى به الرسل، وختم برسالته الرسالات، وختم بكتابه الكتب، وجعله مصدقاً لما بين يديه منها ومهيمناً عليها. وقد جاء القرآن المجيد مشتملاً على الدين كله، بعضه مفصل والكثير منه مجمل. وقد وكل الله تعالى تبيين الكتاب المجيد، وتفصيله إلى رسوله محمد، ومن ثم، جاءت سنة رسول الله مبينة لما أبهم ومفصلة لما أجمل. يقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٤٤)

إن القرآن الكريم بحكم نشأته التى تعلو على نواميس الطبيعة هو كتاب المسلمين المقدس، ولهذا يحفظه الكثيرون عن ظهر قلب، وعلى أساس من الدراسة العميقة الواعية للقرآن الكريم قامت العلوم الإسلامية المختلفة التى نمت على مر القرون وبخاصة علم تفسير القرآن بمدارسه الكثيرة. ونشأ عن الاشتغال بلغة القرآن علم النحو العربى وعلم البلاغة وغيرها من علوم العربية. وأدت أحكام الشريعة الواردة فى القرآن إلى نشأة علوم الشريعة الإسلامية ومدارس الفقه الإسلامى المختلفة القرآن الكريم يعد مصدر الكثير من المذاهب الفلسفية والصوفية الإسلامية، ومن الملاحظ أن المحاولات العديدة المتجددة لتفسير القرآن تحتل مركزا بارزا محوريا بين كل ما يبذل من جهود ومازالت اتجاهات جديدة فى تفسير القرآن تظهر حتى الآن. والقرآن الكريم يبين لنا أن الرسول الكريم ﷺ هو قدوة المسلمين جميعاً كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١). كما أن السنة النبوية تعد بمثابة شرح للقرآن الكريم ويستند

ذلك إلى ما جاء فى سورة « النحل » ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٤٤). ولهذا أجمعت الأحاديث النبوية التى تمثل أقوال النبى ﷺ وأفعاله وتقريراته فى كتب تناقلتها الأجيال جيلا بعد جيل ومن بين كتب الأحاديث الجامعة التى خضع كل حديث فيها إلى فحص دقيق للتأكد من صحته صحيحا البخارى ومسلم اللذان نشآ فى القرن التاسع الميلادي. يبرز النبى ﷺ أهمية السنة بوصفها بياناً لما فى القرآن بقوله « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنتي » تلقى الرسول ﷺ أول وحى حمله إليه جبريل عليه السلام عام ١٣ قبل الهجرة - ٢١٠ ميلادية، وكان فى الأربعين من عمره وتوالى نزول الوحى على مدى ما يزيد على عشرين عاماً وقد أراد الله بإنزال الوحى على نبيه منجما أو مقسما أن يثبت على هذا النحو فؤاده، ويمده بأسباب القوة على أداء رسالته ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ (الفرقان:٣٢). ويؤكد القرآن للجميع أن هذا الوحى الذى جاء به محمد ﷺ هو الحق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء:١٧٠). ولقد أوحى إلى النبى ﷺ ما أوحى إلى النبيين من قبله من عقائد إيمانية تتمثل فى أن الله واحد، وأنه الخالق، وأنه رب العالمين، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (الشورى:٢٥)، وهو الذى يشمل برحمته المؤمنين الذين يتجهون إليه بقلوب يعمرها الإيمان، وهو الذى يعاقب الظالمين على ظلمهم.

وقد أنزل الله القرآن الكريم ليكون هدى ورحمة للمؤمنين قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل:٢٤).

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل:٨٩).

ويبين القرآن للناس أن من يسعى فى غير كلل أو ملل من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل يجد طريقه إلى الله الذى يشمله بفيض رحمته ولما كان الكتاب المجيد بحاجة إلى السنة تبينه وتفصله، فقد كانت السنة من وحي الله -تعالى- إلى نبيه - حتى يكون المبيِّن والمبيَّن

من مصدر واحد، وعلى مستوى واحد، وحاشا الله -تعالى- أن ينزل الكتاب وحيا، ثم يترك بيان مافيه لبشر بعيداً عن الوحي.

فإن المبيِّن له نفس أهمية المبيَّن من حيث هو وسيلة الانتفاع به، وسبيل العمل بمقتضاه، من ذلك كان القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة يصدران من مشكاة واحدة، مشكاة الوحي الإلهي المعصوم. يقول الله -عز وجل- عن رسوله-: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم:٣-٤) ومنذ جاءت الرسالة الخاتمة وأعداء الله لها بالمرصاد. وقد اتخذت العداوة لله ورسوله ولدينه صورا مختلفة، وتلبست أشكالاً عديدة. ونحن نستطيع أن نجمل هذه الصور والأشكال في نوعين اثنين. الأول؛ أعداء للإسلام أعلنوا عداءهم في وضوح، ونابذوا المسلمين في جلاء. من أمثال الصليبيين والشيوعيين والعلمانيين وأصناف الملاحدة بعامة، الذين أعلنوا عن إلحادهم، وهـؤلاء ضررهم قليل، وخطرهم معروف، لأن عداءهم معلن، وكفرهم سافر، فالمسـلمون منهم على حذر، ومن كيدهم ومكرهم على ترقب وتوجس. أما النوع الثاني؛ فهم المنافقون الذين يظهرون غير ما يبطنون، يتدثرون بعباءة الإسلام، ويصطنعون الحرص عليه، والدعوة إليه والعمل على وحدة الأمة، وبينما يعلنون ذلك يسعون إلى تحقيق أغراضهم الخبيثة من القضاء على الإسلام عن طريق التشكيك في مصادره الموحى بها من عند الله -عز وجل -وبخاصة السنة النبوية المطهرة. وذلك بإثارة الشبهات ضد سنة رسول الله، والزعم بأنها ليست من الدين، ولاصلة لها بالتشريع الإسلامي، ويزعمون أن القرآن هو المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية. وهذه الدعوى قديمة، والعداء لرسول الله - ولسنته موروث.

لكن الجديد هو هذه الفئة من أعداء الله ورسوله والمسلمين، منكري سنة رسول الله التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين الميلادي في بلاد الهند، ثم انتقلت إلى باكستان بعد استقلالها عن الهند، وما تزال. وأعجب أمر هؤلاء أنهم يُنْسَبون إلى القرآن المجيد، فهم يحبون أن يسموا أنفسهم « القرآنيون » نسبة إلى القرآن كتاب الله المجيد ظلماً وزورا.

وقد اختاروا هذه النسبة إيهاماً للناس بأنهم ملتزمون بكتاب الله القرآن. هذا من جانب ومن جانب آخر يشيرون من طرف خفي إلى أن غيرهم من المسلمين الذين يؤمنون

بسنة رسول الله ويعملون بها ليسوا قرآنيين، وأنهم اشتغلوا بالسنة وتركوا القرآن، -وأيضاً- حتى يجنبوا أنفسهم المؤاخذة، ويقطعوا سبل الاعتراض عليهم، لأنه من ذا الذي يعترض على طائفة أعلنت أنها تنتسب إلى القرآن وتتمسك به ؟. وليس من المستغرب وجود مثل هذه الطائفة، فأعداء الإسلام كُثُر، ومنكرو السنة مضت بهم القرون جيلاً بعد جيل، وقد أخبر عنهم رسول الله -فعن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله - قال « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا وإن ماحرم رسول الله مثل ماحرم الله ».

لكن الغريب من هؤلاء هي تلك الشبهات التي أثاروها ضد سنة رسول الله، والتي يزعمون أنها أدلة على أن السنة ليست من الدين، ولا الدين منها وقد ملأوا بها مؤلفاتهم -وهي في جملتها أوردية-. وندواتهم ومناظراتهم مع الآخرين.

ومن أجل ذلك كان لابد من وجود أعمال توضح أن السنة النبوية هي دوحة ربانية فيها كل ما يحتاجه المسلم في حياته، وقد أخذت الأخت الفاضلة الأستاذة خديجة النبراوي على عاتقها حمل إبراز السنة النبوية في صورة عصرية توضح للقريب والبعيد أن الدين الإسلامي بقرآنه وسنته دين خاتم يصلح لكل زمان ومكان ويكال له من اتهامات هي محض افتراء وتجني، وهذه الموسوعة الجديدة ترد بها لا يدع مجالا للشك على تلك التهم التي يتهمنا بها الغير.

وإني إذ أقد لهذا العمل الموسوعي الضخم لا يسعني إلا أن أشكر مؤلفته على رؤيتها الثاقبة واتساع أفقها ومداركها في تقديمها لهذا العمل الكبير، وأرجو من الواحد الأحد أن يكون هذا العمل ثمرة من ثمار الجنة تمسك به في يدها يوم القيامة،ونسأل الله -سبحانه- التوفيق والسداد والمعونة والاحتساب، إنه -سبحانه- ولي ذلك والقادر عليه.

أ د / حسن عباس زكي

وزير الاقتصاد الأسبق

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

تقديم

أ د / عبد الحميد مدكور

رئيس قسم الفلسفة الإسلامية وعضو مجمع اللغة العربية

الإسلام دين الله الخاتم، وقد أرسل الله به خاتم أنبيائه ورسله محمدًا ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، وقال في تعريف الخلق به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٥٧).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء:١٧٤). وقال: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة:١٦).

وقد كان من أهم خصائص هذا الإسلام: أنه دين يتصف بالعموم والشمول؛ فهو ليس خاصًّا بقوم دون قوم، ولا بأمة دون أمة، ولا بزمن دون زمن، ولا بمكان دون مكان؛ بل هو شامل للزمان والمكان ومن يصح تكليفهم من الخلائق، منذ مبعثه ﷺ إلى آخر الزمان.

ثم هو في مضمون دعوته وهو جامع ـ في هديه لما يتعلق بالفرد و المجتمع والأمة و الدولة ولأمور الدين والدنيا وهو يتضمن العقيدة والشريعة و العبارات والأخلاق و المعاملات ويحيط بأصول النظم التي تحتاج إليها المجتمعات.

وقد جاء الإسلام – في بعض هذه الموضوعات – بأحكام مفصلة أحيانًا، كما هو الشأن في أصول العقيدة وكثير من أحكام الشريعة كالعبارات والمواريث ونحوها وجاء في بعضها الآخر بأصول وقواعد كلية ضابطة يمكن الاجتهاد علي ضوئها فيما لم يذكر الشرع حكمة تفصيلا وقد فهم المسلمون من قديم انه إذا جاءت الأحكام على وجه الإجمال أو لم يأت في بعض المسائل بذاتها نص فان على العلماء المستجمعين لشروط الاجتهاد أن يجتهدوا لمعرفة حكم الله في هذه المسائل مستندين إلى ما تقرر في الشريعة من الأصول العامة والقواعد الكلية

غير غافلين عما دعت إليه الشريعة من جلب للمصالح ودرر للمفاسد ورفع للحرج والمشقة وتحقيق من جلب للمصالح، ودرء للمفاسد، ورفع للحرج والمشقة، وتحقيق لليسر والرحمة، ورعاية للصالح من الأعراف، وتقدير لظروف الزمان والمكان، وفهم للضرورات، وتقديرها بقدرها، مستظلين – في هذا كله – بظل الشريعة التي هي حق كلها، وعدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها. وأنهم إن فعلوا ذلك، واستنفذوا جهدهم فيه؛ فلن تنذَّ عنهم مسألة دون حكم، ولن تستعصي واقعة أو نازلة على الانضواء تحت أصل من أصول الشريعة نصًّا، أو استنباطا من نص، أو قياساً على نص، أو دخولاً تحت الإجماع، أو اتساقًا مع المقاصد العامة للشريعة، وبهذا استقر في ضمير المسلمين عامتهم وخاصتهم: أن الشريعة قد تضمنت كل شيء؛ بدلالة الآيات القرآنية التي نصت على ذلك صراحة من مثل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف:١١١).

وقوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل:٨٩).

وقد عبر الإمام محمد بن أدريس الشافعي (٢٠٤ هـ) رحمه الله عن هذا المعنى تعبيرًا دقيقًا عندما قال: « فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبي الهدى فيها »[1].

وكذلك فعل الإمام أبو عبد الله القرطبي (٦٧١ هـ) في تفسير لقوله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام:٣٨) فالكتاب إما اللوح المحفوظ أو القران الكريم، فإن كان المراد به القران فالمعنى: ما تركنا شيئا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القران. إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقي بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب. فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره

---

(١) الرسالة، للأمام الشافعي، بتحقيق وشرح العلامة الشيخ أحمد شاكر، طبع دار التراث، ط ٢ / ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م ص ٢٠، وقد فصل الأمام الشافعي بعد درجات هذا البيان وأنواعه ص ٢١ وما بعدها.

إما تفصيلا، وإما تأصيلا وكان هذا الأمر موضع الرضا والتسليم بل موضع الفخر بالانتماء لهذه الشريعة الكاملة الجامعة.

واستمر ذلك إلى نحو قرنين من الزمان؛ منذ الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت على مصر(١٧٩٨ - ١٨٠١ م)؛ عندما بدأ الاتصال بالحضارة الغربية، التي جاءت إلى الشرق الإسلامي غازية مستعمرة حاملة معها مشروعها الحضاري القائم على الفصل بين الدين والدولة، والعمل على أن ينحصر الدين - إذا سمح له بالوجود - في جانب العبادات، أو في نطاق الشعائر الروحية الفردية دون أن يكون له ولاية، أو تأثير في شئون الحياة والمجتمع والقوانين والثقافة والتربية والفنون ونحوها، وشهد الناس بسبب ذلك ثنائية في التعليم أدت إلى عزل المتعلمين في مؤسسات التعليم المدنية عن معرفة ما جاء في الشريعة عن شئون الحياة المختلفة التي أريد إقصاء الشريعة عنها، وخرج إلى ساحات الوظائف والإدارة والتشريع وغيرها من لا دراية لهم بكثير مما تضمنته الشريعة وعلومها، وما سبق إليه رجالها من آراء ونظريات واجتهادات في هذه الجوانب المختلفة، وسبق إلى الوهم لأسباب كثيرة: أن الشريعة لا عناية لها بها، وأنها لا تمثل ركنًا من أركانها وقسمًا من أقسامها. وتطلب الأمر إيضاحا وبيانًا لإعادة الأمر إلى نصابه، وللبرهنة على أن الإقرار بكمال الشريعة وعمومها لا ينال من قدرة العقل الإنساني على الفهم والاجتهاد؛ بل إنه لا يحول دون اجتهاد العقل في مجال الأحكام الشرعية ذاتها فهو يجتهد في فهمها، تمهيدا لتطبيقها على الوقائع المستجدة، أو يجتهد في استنباط الأحكام الجزئية من الأحكام الكلية التي وردت في الشريعة، ثم يجتهد اجتهادا أكثر طلاقة في منطقة العفو التي تركها الشرع للاجتهاد؛ رحمة وعفوا من الله تعالى، كما يدل على ذلك حديث أبي الدرداء، الذي يرفعه إلى رسول الله ﷺ « ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن ينسى شيئا »، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (مريم:٦٤)[1] وبهذا كله ينطلق العقل إلى مزيد من الفهم والصواب والحكمة في ظل شريعة تجعل الاجتهاد في طلب الحق عبادة، وتجعل الثواب مضمونا لصاحبها، حتى وإن وقع في خطأ غير متعمد ولا مقصود،

(١) تفسير ابن كثير طبعة الشعب ٥/ ٢٤٥، وانظر كذلك تفسير ابن كثير في تفسيره للآية ١٠١ من المائدة ٣/ ٢٠٢، وكذا تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١٩٧٣ مجلد ٧/ ١٢٤، ١٦٧، ١٦٨.

كما يدل عليه قول الرسول ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد»[1] وبذلك يجتمع للمسلم بذلك نور الإيمان ونور العقل، فيكون له بذلك نوران: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ (النور: ٣٥).

وبناء على ذلك يمكن النظر إلى كل عمل يسعى إلى ردم هذه الهوة الثقافية التي يشعر بها كثير من أهل التخصص في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بل والعلوم الطبيعية الكونية والرياضية، لخلو المناهج التي تلقاها هؤلاء من الاتصال بما جاء في الشريعة ومصادرها المحفوظة: كتاب وسنة - من الهدي الإلهي النبوي المتصل بهذه العلوم، فكل كتاب يتوجه هذه الوجهة النبيلة فهو عمل مشكور، وهو يستحق التقدير من كل حريص على توثيق صلة الناس بكتاب ربهم ن وسنة نبيهم، ونور شريعتهم، وينطبق ذلك على كل سعي في هذا الصدد، بحثًا أو موسوعة أو محاضرة أو دعوة أو تحقيقا، وهو ينطبق - بدرجة كبيرة - على هذا البحث الذي بين أيدينا فهو بمثابة موسوعة كبيرة، تبدأ بالعقائد، وفي صدارتها عقيدة التوحيد، وعقيدة الإيمان بالنبوة، وبخاصة نبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وعقيدة القضاء والقدر، وتنتهي بجزء كبير عن الأخلاق المحمودة والمذمومة، فردية وأسرية واجتماعية، مما يتصل منها بشئون الدين أو بشئون الدنيا، ويأتي ما بين العقائد والأخلاق أبواب كثيرة عن الذكر والاستغفار والاستعاذة والدعاء، والصلاة على النبي ﷺ، مع بيان الآداب الشرعية في هذه الأمور كلها، ثم أبواب عن القرآن ومكانته وفضله، وما جاء في الحديث الشريف عن فضائل بعض سوره، وتفسير بعض آياته، وقد استُمِدَّت - وهو كتاب جامع في الأحاديث النبوية الشريفة -

ولكنها خضعت للتبويب والتصنيف، والتمهيد لها بمقدمات ميسرة، وخضعت الأحاديث المنتقاة - على الجملة - للتوثيق والتخريج من مصادر الحديث المعتمدة، وفي هذا كله جهد واضح مشكور، وهو مؤسس على رغبة صادقة في تقريب الحديث النبوي إلى الناس، وتعريفهم بما فيه من الكنوز الثمينة التي يصلح بها أمي الدين والدنيا، واختيار بعض الأحاديث التي تعين على ترقيق القلوب، وتهذيب النفوس، واستنارة العقول، وشرح الصدور، وإيقاظ

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري. انظر صحيح البخاري، طبعة إستانبول ١٩٨١، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٨/ ١٥٧، وصحيح مسلم بشرح النووي، طبعة الشعب، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٤/ ٣١٠.

فضائل الثقة بالله تعالى، والتوكل عليه، والرضا بقدره وحكمه، وإضاءة الخواطر بنور اليقين وإشاعة أنوار الشريعة السمحة المعصومة في جنبات الحياة، وهذا كله مما يُرجى أن يكون في ميزان الحسنات وأن ترفع به الدرجات إن شاء الله.

وقد أخذت الكاتبة – حفظها الله تعالى، وأدام عليها نعمة التوفيق – على نفسها، – كما صرحت في المقدمة – أن تقتصر فيما تسوقه من الأحاديث الشريفة على الأحاديث الصحاح والحسان، وهذا منهج سديد، حتى فيما كان في فضائل الأعمال، لأن في الصحيح وما يقاربه غنى وسعة، ولا حاجة بالناس إلى الضعيف بأنواعه ودرجاته، ولعل ذلك يكون قد تحقق للعمل على النحو المرجو والمأمول، إن شاء الله تعالى، ولعلها كذلك قد عنيت بتوثيق القوال، وذكر المصادر لما اقتبسته من النصوص.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أتوجه إلى الله العلي القدير أن يجزل لها المثوبة، وأن يعظم لها الأجر، وأن يمنحها المزيد من الجلد والصبر والوقت لخدمة السنة النبوية، وأن يتقبل عمله في الصالحين وألا يحرم من الأجر كل من أبدى نصحا أو بذل جهدا في تيسير الانتفاع بهذا الكتاب، إنه سميع وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

أ.د/ عبد الحميد عبد المنعم مدكور

رئيس قسم الفلسفة – كلية دار العلوم جامعة القاهرة

وعضو مجمع اللغة العربية

استئذان ومناجاة للحبيب المصطفى ﷺ

إن القلب ليخشع، وإن العين لتدمع، وأنا أقف على أعتاب صاحب السنة الشريفة التي تتلألأ أنوارها عبر الزمان، ويسخر الله لخدمتها أولي العزم والبصيرة من الرجال، فتسري تلك الأنوار بين الأكوان تبدد ظلمات الجاهلية التي أشقت الإنسانية، وتبعث في النفوس الشوق والحنين إلى مبادئ المبعوث رحمة للعالمين، فالرهبة نابعة من ثقل الأمانة التي أتعرض لحملها، وكيف لا وهي أمانة يهاب من حملها السماوات والأرض والجبال.. والرغبة تنبع من ذلك الحب الذي يعتلج به قلبي حيث يمدني بطاقات نورانية تدفعني دفعا لخوض هذا الميدان الشريف مستعذبة كل الصعاب.

فيا سيدي يارسول الله خذ بيدي ... مالي سواك ولا ألوي على أحد
فأنت نور الهدى فى كل كائنة ... وأنت سر الندى ياخير معتمد
وأنت حقا ضياء الخلق أجمعه ... وأنت هادي الورى للحق والرشد

إنني أقف على أعتابك يا سيدي يا رسول الله، طالبة الإذن لي بأن أضيف لبنة من لبنات ذلك البناء الفخيم في رحاب سنتك الشريفة، داعية المولى عزَّ وجلَّ أن يرتفع ذلك البنيان ليكون منارة للعالمين تخرج البشرية من ظلمات الجهالة العمياء، وتحررها من الشهوات والأهواء، وتحقق الحضارة والتقدم للمسلمين وللإنسانية أجمعين.

سيدي رسول الله: لو أعلم أن هذا الإذن يتطلب قطع المسافات لقضيت العمر كله لهثًا وراء مطلبي هذا، ولعبرت الفيافي والصحارى والبحار والمحيطات وواجهت كل الصعاب.. ولكنك يا سيدي جعلك المولى عزَّ وجلَّ الرحمة المهداة، ويكفيك منا ما هو أهون من ذلك بكثير، إنها مجالات القلوب والنفوس.. وهاهو قلبي يعمر بإخلاص النية وكلية التوجه النابعة من صدق المحبة، داعية المولى سبحانه وتعالى أن يوفقني إلى ما يحبه ويرضاه، ويمدني بمدد رسوله الحبيب ﷺ، إنه بالإجابة قدير وهو نعم المولى ونعم النصير.

اللّهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره، والرحمة للعالمين ظهوره، اللهم وأطلق لساني بإبلاغ الصلاة عليه والتسليم، واملأ جناني من حبه وتوفية حقه العظيم، واستعمل أركاني بأوامره ونواهيه، في النهار الواضح والليل البهيم، وارزقني من ذلك ما يبوئني جنات النعيم، ويشعرني يارب رحماك وفضلك العظيم، ويقربني إليك زلفى في ظل عرشك الكريم.

أهمية السنة ومكانتها

إن السنة هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم وهي المذكرة التفصيلية للدستور الأساسي للقرآن العظيم وهي تفسير تطبيقي للذكر الحكيم، وهي تمثل مع القرآن الجناحين الذين تحلق بهما الشريعة الإسلامية إلى آفاق عالية وهذا ما أكده رسول الله ﷺ بقوله عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: « يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي »[(١)].

ويحذر رسول الله ﷺ من الفصل بين القرآن والسنة، وكأنه يستشف من حجب الغيب تلك الدعاوى الباطلة بالاقتصار على كتاب الله فيقول صلوات ربي وسلامه عليه: « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله »[(٢)].

- وعن محمد بن عيسى حدثنا أشعث بن شعبة حدثنا أرطاة بن المنذر قال: سمعت حكيم بن عمير أبا الأحوص يحدث عن العرباض بن سارية السلمي قال: نزلنا مع النبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه وكان صاحب خيبر رجلا ماردا منكرا فأقبل إلى النبي ﷺ

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ (٣٧٨٦) عن نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحسن هو الأنماطي عن جعفر بن محمد عن أبيه:.. به، وقال: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد قال وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه قال وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في العلم، باب ما نهي عنه أن يقال ثم حديث النبي ﷺ (٢٦٦٤) عن محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن الحسن بن جابر اللخمي عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله ﷺ :.. به، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. باب ما نهي عنه أن يقال ثم حديث النبي ﷺ . وهذا الحديث هو الحديث رقم ٨٧٧ من كنز العمال.

فقال: يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا فغضب يعني النبي ﷺ وقال: يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن وأن اجتمعوا للصلاة قال: فاجتمعوا ثم صلى بهم النبي ﷺ ثم قام فقال: « أيحسب أحدكم متكئا على أريكته أن الله تعالى لم يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن، ألا وإني والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء، إنها كمثل القرآن أو أكثر وإن الله تعالى لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم »[1].

وهكذا فإن المكائد التي تحيط بالمسلمين للبعد عن السنة الشريفة، إنما تهدف إلى تقويض أركان الدين، لأن السنة النبوية هي البرهان الناطق والمنهاج العملي لكل ما جاء به، القرآن الكريم.. ولا غرو في ذلك فهي كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وهو بحق الرسول الأمين الذي بلغ عن رب العالمين، ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد في الله حق جهاده، ليتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. و قد جعل الله سبحانه و تعالى دليل محبة المؤمنين له هو اتباع سنة الرسول المباركة: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١).

و يقول الإمام النورسي تفسيرًا لقول الحق عزَّ وجلَّ: إن محبة الله تستلزم اتباع السنة الطاهرة لمحمد ﷺ ، لأن حب الله هو العمل بمرضاته، وإن مرضاته تتجلى بأفضل صورها في ذات محمد ﷺ . والتشبه بذاته المباركة في الحركات والأفعال يأتي من جهتين:

إحداهما: جهة حب الله سبحانه وإطاعة أوامره، والحركة ضمن دائرة مرضاته، هذه الجهة تقتضي ذلك الاتباع، حيث أن أكمل إمام وأمثل قدوة في هذا الأمر هو محمد ﷺ .

وثانيتهما: جهة « ذاته المباركة » ﷺ التي هي أسمى وسيلة للإحسان الإلهي غير المحدود للبشرية، فهي إذًا أهل لمحبة غير محدودة لأجل الله وفي سبيله.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات (٣٠٥٠).. به. قال المناوي في فيض القدير (٣/ ١٦٤): أيحسب: الهمزة للإنكار أحدكم: فيه حذف تقديره أيظن أحدكم إذا كان يبلغه الحديث عني حال كونه، متكئا على أريكته: أي سريره أو فراشه أو منصته وكل ما يتكؤ عليه فهو أريكة. قال البغوي أراد بهذه الصفة أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت وقعدوا عن طلب العلم، أن الله تعالى لم يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن هذا من تتمة مقولة ذلك الإنسان أي قد يظن بقوله بيننا وبينكم كتاب الله أن الله لم يحرم إلا ما في القرآن. وهذا الحديث هو الحديث رقم ٨٨١ من كنز العمال.

والإنسان يرغب فطرة في التشبه بالمحبوب ما أمكن، لذا فالذين يسعون في سبيل حب «حبيب الله» عليهم أن يبذلوا جهدهم للتشبه به باتباع سنته الشريفة.

إن السنة التشريعية للرسول ﷺ لها ثلاثة منابع هى: أقواله، وأفعاله، وأحواله.

وهذه الأقسام الثلاثة هي كذلك ثلاثة أقسام: الفرائض، النوافل، عاداته ﷺ.

ففي قسم الفرائض والواجب، لا مناص من الاتباع، والمؤمن مطالب على هذا الاتباع بحكم إيمانه. والجميع بلا استثناء مكلفون بأداء الفرض والواجب، ويترتب على إهماله أو تركه عذاب وعقاب.

وفي قسم النوافل، فأهل الإيمان هم مكلفون به أيضا حسب الأمر الاستحبابي، ولكن ليس في ترك النوافل عذاب ولا عقاب غير أن القيام بها واتباعها فيه أجر عظيم، وتغيير النوافل وتبديلها بدعة وضلالة وخطأ كبير.

أما عادته ﷺ وحركاته وسكناته السامية، فمن الأفضل والمستحسن جدًا تقليدها واتباعها حكمة ومصلحة سواء في الحياة الشخصية أو النوعية أو الاجتماعية، لأن هناك في كل حركة من حركاته الاعتيادية منافع حياتية كثيرة جدًا فضلا عن أنها بالمتابعة تصير تلك الآداب والعادات بحكم العبادة.

نعم، ما دام ـ عليه الصلاة والسلام ـ متصفا بأسمى مراتب محاسن الأخلاق، باتفاق الأولياء والأعداء. وأنه ﷺ هو المصطفى المختار من بين بني البشر، وهو أشهر شخصية فيهم باتفاق الجميع.. ومادام هو أكمل إنسان، بل أكمل قدوة ومرشد بدلالة آلاف المعجزات، وبشهادة العالم الإسلامي الذي كوّنه ﷺ، وبكمالاته الشخصية بتصديق حقائق ما بلغه من القرآن الحكيم.. وما دام ملايين من أهل الكمال قد سموا في مراتب الكمالات، وترقوا فيها بثمرات اتباعه فوصلوا إلى سعادة الدارين... فلابد أن سنة هذا النبي الكريم ﷺ وحركاته هي أفضل نموذج للاقتداء وأكمل مرشد للاتباع والسلوك و أحكم دستور، وأعظم قانون، يتخذه المسلم أساسًا في تنظيم حياته.

فالسعيد المحظوظ هو من له أوفر نصيب من هذا الاتباع للسنة الشريفة. ومن لم يتبع السنة فهو في خسران مبين إن كان متكاسلا عنها.. وفي جناية كبرى إن كان غير مكترث بها.. وفي ضلالة عظيمة إن كان منتقدًا لها يومئ التكذيب بها.

لقد وصف الله سبحانه وتعالى الرسول ﷺ في القرآن الحكيم بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤).

ووصفه الصحابة الكرام كما وصفته الصحابية الجليلة الصديقة عائشة رضي الله عنها قائلة فيما روي عن عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن بينها عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة فقلت أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: « **كان خلقه القرآن**»[1] أي: « أن محمدًا هو المثال النموذج لما بينه القرآن الكريم من محاسن الأخلاق، وهو أفضل من تمثلت فيه تلك المحاسن، بل إنه خلق فطرة على تلك المحاسن ». ففي الوقت الذي ينبغي أن يكون كل من أفعال هذا النبي العظيم ﷺ وأقواله وأحواله، وكل من حركاته نموذج اقتداء للبشرية، فما أتعس أولئك المؤمنين من أمته الذين غفلوا عن سنته ﷺ ممن لا يبالون بها أو يريدون تغييرها فما أتعسهم وما أشقاهم ! (ا. هـ)[2]

ونحن نضيف إلى كلام الإمام النورسي رضي الله عنه أن التعاسة والشقاء بالبعد عن السنة العصماء، لا تحيط بالأفراد فقط بل تحيط بالأمم والشعوب الإسلامية لأن تلك الأمم هي انعكاسات لتصرفات الأفراد وسلوكياتهم.

الهدف من الدراسة

إن الهدف من تلك الدراسة ينبع من أهمية السنة ومكانتها التشريعية، وضرورة أن تأخذ مكانتها اللائقة بها سواء في وجدان المسلمين أو في التطبيق العملي في حياتهم، بحيث تصبح الأحاديث الشريفة جزءا من نسيج نفوسهم وفكر سلوكهم وضابط سلوكهم مما يحقق الأسس الفكرية الثابتة لتحقيق الوحدة الثقافية للأمة الإسلامية، وهذا ما دفعني بصدق اليقين إلى خوض بحار السنة الشريفة رغم صعوبتها تحفزني الأهداف التالية:

أولاً: معايشة السنة النبوية بأسلوب العصر، فنحن نحتاج إلى الإحساس الوجدانى والفكرى بنهج السنة العظيم، حتى نتفاعل معها قلبا وروحا. فليس الهدف فقط التأكد من صحة الحديث، بل يضاف إلى ذلك الهدف هدف آخر لا يقل عنه فى النبل والسمو وهو فهم أعماق السنة الشريفة ودوافعها، بما يحقق الخير للمجتمعات الإسلامية والإنسانية بأسرها.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٦٣).. به.

(٢) كليات رسائل النور. بديع الزمان سعيد النورسى، اللمعات -اللمعة الحادية عشر بتصرف من صـ٨٤-٩٦

ثانيًا: تحقيق مبدأ تلاحق الأفكار الذي ينادي به أئمتنا العظام حيث خدم السنة جهابذة أفذاذ وعلماء عمالقة، أصحاب طاقات ضخمة، أوقفوا حياتهم على طلب السنة والرحلة من أجل جمعها وتحقيقها، في منهج استقرائي عجيب لم يعرفه الغرب إلا حديثا. ومن الوفاء الإيماني أن نستكمل جهودهم على طريق خدمة السنة النبوية ونشرحها بلغة العصر بما يحقق الفهم الكامل للسنة الشريفة، ويحقق كذلك التفاعل الوجداني بها، وهذه خطوة ضرورية على الطريق لتستعيد السنة مكانتها كدستور للمسلمين ومصدر أساسي للتشريع.

ثالثًا: تحقيق الدراسة الشمولية للأحاديث، لأن الملخصات لا تتيح للباحثين الرؤية المتكاملة التي يهدف إليها الرسول ﷺ في تشييد الأمة على دعائم ثابتة وعظيمة من التكامل والمرونة في مواجهة تغيرات النفوس والعصور. فمن يدعي أن السنة فيها تناقض، فهذا موقف أو رأي ناتج عن قصور النظر في الحكم نتيجة عدم التعمق في الدراسة الشاملة. فأحاديث الرسول ﷺ في بعض المواضيع قد تكون كثيرة بما قد يعتبره البعض من المشابه والمكرر ولكن كل حديث قد يضيف لبنة تتمثل في كلمة، ولكنها هامة في تحقيق التكامل والمرونة في التشريع، بما يتفق مع عالمية الرسالة الإسلامية، وأنها خاتم الرسالات، فلابد أن تتضمن مواجهة جميع التغيرات.

إن دراسة تلك الموسوعات الضخمة للأحاديث الشريفة مع تخريجها وشرحها تعتبر خطوة على طريق وحدة الأمة الإسلامية لأن الاقتصار على حديث أو حديثين والتعصب لهما والاحتجاج بهما، ليس من صالح الأمة على الإطلاق.. بل يجب القيام بدراسة عامة متأنية تؤدي إلى فهم صحيح للسنة لا تتنازعه الآراء، فيهلك المسلمون تحت وطأة الخلافات، وهذا ليس حرمان للمسلمين فقط من نبع عذب فياض بين أيديهم، بل هو حرمان للإنسانية جمعاء من مبادئ السماء السمحة التي تحقق الرقي المعنوي والمادي لكل المجتمعات، وتجعلها تعيش في سكينة تحميها من صراعات الأهواء وسيطرة الأقوياء.

أصول في فهم الأحاديث الشريفة

لكي تحقق الأهداف السابقة مرادها، نعرض فيما يلي أصولا تعين في فهم الأحاديث الشريفة، لأن الحبيب المصطفى ﷺ أوتي جوامع الكلم، ويحتاج المؤمن إلى بصيرة في فهم مراده فكلام الرسول ﷺ يظهر كماله (وليس عجزه) مع تطور الأزمان، حيث يكتشف أولي الفهم والبصائر مع تقدم العلوم مدى صدق أقواله وعظمة رسالته وتظل ملايين البشر على مر العصور تقول بكل اليقين: صدق رسول الله ﷺ .

ومن الأصول التي ذكرها الإمام النورسي رضي الله عنه، ويمكن الاستهداء بها في فهم أحاديث النبي ﷺ الخاصة بـ« علامات الساعة وأحداثها »، « وفضائل الأعمال وثوابها »، نذكر ما يلي:

١ – إن الدين امتحان واختبار، يميز الأرواح العالية من الأرواح السافلة، لذا يبحث في الحوادث التي سيشهدها الناس في المستقبل، بصيغة ليست مجهولة ومبهمة، إلى حد استعصاء فهمها، وليست واضحة وضوح البداهة، التي لا مناص من تصديقها، بل يعرضها عرضا منفتحا على العقول، لا يعجزها، ولا يسلب منها القدرة على الاختيار.

فلو ظهرت علامة من علامات الساعة، بوضوح كوضوح البديهيات، واضطر الناس إلى التصديق، لتساوى عندئذ استعداد فطري كالفحم في خساسته، مع استعداد فطري آخر كالألماس في نفاسته، ولضاع سر التكليف، وضاعت نتيجة الامتحان سدي.. فلأجل هذا ظهرت اختلافات كثيرة في مسائل عديدة، كمسائل المهدي والسفياني (الدجال) وصدرت أحكام متضاربة، لكثرة الاختلاف في الروايات.

٢ – يخفي الحكيم العليم في دار الامتحان أمورا مهمة جدا، وترتبط بهذا الإخفاء حكم كثيرة ومصالح شتى، فمثلا: قد أخفى (ليلة القدر) في شهر رمضان، و(ساعة الإجابة) في يوم الجمعة، و(أولياءه الصالحين) بين مجموع البشر، و(الأجل) في العمر، و(قيام الساعة) في عمر الدنيا.. وهكذا.

فلو كان أجل الإنسان معلوما، لقضى نصف عمره في غفلة تامة، ونصفه الآخر مرعوبا كمن يساق خطوة خطوة نحو حبل المشنقة، بينما تقتضي المحافظة على التوازن المطلوب بين الدنيا والآخرة بقاء الإنسان معلقا قلبه بين الرجاء والخوف.

نفهم من هذا أن القرب المذكور في الآية الكريمة (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) (القمر:١) لا يناقضه مرور ألف سنة ونيف، إذ الساعة أجل الدنيا، وما نسبة ألف سنة أو ألفين من السنين إلى عمر الدنيا، إلا كنسبة يوم أو يومين إلى سني العمر.

وكذلك تكرار الرسول ﷺ قوله « .. فانتظروا الساعة » نابع من هذه الحكمة « حكمة الإخفاء والإبهام » وهي إرشاد نبوي بليغ، وليس تعيينا لموعد الساعة بالوحي، حتى يُظن بعده عن الحقيقة، إذ الحكمة شيء يختلف عن العلة.. و بناء على ذلك فقد انتظر الناس منذ زمن بعيد، ظهور المهدي والدجال حتى قال بعض الأولياء بفوات وقتهم.

٣- الحكمة في عدم تعيين أوقات ظهورهم، هي الحكمة نفسها في عدم تعيين يوم القيامة، وتتلخص في: أن كل وقت وكل عصر، بحاجة إلى « معنى المهدي » الذي يكون أساسا للقوة المعنوية، وخلاصا من اليأس، فيلزم أن يكون لكل عصر نصيب من هذا المعنى. وكذلك يجب أن يكون الناس في كل عصر، متيقظين وحذرين من شخصيات شريرة، تكون على رأس النفاق وتقود تيارا عظيما من الشر. وذلك لئلا يرتخي عنان النفس بالتسيب وعدم المبالاة.

إن حصيلة قسم من المسائل الإيمانية: متوجهة إلى أمور تتعلق بهذا العالم الضيق المقيد، والقسم الآخر منها: يرنو إلى العالم الأخروي الواسع الطليق، و لذلك فقد ظن من لا يمعن النظر، أن بعضا من الأحاديث النبوية تحمل مبالغة. كلا إنها جميعا لعين الحق ومحض الحقيقة، وليست فيها مبالغة قط.

مثال: إن الذي يبلبل أذهان المتعسفين ويثيرها هو الحديث الآتي: « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء» .. [1]

---

(١) حديث صحيح غريب. أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما في في هوان الدنيا على الله عز وجل (٢٣٢٠) وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

وحقيقته هي: أن كلمة « عند الله » تعبر عن العالم الباقي، فالنور المنبثق من عالم البقاء، ولو بمقدار جناح بعوضة، هو أوسع وأعم (لأنه أبدي) من نور مؤقت ولو كان يملأ الأرض. أي أن الحديث لا يعقد موازنة بين جناح البعوض والعالم الكبير، وإنما هي الموازنة بين دنيا كل فرد ـ محصورة في عمره القصير ـ وبين النور الدائم المشع، ولو بمقدار جناح بعوضة من الفيض الإلهي وإحسانه العميم. فأين هذه الحقيقة الصادق الصائبة، من فهم أهل الإلحاد الظالمين لما ظنوه مبالغة؟!

مثال آخر: هو ما ذهب إليه الملحدون وظنوه محالة، حول ما ورد من الأحاديث الشريفة، في فضائل الأعمال وفضائل بعض سور القرآن الكريم: مثل أن (الفاتحة) لها ثواب القرآن، وسورة (الاخلاص) تعدل ثلث القرآن، وسورة (الزلزلة) ربع القرآن، وسورة (يس) لها ثواب عشرة أمثال القرآن و...

وحقيقة هذه الروايات هي أن لكل حرف من حروف القرآن الكريم ثوابا، وهو حسنة واحدة. ولكن بفضل الله وكرمه يتضاعف ثواب هذه الحروف حينا عشر حسنات، وأحيانا سبعين، وأخرى سبعمائة، (كما في حروف آية الكرسي) ورابعة: ألفا وخمسمائة (كما في حروف سورة الإخلاص) وخامسة: عشرة آلاف حسنة (كقراءة الآيات في الأوقات الفاضلة وليلة النصف من شعبان)، فتتضاعف هذه الحسنات كما تتضاعف سنبلة حبة القمح إلى سبعمائة ضعف، وكما تتضاعف ليلة القدر إلى ثلاثين ألفا في الآية الكريمة ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (القدر:٣).

و هكذا يمكن فهم ثواب بعض سور القرآن الكريم، التي تحدث عنها الرسول ﷺ مع فضل الله، ومع أصل الثواب لقراءة القرآن نفسه.

٤- النظر إلى أحاديث نبوية شريفة بعين الاستغراب ينافي الحقيقة مثل: « من صلى الغداة في جماعة، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم قام فركع ركعتين، انقلب بأجر حجة وعمرة»

فالمقصود من أمثال هذه الأحاديث هي حض النفوس على الخير، أو تجنيبها من الشر مثل: الغيبة كالقتل، والكلمة الطيبة صدقة كعتق رقبة.. ثم إن ترديد ذكر وتسبيح معين

أو تلاوة آية واحدة قد تفتح من أبواب الرحمة والسعادة، ما لا تفتحه عبادة ستين سنة.. أي أن هناك حالات تمنح فيها آية واحدة من الفوائد ما للقرآن الكريم كله.

وفي النهاية يقول الإمام النورسي: إن هذه الأصول السابقة وميادين تطبيقها، تجعلك تتخلى عن الإنكار ثم تخاطبك، إن كان هناك تقصير حقيقي فهذا راجع إلينا ـ أي إلى الأصول ـ وليس إلى الحديث الشريف قطعا، وإن لم يكن ثمة تقصير حقيقي فهو يعود إلى سوء فهمك أنت (ا.هـ.)[1].

كيف تصير السنة الشريفة دستورا للمسلمين؟

لاشك أن هذا السؤال يشغل بال كل الغيورين على دينهم، بل كل المصلحين في مجال الدعوة الإسلامية، لأن السنة بحر خضم من القوانين التشريعية التي تهدف إلى تهذيب سلوك الفرد والارتقاء بوجدانه، وفي نفس الوقت إصلاح الأمة وتحقيق التقدم الحضاري لها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية

ولكي يتم الاستفادة من تلك القوانين يجب أن تتحقق للسنة الضمانات التالية:

أولاً: أن تكون هناك موسوعات شاملة للأحاديث الشريفة سواء موضوعية أو بالحروف الأبجدية مخرجة تخريجا دقيقا وفيها الحكم على الحديث لمعرفة درجة الدقة في وصوله إلينا. وهذا ما دفعنا إلى تخريج كنز العمال والذى قام بجمعه وتبويبه الإمام تقى الدين الهندى، كأحد الموسوعات القيمة واخترنا منها فى بحثنا هذا الأحاديث الصحيحة والحسنة الإسناد، داعين الله أن يتقبل منا جميعا صالح أعمالنا.

ثانيًا: أن تشمل تلك الموسوعات شرحا مبسطا يوافق لغة العصر حتى يتحقق الوفاء بأهداف السنة الشريفة وسمو مقاصدها وتكامل دستورها ومدى مرونته للوفاء بكل تغيرات النفوس والعصور أيضا.

ثالثًا: أن تكون مهمة رجال الفقه هي استخراج ما يلائم واقع حياتهم من قواعد فقهية من نبع السنة النبوية بنظرة شمولية لجميع الأحاديث التي تخص الموضوع الواحد

---

(١) الإمام بديع الزمان سعيد النورسي. رسائل النور، الكلمة الرابعة والعشرون ص٣٨٦: ٤٠٢، من الكلمات.

وليست بنظرة جزئية تقتصر على بعضها فيكون الفقه جامدا لا يتفق مع مواصفات السنة الشريفة من المرونة والتكامل.

رابعًا: تتميز أحاديث الرسول ﷺ بالتنوع ويجب أن يفهم المسلمون وهم يتناولون تلك الأحاديث بأن هذا التنوع لا يعني التوقف عند حديث بعينه بما يحرمهم من دواعي الكمال الإنساني والارتقاء الحضاري، ولا يعني تضاد الأحكام والشرائع، بل يعني كمال الشريعة التي تفي بكل الاحتياجات التي تطرأ علي مدار العصور و الأجيال، ويعني مرونتها في مواجهة تغيرات النفوس البشرية ومدى استعداد كل منها لدرجات الرقي المعنوى.

منهاج البحث

١ - تركزت دراستنا للسنة الشريفة فى بحثنا هذا على موسوعة كنز العمال باعتبارها أكبر موسوعة جمعت الأحاديث الشريفة التى جاءت فى كتب السنة، حيث قام الإمام تقى الدين الهندى بتبويب كتابه وترتيبه ترتيبا موضوعيا بما يسهل عملية البحث عن الأحاديث المطلوبة حسب الموضوعات التى يهدف إليها الباحث.

٢ - التزمنا بنفس تبويب وتصنيف موسوعة كنز العمال إلا أننا قمنا بتجميع أحاديث الأقوال والأفعال التى تخص الموضوع الواحد تحت بند واحد وذلك لتسهيل مهمة الباحث أو القارئ وعدم تشتته بين الأحاديث التى تدور فى سنن الأقوال أو سنن الأفعال، بالإضافة إلى إثراء الفكر فى تجميع الأحاديث فى إطار واحد.

٣- قمنا بحذف الأحاديث الضعيفة والمكررة فضلا عن الموضوعة وذلك لإشاعة الثقة نحو الأحاديث النبوية من جهة، وزيادة التركيز لدى القارئ من جهة أخرى بما يسمح من تحقيق الاستفادة اللازمة من نبع السنة الشريفة التى تمثل مصدرا أساسيا من مصادر التشريع.

٤- قمنا بتبويب موضوعى داخل الأبواب والفصول يتناسب مع مفاهيم العصر حيث يشمل شرحا مختصرا لكل حديث أو مجموعة من الأحاديث التى تتفق فى المضمون، وتدعيم ذلك الشرح بالآيات القرآنية قدر الإمكان لإثبات أن ا'سنة تنبع من أنوار القرآن، وأنها المذكرة التفصيلية للدستور الأول للمسلمين وهو القرآن الكريم، ومن حرم الاطلاع

على نهج السنة الشريفة متكاملا، فقد حرم معرفة المنهاج التطبيقى للقرآن العظيم فى أروع وأجلى صوره. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (لأنفال:٢٤)

ويقول تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر:٧)

٤- قمنا بتخريج الأحاديث كاملة والحكم على صحة الحديث ولم نسجل فى بحثنا هذا إلا الأحاديث الصحيحة والحسنة الإسناد لمنع الشكوك والأوهام في تناول أحاديث خير الأنام ﷺ مما يعطى فرصة اختيار واسعة أمام الباحثين فى دراسة القضايا الحيوية التى تمثل دستورا للأمة يحكم مسار حياتها فى جميع المجالات.

٥- اجتهدنا بما قدر المولى عزَّ وجلَّ لنا من جهد أن نستقرئ الأحاديث الشريفة وأن نحدد لها إطارا عاما من نبع الأحاديث الصحيحة ليكون هذا الإطار أساسا يحاول المجتهدون من خلاله تجديد الفقه الإسلامي بقلوب مطمئنة لنهج السنة النبوية بعيدا عن أى زيغ أو ادعاء يحرم المسلمين من ذلك النبع الفياض الذي يزخر بكل القيم و المبادئ التي تحقق للإنسانية التقدم المعنوي والمادي. و قد راعينا فى هذا الإطار تصنيف الباب تصنيفاً موضوعياً متناسقاً بناء على الطابع الغالب الذى تهدف إليه الأحاديث بدءاً بأعمال القلوب ثم الأحكام التشريعية.

فى ختام ذلك التقديم العام ندعو الله أن يتقبل منا صالح الأعمال و أن يوفقنا إلى ما يحبه و يرضاه ويحقق هدفنا فى إعادة الثقة كاملة في السنة الشريفة التي تتعرض لحملة تشكيك واسعة النطاق هدفها إبعاد المسلمين عن مصدر عظيم من مصادر التشريع، ونبع فياض من المبادئ والأفكار التي تثرى رصيد الأمة بل والإنسانية جمعاء من الفكر الراقي البنَّاء في جميع مجالات الحياة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة فى أشرف الميادين و أسماها

خديجة النبراوى

الكتاب الأول

الإيمان هو حياة القلوب والأبدان، وبلسم السعادة، ومناط النجاة في الدنيا والآخرة، فهو يورث القلوب والنفوس رضى، وكلما تدرج العبد في مراتب الإيمان ذاق طعمه، ووجد حلاوته، واطمأنت نفسه به، فعن محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار »[1]. وحقيقة الإيمان الذي جاء به محمد ﷺ تقوم على ثلاثة أركان، إذا سقط أحدها بطل الإيمان من أساسه و هذا ما نلاحظه في قول الإمام الشافعي: « وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر »[2].

وهذه الأركان هي: إقرار القلب، و الإقرار باللسان، وعمل الجوارح والمقصود به فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه. والأدلة على دخول هذا في الإيمان أكثر من أن تحصى، فنذكر بعض ما يحصل به المقصود، فمن ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (الحجرات:١٥).

فقد وصفهم الله بصدق الإيمان لإتيانهم بالأعمال الصالحة، التي هي لازم عمل القلب وثمرته و البعد عن الريبة و التردد و المضيّ في ثبات لإعلاء كلمة الحق مضحين في سبيل

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٥) . به.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٢) وابن رجب فب جامع العلوم والحكم (١ / ٢٨).

ذلك بالمال و النفس؛ فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان »[1].

وقد اعتنى الأئمة بهذا الحديث، وعدوه أصلاً لإدخال الطاعات في الإيمان، وعدوها من شعبه، وفي هذا الحديث بيان أن الإيمان أصل له شعب متعددة، وكل شعبة تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الصوم والحج والزكاة، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل. وهذه الشُعَبُ منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق،وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب.

ومن عوامل قوة الإسلام في صدور المؤمنين: طريقة كل منهم في تفاعله مع المحن والمنح، والإغراء والتحذير، والنعم والنقم، والترغيب والترهيب، والفقر والغنى، فمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان، فلا تضره فتنة ولا تزعزعه شبهة، ولا تغلبه شهوة، صامد كالطود الشامخ، فهم الحياة نعمة ونقمة، ومحنة ومنحة، ويسراً وعسراً، فضبط نفسه في الحالين، فلم ييأس على ما فات، ولم يفرح بما هو آت، فلا خيلاء عند غنى، ولا حزن عند افتقار، لا يبطر إن رأس، ولا يتكدر إن رُئس، يقلق من الدنيا، ولا يقلق على الدنيا أبداً، يستعجل الباقية على الفانية، فتجده راضي النفس، مطمئن الفؤاد، إن هذا الصنف من الناس قيم كريم، لكنه قليل قليل، وما ضره أنه قليل وهو عزيز، فمثله كالشجرة الطيبة، عميقة الجذور، ثابتة الأصول، مفيدة الفروع، لا تزعزعها الأعاصير، ولا تنال منها العواصف، والسر إنه الإيمان، الذي إذا خالطت بشاشته القلوب ثبت صاحبه، واطمأن وضرب بجذوره فلا تزعزعه المحن، ولا تؤثر فيه الفتن، بل يُكنُّ الخير ويجني الفوائد.

وتوضح الأحاديث الشريفة أن الاعتصام بالكتاب والسنة هو الصخرة التي تتحطم عليها كل تيارات الحياة المعاصرة من البدع والأهواء، بما يجعل الإسلام يقف كالطود الشامخ أمام تحديات كل عصر، أما إذا اتجه المسلمون إلى الانبهار بالثقافات الحديثة فهذا معناه غربة

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان (٥٠) عن عبيد الله بن سعيد وعبد بن حميد قالا حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح.. به.

الإسلام في الصدور، وبالتالي انحراف الأمة الإسلامية إلى مهاوي خطرة تجلب عليها الشقاء الدنيوي قبل الأخروي.

إن الإيمان بالله -سبحانه وتعالى - وما يتبعه من أمور عقدية أخرى وما ينبثق عن كل ذلك من تصور للوجود والحياة والكون هو أساس البناء الذي تقوم عليه شخصية المسلم، كما أنه الموجه الذي يوجه أفكار الإنسان المسلم وسلوكياته وتصرفاته.

والإيمان يجعل المسلم يخرج من دائرة المادة الضيقة، وهو الباعث للهمة والمقوي للإدراك، وكلما ضعفت إرادة العبد، ووهنت قوته أمده هذا الإيمان بقوة قلبية تتبعها الأعمال البدنية وكلما أحاطت به المخاوف كان هذا الإيمان حصناً حصيناً يلجأ إليه المؤمن، فيطمئن قلبه وتسكن نفسه، ومن هنا جاء اهتمام الإسلام بقوة الإيمان في نفوس أبنائه، فلا يرضى الإسلام أن يكون الإيمان في قلب المسلم ضوءاً خافتاً أو صوتاً مهموساً ولكنه يريده جذوة متقدة وضياء يغمر الآفاق حتى يرشد الفكر ويوجه السلوك، ويسيطر على المشاعر ومن ثم يجعل الحياة كريمة سعيدة كما يريدها الإسلام.

وبما أن الإيمان أكبر مصدر للقوة في نفس المؤمن، فإن القلب الذي يملأ الإيمان أعماقه لجدير أن يثبت في العواصف والزلازل ويدفع صاحبه إلى مزيد من الصبر والاستقامة في مواجهة الشدائد.

كذلك من عوامل قوة الإسلام في قلوب المسلمين: البعد عن أخلاق الجاهلية، والبعد عن وساوس الشيطان، ومراقبة تقلبات القلب وخواطره، وقبل هذا وذاك، معرفة صفات الله وقدرته، لأن تلك المعرفة تعني مدى قوة الاستناد التي يستند إليها المؤمن، وتعني مدى اتساع منابع الاستمداد التي يستمد منها المؤمن القوة والمعرفة والأنوار التي ليس لها حدود.

كل هذه العوامل نتناولها بالتفصيل في هذا الكتاب في ظلال الهدي النبوي الشريف، لتكون نبراسا للمسلمين يحقق لهم الأمن والقوة والرقي المطلوب في جميع الميادين، حيث يشمل هذا الكتاب الأحاديث النبوية الشريفة التي تضم سنن الأقوال والأفعال من هدي خير الأنام ﷺ مدعمة بالآيات القرآنية ومقدمات سريعة تشرح المقصود من تلك الأحاديث في بيان كيف يواجه الإسلام غربته في صدور المؤمنين وأن ذلك لن يتم إلا بما يلي أي بيان حقيقة

الإيمان والإسلام، وفضل الشهادتين وفضائل الإيمان بصفة عامة، وكيف يحقق الإيمان بالقدر ثبات المؤمنين على طريق الحق رغم ما يواجههم من تحديات الحياة، وصفات المؤمنين التي تجعلهم يتمتعون بنعمة الإيمان سواء في الدنيا أو الآخرة، وصفات المنافقين، حتى يجاهد من فيه خصلة من خصال النفاق، في التحرر منها ليلقى الله بقلب سليم برئ من الشرك والنفاق.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الباب الأول

في حقيقة الإيمان و الإسلام ومجازهما و أحكامهما

ويشتمل على ثمانية فصول:

الفصل الأول: في حقيقة الإيمان والإسلام

الفصل الثاني: في المجاز والشعب

الفصل الثالث: في فضل الإيمان والإسلام

الفصل الرابع: في أحكام الإيمان والإسلام

الفصل الخامس: في أحكام البيعة

الفصل السادس: في الإيمان بالقدر

الفصل السابع: في صفات المؤمنين

الفصل الثامن: في صفات المنافقين

في حقيقة الإيمان والإسلام

ينبه القرآن أن هناك فرقا كبيرا بين الإيمان والإسلام حيث الإيمان محله القلب والإسلام عمل بالجوارح، فيقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات:١٤).

وهنا يظهر عظمة الدور الذي قام به الرسول الأمين المبعوث رحمة للعالمين في الأخذ بيد الناس من ظلمات الجاهلية إلى الإسلام ثم العروج بهم في معارج الإيمان في تشريعات متكاملة تتوافق مع تنوع النفوس وقدرات العقول..

ويحدد الرسول ﷺ حقيقة الإيمان في ملامح متعددة تحتاج من المسلمين إلى جهاد مع النفس متواصل لتحقيق تلك الحقيقة الغالية قلبا وقالباً، وتلك الملامح تمثل فيما يلي:

- من أسمى حقائق الإيمان أن يعمر قلب المسلم بحب الله ورسوله، بحيث يكون هذا الحب هو قمة المنى، فليس هناك أحب إليه مما سواهما، ويترجم هذا الحب واقعا فعليا، حيث يحرص على إيمانه بالله حرصا شديدا فلا يرضى به بديلا حتى لو أدى به ذلك إلى الاحتراق في النار وعليه بالسمع والطاعة لأوامر الله ورسوله كما أنه من مشكاة الحب النورانية يحب أهله وأقاربه، فلا يحبهم إلا لله.

و نرى هذا متمثلا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران:٣١).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (البقرة:١٦٥).

و نرى هذا متمثلا في الحديث التالي.

- عن أبي رزين العقيلي أنه قال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: « أن تشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما وأن تحترق في النار أحب إليك من أن تشرك بالله وأن تحب ذا نسب لا تحبه إلا لله فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ »[1].

- الرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا، وهذا الرضا معناه الاستعلاء القلبي على كل شهوات الدنيا وعلى كل قوى البغي والطغيان مما يحقق العزة الإيمانية.

وهذا نراه واضحا في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (المجادلة:٢٢).

وفي قوله تعالى:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (المائدة:٣)

كما نرى هذا متمثلا في الحديث التالي:

- عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ.. ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا »[2].

---

(١) حديث حسن. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١١) عن علي بن إسحاق قال أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك قال أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليمان بن موسى عن أبي رزين العقيلي.. به في حديث طويل، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٥٣) وقال: رواه أحمد وفي إسناده سليمان بن موسى وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وضعفه آخرون.

(٢) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر (٣٤) عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ وَبِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ قال: ا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، والترمذي في الإيمان، باب (١٠) بإسناده، وأحمد في مسنده (١ / ٢٠٨). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩.

- ومن حقيقة الإيمان طاعة رسول الله ﷺ، لأنه رسوله الأمين الذي وضّح للخلق مراد الحق منهم، وبالتالي فإن طاعته واتباع سنته أمرا ضروريا ليتذوق به المسلم ثمرات الإيمان، وهذا نراه متمثلا في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٤).

وفي قوله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النور: ٥٦).

وفي قوله تعالى:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (النساء: ٨٠).

وهذا نراه متمثلا في الأحاديث التالية:

- عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ الْكَلَاعِيِّ قال: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْجَدْعَاءِ وَاضِعٌ رِجْلَيْهِ فِي الْغَرْزِ يَتَطَاوَلُ يُسْمِعُ النَّاسَ فَقَال: بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَلَا تَسْمَعُونَ فَقَال: رَجُلٌ مِنْ طَوَائِفِ النَّاسِ يا رَسُولَ الله مَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قال: « ألا تستمعون؟ اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمرتكم؛ تدخلوا جنة ربكم »[1].

-وعن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ: « هل تدرون من هذا، هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم خذوا عنه والذي نفسي بيده ما شبه علي منذ أتاني قبل مرتي هذه وما عرفته حتى ولى »[2].

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٢٦٢) عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، والحاكم في المستدرك (١ / ٥٤٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٦.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١ / ٣٩٨) عن محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا يوسف بن واضح الهاشمي حدثنا الفاء بن سليمان عن أبيه عن يحيى بن يعمر.. في حديث طويل، والدارقطني في السنن (٢ / ٢٨٢).. في حديث طويل، وقال: إسناد ثابت صحيح أخرجه مسلم بهذا الإسناد. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥١.

- الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والإيمان بالجنة والنار والميزان والإيمان بالبعث بعد الموت، والايمان بالقدر وشره. ويتميز هذا الإيمان باليقين الذي يشبه الجبال الراسخات فلا تزعزعه عواصف المحن وتقلبات الزمان فلا يفرح الإنسان فرحا يطغيه عن شكر النعم ولا يجزع جزعاً يخرجه عن التسليم بقضاء الله.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة:٢٨٥).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة:٨).

وهذا المعني نجده متمثلا في الأحاديث التالية:

- عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالجنة والنار، والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1].

- وعَنْ عَامِرٍ أَوْ أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبِي مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَمَا... ثم ذكر حديثا طويلا جاء فيه عن النبي ﷺ: «الإيمان: أن تؤمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، والموت، والحياة بعد الموت، وتؤمن بالجنة والنار، والحساب والميزان، وتؤمن بالقدر خيره وشره، فإذا فعلت ذلك فقد آمنت»[2].

- وعن ابن غنم عن رسول الله ﷺ أنه أتاه جبريل في صورة لم يعرفه فيها حتى وضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تسلم وجهك لله وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، قال: فإذا فعلت

(١) حديث صحيح. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١ / ٣٩٨) عن يوسف بن واضح الهاشمي حدثنا الفاء بن سليمان عن أبيه عن يحيى بن عمر عن ابن عمر.. به، والبيهقي في شعب الإيمان (١ / ٢٥٧) عن يونس بن محمد بن سليمان عن أبيه عن يحيى بن عمر عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١.

(٢) حديث صحيح رواته ثقات. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١٢٩) عن حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حُسَيْنٍ حَدَّثَنَا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣٩) وقال: رواه أحمد وفي إسناده شهر بن حوشب. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤.

ذلك فقد أسلمت؟ قال: نعم، قال: صدقت فما الإيمان يا رسول الله؟ قال: الإيمان تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وبالموت والحياة بعد الموت والحساب والميزان والجنة والنار والقدر كله خيره وشره، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ فقال: نعم، قال: صدقت قال: فما الإحسان يا رسول الله؟ قال: تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تك تراه فإنه يراك، قال: فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت؟ قال: نعم، قال: صدقت، قال: فمتى الساعة يا رسول الله؟ قال: سبحان الله سبحان الله خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ما المسؤول عنهن بأعلم بهن من السائل: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت، وإن شئت أخبرتك بعلم ما قبلها. إذا ولدت الأمة ربتها وتطاول البنيان ورأيت الحفاة العالة على رقاب الناس، قال: ومن هم يا رسول الله عريب. ثم ولى الرجل فقال: رسول الله ﷺ: أين السائل قال: وا ما رأينا طريقه بعد، قال: ذاكم جبريل يعلمكم دينكم وما جاءني قط إلا عرفته إلا اليوم»[1].

- إن الإيمان بالله يقيناً و بكل ما جاء به رسوله ﷺ من تشريع، وهذا يعني شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والجهاد وإعطاء الخمس من الغنائم. وهذه التشريعات إذا طبقت بإخلاص قلبا وقال: با حققت للفرد والأمة تذوق حقيقة الإيمان بمعانيها الفياضة المتدفقة، بها يحقق الارتقاء إلى مجالات سامية. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة:١٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٧).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣٥ / ٣١١) عن أبي عبد الله الحسين بن عبدالملك وأبو القاسم غانم بن خالد بن عبدالواحد قال: ا انا ابو الطيب عبدالرزاق بن عمر انا ابو بكر بن المقرىء انا محمد بن الحسن بن قتيبة نا عيسى بن حماد انا الليث بن سعد عن ابن عجلان أن أبان بن صالح وعبد الله بن عبدالرحمن بن أبي حسين كليهما يخبره عن شهبر بن حوشب..به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٨١.

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنفال: ٤١).

وهذا نجده متمثلا في الأحاديث التالية:

- عن أبي جمرة قال: سمعت بن عباس يقول: إن وفد عبد آلاف لما قدموا على رسول الله ﷺ قال: « ممن القوم؟ » قالوا: من ربيعة، قال: « مرحبا الخزايا ولا الندامى » فقالوا: يا رسول الله، إنا حي من ربيعة وإنا نأتيك من شقة بعيدة، وأنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام، فمرنا بأمر فصل ندعو إليه من وراءنا وندخل به الجنة، فقال: رسول الله ﷺ: « آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع، آمركم: بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا خمس ماغنمتم، وأنهاكم: عن الدباء، والنقير، والحنتم، والمزفت، احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم »[1].

- وعن ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: « بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان »[2].

(١) حديث صحيح. أخرجه بلفظه كاملا: البيهقي في السنن الكبرى، باب وجوب الخمس في الغنيمة والفيء ومن قال لا تخمس الجزية وما في معناه (٦ / ٢٩٤) عن أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، أنبأ عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا شعبة.. به، وأخرجه بلفظه دون قوله: « احفظوهن...إلخ) البخاري في تفسير القرآن، باب قول الله تعالى والله خلقكم وما تعملون إنا كل شيء خلقناه بقدر (٤٧٧٧)عن إِسْحَاقُ عَنْ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في الإيمان، (٢٦٠٩) وقال: وَفِي الْبَاب عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أبو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ هَذَا، وَسُعَيْرُ بْنُ الْخِمْسِ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ: حَدَّثَنَا، قَالَ أبو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والنسائي في السنن، كتاب الإيمان وشرائعه، باب أي الإسلام خير (٥٠٠١) محمد بن عبد الله بن عمار قال: حدثنا المعافى يعني بن عمران عن حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن بن عمر، أن رجلا قال له: ألا تغزو؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:.. به، وأحمد في مسنده (٢ / ٢٦) عن هَاشِمٌ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:..به، والبيهقي في السنن الكبرى (٤ / ٨١) عن أبي محمد جناح بن نذير بن جناح المحاربي بالكوفة أنبأ أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم ثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أنا عبيد الله بن موسى أنا حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت عكرمة بن خالد يحدث طاوسا قال: جاء رجل إلى بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تغزو؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢١.

– وعن ابن عباس قال: حماد ولا أعلمه إلا قد رفعه إلى النبي ﷺ قال: « عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة، عليهن أسس الإسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلَّا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان »(١).

– وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يوما بارزاً للناس فأتاه رجل... ثم ذكر حديثا طويلا جاء فيه: « الإسلام: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت »(٢).

– وعن ربعي بن حراش عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ فقال: أألج؟ فقال: النبي ﷺ لخادمه: « اخرجي إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي له: فليقل: السلام عليكم، أدخل » قال: فسمعته يقول ذلك فقلت: السلام عليكم، أدخل؟ قال: فأذن – أو قال: فدخلت، فقلت: بم أتيتنا به؟ قال: « لم آتكم إلا بخير، آتيتكم أن تعبدوا الله وحده لاشريك له، وأن تدعوا اللات والعزى، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات، وأن تصوموا من السنة شهرا، وأن تحجوا البيت، وأن تأخذوا من أموال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم »(٣)

– وعن أبي اليمان أخبرنا شعيب قال: حدثنا عبد الله بن أبي حسين حدثنا شهر بن حوشب عن عامر أو أبي عامر أو أبي مالك عن النبي ﷺ.. في حديث طويل جاء فيه:

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤ / ٢٣٦ ح ٢٣٤٩) وعن أبي يوسف الجيزي حدثنا مؤمل حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٤٧) وقال: رواه أبو يعلى بتمامه ورواه الطبراني في الكبير بلفظ بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلَّا الله والصلاة وصيام رمضان فمن ترك واحدة منهن كان كافرا حلال الدم فاقتصر على ثلاثة منها ولم يذكر كلام ابن عباس الموقوف وإسناده حسن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له (٥٠).. به، وابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان (٦٤) عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا إسمعيل ابن علية عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ يوما بارزا للناس فأتاه رجل... ثم ذكر حديثا طويلا ذكر فيه هذا اللفظ، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٤٢) عَفَّانُ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَهُوَ أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ..به، والبيهقي في السنن الكبرى (٤ / ٨٣) عن أبي الحسين بن الفضل القطان ثنا أبو سهل بن زياد القطان ثنا إسحاق بن الحسن الحربي ثنا عفان ثنا وهيب ثنا يحيى بن سعيد بن حيان يعني التميمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٣.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١ / ٣٧٢ ح ١٠٨٤) عن محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٤٢) وقال: رواه أحمد ورجاله كلهم ثقات أئمة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٥.

« الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وأن تشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت »[1].

– وعن أنس قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يأتيه الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع فأتاه رجل فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: صدق، فقال: فمن خلق السماء قال: الله، قال: فمن خلق الأرض قال: الله قال: فمن نصب هذه الجبال قال: الله، قال: فمن جعل فيها هذه المنافع قال: الله قال: فبالذي خلق السموات والأرض ونصب الجبال وجعل هذه المنافع الله أرسلك قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلنا، قال: صدق، قال: بالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر في سنتنا، قال: صدق، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قال: والذي بعثك بالحق نبيا لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فلما مضى قال: لئن صدق ليدخلن الجنة »[2].

– ومن حقيقة الإيمان: الأعمال القلبية، لأن الإسلام « علانية » أي يختص بممارسة الشعائر بالجوارح، أما الإيمان فهو قلبي حيث هو روح العبادة ونورها الفعَّال في رقي الإنسان روحا وجسداً.

قال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات:١٤).

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة:٩٣).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣١٩) عن عبد الله حدثني أبي ثنا أبو النضر قال ثنا عبد الحميد ثنا شهر ثنا عبد الله بن عباس، (٤/ ١٢٩). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٩.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٤٦/ ٢٥٧)، ومسلم في الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام (١٢) عن عمرو بن محمد بن بكير الناقد حدثنا هاشم بن القاسم أبو النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال:.. به. وأحمد في مسنده (٣/ ١٤٣) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٧٤.

و نرى هذا متمثلا في الحديث التالي:

- عَنْ أَنَسٍ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: « الإسلام علانية، والإيمان في القلب »[1].

- التطهر من شح النفس، فيعطي زكاة المال طيبة بها نفسه، فلا يختار أردأ الأموال ليتصدق بها بل أوسطها. وهذا نراه متمثلا في قوله تعالى:﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:٩٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (آل عمران:١٨٠).

و نرى هذا متمثلا في الأحاديث التالية:

- عَنِ الزُّبَيْدِيِّ قال: وَأَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ مِنْ غَاضِرَةِ قَيْسٍ قال: قال: النَّبِيُّ ﷺ: « ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان: من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام، ولايعطي الهرمة ولا الرديئة ، ولا المريضة ولا الشرط اللئيمة؛ ولكن من أوسط أموالكم؛ فإن الله لم يسألكم خيره، ولا يأمركم بشره وزكى نفسه »[2].

- وعن زيد بن الحباب حدثنا معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر قال: سمعت أبا أمامة يقول سمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في حجة الوداع وهو على الجدعاء واضع

(١) حديث صحيح رواته ثقات. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٣٤) عن حَدَّثَنَا بَهْزٌ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَسْعَدَةَ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ. به، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٥٩ ح ٣٠٣١٩) عن زيد بن الحباب عن علي بن مسعدة قال حدثنا قتادة قال حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ .. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٩.

(٢) حديث صحيح رواته ثقات. أخرجه أبو داود في الزكاة، باب في زكاة السائمة (١٥٨٢).. به، والبيهقي في السنن الكبرى، باب لا يأخذ الساعي فيما يأخذ مريضا ولا معيبا وفي الإبل عدد الفرض صحيح (٤/ ٩٥) عن أبي الحسين بن الفضل القطان ببغداد أنبأ عبد الله بن جعفر بن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان ثنا إسحاق بن إبراهيم حدثني عمرو بن الحارث حدثني عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال حدثني يحيى بن جابر أن عبد الرحمن بن جبير حدثه أن أباه حدثه أن عبد الله بن معاوية الغاضري حدثهم أن رسول الله ﷺ قال.. به. وقوله: « طعم » أي ذاق ثمرة ولذة، وقوله: « رافدة » الرفد: الإعانة، والمراد تعينه نفسه على أدائها، وقوله: « الهرمة » هي الطاعنة في السن الضعيفة، وقوله: « الدرنة » هي الوسخة المصابة بالجرب، وقوله: « الشرط » هو أشر المال وأحقره. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠.

رجله في غراز الرحل يتطاول يقول ألا تسمعون فقال: رجل من آخر القوم ما تقول قال: « ألا لعلكم لا تروني بعد عامكم هذا. اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وحجوا بيتكم وأدوا زكاة أموالكم طيبة أنفسكم وأطيعوا إذا أمرتكم؛ تدخلوا جنة ربكم »[١].

- وعن معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن أبا بكر وعمر كانا يعلمان الناس الإسلام تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة التي افترض الله عليك لوقتها فإن في تفريطها الهلكة وتؤدي الزكاة طيبة بها نفسك وتصوم رمضان وتسمع وتطيع لمن ولي الأمر[٢].

- الاغتسال من الجنابة وتمام الوضوء عنوان المؤمن لأنه حقق الطهارة اللازمة ليكون جديرا بحضرة الحق في الصلاة والذكر والمناجاة، مما يؤهله لتذوق حقائق الإيمان وأنوار القرآن ومعارجه الروحية.

وهذا نراه متمثلا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (المائدة:٦).

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (النساء:٤٣).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥١).. به، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولا نعرف له علة ولم يخرجاه وقد احتج البخاري ومسلم بأحاديث سليم بن عامر وسائر رواته متفق عليهم. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٥.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ١٢٦):.. به، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٢٨٠) بإسناده، ومعمر بن راشد في جامعه (١١/ ٣٣٠) بإسناده. والعدني في الإيمان (١/ ١١٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٦٥.

و نرى هذا متمثلا في الأحاديث التالية:

– عن يحيى بن يعمر فذكر حديث بن عمر عن النبي ﷺ في سؤال جبريل إياه عن الإسلام جاء فيه: « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتعتمر وتغتسل عن الجنابة وأن تتم الوضوء وتصوم رمضان »[1].

– وعن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق الله لنا عبد الله ابن عمر داخلا في المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتفقرون العلم، يزعمون أن لا قدر والأمر أنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر... ثم ذكر حديثا طويلا جاء فيه: « الإسلام: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم شهر رمضان، والاغتسال من الجنابة »[2].

– إن من حقائق الإيمان: إقامة شعائر الإسلام من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والتسليم على أهل البيت بما يحقق السلام في الأسرة التي هي نواة المجتمع.. وكل هذا يحفظ للأمة مكانتها وهيبتها وملامح شخصيتها الإيمانية.

وهذا نراه متمثلا في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (الحج:٤١).

---

(١) صحيح الإسناد. أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤ / ٣٥٦) عن يوسف بن واضح الهاشمي بن سليمان عن أبيه، وابن حبان في صحيحه (١ / ٣٩٨) عن محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا يوسف بن واضح الهاشمي حدثنا الفاء بن سليمان عن أبيه عن يحيى بن يعمر.. به في حديث طويل. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في السنة، باب في القدر (٤٦٩٥) عن عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة.. به. وأخرجه أبو حنيفة في مسنده (١ / ١٥٢) أبو بكر بن المقرئ ثنا أبو سعيد الجندي ثنا يوسف بن يعقوب القاضي ثنا أبو عبدالرحمن المقرئ ثنا أبو حنيفة كلهم عن علقمة بن مرثد عن يحيى بن معمر... ثم ذكر حديثا طويلا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٥.

وقوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٧١).

و نرى هذا متمثلا في الحديث التالى:

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم وتحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتسليمك على أهل بيتك، فمن انتقص شيئا منهن فهو سهم من الإسلام يدعه ومن تركهن فقد ولى الإسلام ظهره »[1].

- ومن أوثق عرى الإيمان التي تحافظ على كيان الأمة بعد إقامة الشعائر: هو حب المسلمين بعضهم لبعض لأن هذا يحافظ على المعالم الإيمانية للأمة الإسلامية حيث يحرص كل مسلم على مشاعر الآخرين ويحب لهم ما يحب لنفسه بل يؤثره على نفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه. ومن أهم مظاهر هذا الحب أنها يجب أن تبدأ فى الأسرة حيث يدعو الرسول إلى معاملة النساء معاملة حسنة لأن الأسرة دعامة الأمة وتقوم على مواثيق إلهية عظيمة وسيادة الحب فيها يعنى شيوع الحب والسلام الاجتماعى فى الأمة بأسرها.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر:٩-١٠).

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

(١) حديث صحيح. أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٧٠) أبي بكر بن إسحاق ثنا عبيد بن عبد الواحد ثنا محمد بن أبي السري ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان.. به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري فقد روي عن محمد بن خلف العسقلاني واحتج بثور بن يزيد الشامي. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٢.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن جرير قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: علمني الإسلام، قال: تشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت وتحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك »[1]

– وعن المغيرة بن سعد عن أبيه أو عن عمه قال: أتيت النبي ﷺ بعرفة فأخذت بزمام الناقة فصاح بي أناس من أصحابه فقال: دعوه فارب ماجاء به فقلت يا رسول الله دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار فقال: إن كنت أوجزت في الخطبة فقد أعظمت وأطولت فسكت ساعة ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر فقال: تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحب للناس ما تحب أن يأتوا إليك، وما كرهت أن يأتوك إليك فدع الناس منه، خل زمام الناقة »[2].

– مراعاة حرمة المسلم في نفسه وماله وعرضه، فكل المسلم على المسلم حرام، وذلك حرصا على حقوق الإنسان في المجتمع الإسلامي وتطهيرا لقلوب المؤمنين من الجشع والحقد واقتلاع جذور العداوة، مما يحقق ملامح المجتمع الإيماني في أجلى صورها وهذا نراه متمثلا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات:١٠-١٢).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢ / ٣١٨) عن عبد الرحمن بن سلم الرازي ثنا سهل بن عثمان ثنا عبد الرحيم بن سليمان عن الحجاج بن أرطأة عن أبي اليقظان عن زاذان.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٤٥) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده الحجاج بن أرطاة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٧٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٧٦) عن عبد الله حدثني أبو صالح الحكم بن موسى قال: أخبرنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن عمرو بن مرة.. به، والبيهقي في شعب الإيمان (٧ / ٥٠٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٧٨.

و نرى هذا متمثلا في الأحاديث التالية:

- حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ قال: سَمِعْتُ بَهْزَ بْنَ حَكِيمٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عن النبي ﷺ في حديث طويل جاء فيه: « أن تقول أسلمت وجهي لله ، وتخليت وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة. كل مسلم على مسلم محرم أَخَوَانِ نَصِيرَانِ لا يقبل الله من مشرك بعد ما أسلم عملا أو يفارق المشركين إلى المسلمين »[1].

-عن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده قال: قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ما جئتك حتى حلفت بعدد أصابعي هذه أن لا أتبعك ولا أتبع دينك فإني أتيت أمرا لا أعقل شيئا إلا ما علمني الله ورسوله وإني أسألك بم بعثك ربك إلينا؟ قال: اجلس، ثم قال: بالإسلام، فقلت: وما آية الإسلام؟ قال: تشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتفارق الشرك وإن كل مسلم على كل مسلم حرام أخوان نصيران لا يقبل من مشرك أشرك مع إسلامه عملا وإن ربي داعي فسائلي هل بلغت عبادي فليبلغ شاهدكم غائبكم وإنكم تدعون مفدما على أفواهكم بالفدام فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكفه، قلت يا رسول الله فهذا ديننا، قال: نعم وأينما تحسن يكفك وإنكم تحشرون على وجوهكم وعلى أقدامكم وركبانا »[2].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه النسائي في الزكاة، باب من سأل بوجه الله عز وجل (٢٤٣٦) عن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قال:..به، وأحمد في مسنده (٥ / ٤) عن يحيى بن سعيد عن بهز قال أخبرني أبي عن جدي قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت:.. في حديث طويل.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٨.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧ / ٤١) عن أبي عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الحميد الصنعاني نا إسحاق بن إبراهيم أنا عبد الرزاق عن معمر.. به، ومعمر بن راشد في جامعه (١١ / ١٣١) بإسناده. قال القرطبي في تفسيره (١٥ / ٤٨): وقوله: الفدام: مصفاة الكوز والإبريق؛ قاله الليث، قال أبو عبيد: يعني أنهم منعوا الكلام حتى تكلم أفخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذي يجعل على الإبريق ثم قيل في سبب الختم أربعة أوجه أحدها لأنهم قالوا ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ فختم الله على أفواههم حتى نطقت جوارحهم قاله أبو موسى الأشعري. الثاني: ليعرفهم أهل الموقف فيتميزون منهم قاله ابن زياد. الثالث: لأن الناطق أبلغ في الحجة من إقرار الناطق لخروجه مخرج الإعجاز وإن كان يوما لا يحتاج إلى إعجاز الرابع ليعلم أن أعضاءه التي كانت أعوانا في حق نفسه صارت عليه شهودا في حق ربه فإذا قيل لم قال وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم فجعل ما كان من اليد كلاما وما كان من الرجل شهادة قيل إن اليد مباشرة لعمله والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة وقول الفاعل على نفسه إقرار بما قال أو فعل فلذلك عبر عما صدر من الأيدي بالقول وعما صدر من الأرجل بالشهادة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٨٢.

- من حقيقة الإيمان أن يجاهد المؤمن لإعلاء كلمة الحق غير مبالي بالتضحية بالنفس والمال، لأنه اشتاق إلى منازل الآخرة، فهانت عليه كل شهوات الدنيا ومتاعها. وهذا نراه متمثلا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال: ٧٢).

و قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٥).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (محمد: ٣١).

و نرى هذا متمثلا في الأحاديث التالية:

- عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ قال: قال: رَجُلٌ يا رَسُولَ الله مَا الْإِسْلَامُ قال: « الإسلام: أن تسلم قلبك، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك » .قيل: فأي الإسلام أفضل، قال: « الإيمان ». قيل: وما الإيمان؟، قال: « أن تؤمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت »، قيل: فأي الإيمان أفضل؟، قال: « الهجرة ». قيل: وما الهجرة؟، قال: « أن تهجر السوء » قيل: فأي الهجرة أفضل؟، قال: « الجهاد »، قيل : وما الجهاد؟، قال: « أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم » قيل: فأي الجهاد أفضل؟، قال: « من عقر جواده، وأهريق دمه، ثم عملان أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما: حجة مبرورة، أو عمرة »[1].

- وعن صلة قال: قال حذيفة: « الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم، وحج البيت سهم، والجهاد في سبيل الله سهم، وصوم رمضان سهم،

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١١٤) عن عَبْدُ الرَّزَّاقِ قال: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ.. به، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٧٢ ح ٤٨٤٣) وقوله: « عقر » أي ذبح، وقوله: « أهريق » أي أراق وأهدر. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧.

والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له »[1].

- وعن أبي زرعة قال: قال عمر: عرى الإيمان أربع: الصلاة والزكاة والجهاد والأمانة[2].

- من حقائق الإسلام التي كان يعلمها الخلفاء الراشدين للمسلمين نبعا من هدى الرسول الأمين ﷺ: التوحيد الخالص الذي لا يشوبه أي شرك وهي شهادة ألا إله إلَّا الله محمد رسول الله بصدق اليقين وإقامة الصلاة لوقتها لأنها عماد الدين وفي التفريط فيها هلاك المسلم، وأداء الزكاة طيبة بها النفس، وصوم رمضان، والسمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين حرصا على وحدة الأمة.. والملاحظ من تلك التعليمات أنها تهدف إلى الحرص على أركان الإسلام وشريعته قلبا وقالبا..

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء:٥٩).

ونرى ذلك فيما رواه: قتادة قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان يقول: عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلَّا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاه الله من المسلمين[3].

---

(١) حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٥٨ ح ٣٠٣١٣) عن وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق.. به، والبزار في مسنده (٧/ ٣٣٠ ح ٢٩٢٧) عن محمد بن سعيد بن يزيد بن ابراهيم التستري قال أخبرنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي قال أخبرنا يزيد بن عطاء قال أخبرنا أبو إسحاق عن صلة عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي قال:.. به، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٤٠٠ ح ٥٢٣) عن سويد بن سعيد حدثنا حبيب بن حبيب أخو حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عن النبي ﷺ قال، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٨) وقال: رواه البزار وفيه يزيد بن عطاء وثقه أحمد وغيره وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٢٣٠) عن ابن فضيل عن عمراة بن القعقاع.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٧٦.

(٣) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٠٠) و قال وقد ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٨٤.

- ومن حقائق الإسلام الجوهرية « بجانب الشعائر » هو التركيز على جوهر المسلم، بحيث تخلق فيه الشجاعة الأدبية والبعد عن الرياء، وتطهير القلب من كل الرذائل، بحيث لا يخشى العلانية في أفعاله ولا يستحي منها لأن قلبه سليم وبالتالي تصرفاته تنبع من الحق، فلا يخشى في الله لومة لائم.. قال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (النساء:١٠٨).

ونرى ذلك فيما رواه: الحسن قال: جاء أعرابي إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين علمني الدين، قال: تشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وعليك بالعلانية وإياك والسر وإياك وكل شيء يستحيا منه فإنك إن لقيت الله فقل أمرني بهذا عمر »[1].

- ومن حقائق الإسلام: الحرص على وحدة الأمة وجماعتها فالتوحد فيه القوة على مواجهة تحديات كل عصر، وفيه القدرة على الارتقاء بالأمة. قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٣).

ونرى ذلك فيما رواه: علي قال: إنما الإيمان ثلاثة أثافي: الإيمان، والصلاة، والجماعة، فلا تقبل صلاة إلا بالإيمان فمن آمن صلى ومن صلى جامع ومن فارق الجماعة قدر شبر خلع ربقة الإسلام من عنقه [2].

---

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٢٩) عن أبي عبد الله الحافظ قال: سمعت علي بن عيسى يقول سمعت الحسين بن محمد بن زياد القباني يقول نا محمد بن رافع نا محمد بن بشر حدثينه عبيد الله بن عمر العمري عن يونس بن عبيد.. به، وقال: أخبرنا أبو سعد الماليني أنا ابو احمد بن عدي الحافظ حدثنا الجنيدي قال قال البخاري هذا بإرساله أصح يعني حديث الحسن عن عمر مرسلا لأن الحسن لم يدرك عمر وهذا أصح من حديث سعيد بن عبدالرحمن الجمحي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٦٦.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٧٠) يزيد قال: أخبرنا العوام بن حوشب عن أبي صادق.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٧١.

الفصل الثاني

في الـمجاز والشعب

هناك مزيد من علامات المعراج الروحى على طريق الإيمان أفرد لها الإمام تقى الدين الهندى فصلا خاصا سماه المجاز والشعب وهى تتويج لما سبق من أحاديث شريفة تقرر حقائق الإيمان لتحقيق الرقى فى معارج الكمال لمن يتبع سنة خير الأنام ﷺ . وتلك العلامات نسجلها فيما يلي:

- إن حب الله وحب الرسول ﷺ من معالم اكتمال الإيمان في قلب المؤمن، بحيث يكون هذا الحب هو المحرك الأول في تصرفات الإنسان، لا يحجبه في تنفيذ تلك الأوامر حب النفس أو الأهل أو الأموال. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة:٢٤).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران:٣١).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (البقرة:١٦٥).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أنس قال: قال: النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب الناس إليه من والده وولده »[1].

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الإيمان، (١٥) عن يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب.. به، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٧٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧١.

– وعن يروي بن مالك أخبره أن رسول الله ﷺ قال: « ثلاث من كن فيه ذاق طعم الإيمان من كان لا شيء أحب إليه من الله ورسوله ومن كان لأن يحرق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه ومن كان يحب لله ويبغض لله »[1].

– وعن أبي رزين أنه قال: ثأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى قال: أما مررت بأرض من أرضك مجدبة ثم مررت بها مخصبة قال: نعم قال: كذلك النشور قال:: قلت يا رسول الله ما الإيمان قال: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا ويكون الله ورسوله أحب مما سواهما وتكون أن تحرق بالنار أحب إليك من أن تشرك بالله شيئا وتحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله فإذا فعلت ذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك كما دخل قلب الـظمآن حب الماء في اليوم القائظ[2].

– يتصف المؤمنون: بالتوحيد الذي يجعلهم رافعين راية لا إله إلَّا الله صدقا وعدلا تنفيذا لقوله تعالى: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (الزخرف:٤٥).

كما أنهم يتصفون بالديناميكية في الحياة التي تجعلهم نافعين لمجتمعاتهم ومحافظين على نظافة البيئة. قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم:٤١).

وفي نفس الوقت يتصفون بالحياء الذي يعني خشية الله في السر والعلانية. قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٤٤) عن عمرو بن السرح قال: حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي أن أبا الحويرث أخبره أن نعيم بن عبد الله المجمر أخبره.. به، والصغير (٢/ ٣٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٥٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٢.

(٢) حديث حسن الإسناد.أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١١) عن عبد الله حدثني أبي قال: ثنا على بن إسحاق قال: أنا عبد الله يعنى بن المبارك قال: أنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليمان بن موسى.. به. والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥٣) بإسناده، وقال: رواه أحمد وفي إسناده سليمان بن موسى وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وضعفه آخرون. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٠٨.

زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣٠، ٣١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النور:١٩).

ونرى ذلك واضحا في الأحاديث التالية:

–عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ: « الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلَّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »[١].

– وعن أبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال: « الإيمان بضع وستون شعبه والحياء شعبة من الإيمان »[٢].

– وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « الإيمان سبعون أو اثنان وسبعون بابا أرفعه لا إله إلَّا الله وأدناه إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »[٣].

– كما يتصف المؤمنون: بالصبر على شدائد الحياة المادية والمعنوية وسماحة الصدور التي تجعلهم يتصفون بمكارم الأخلاق، ومن علامات الإيمان الصبر والسماحة، وذلك يحقق للأمة

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان (٣٥) عن زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح.. به، وأبو داود في السنة، باب في رد الإرجاء (٤٦٧٦) وابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان (٥٧) والنسائي في الإيمان وشرائعه، باب ذكر شعب الإيمان (٥٠٠٤) جميعهم بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٢.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الإيمان، باب أمور الإيمان (٩) عن عبد الله بن محمد الجعفي قال: حدثنا أبو عامر العقدي قال: حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٣.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٧٩) عن عبد الله حدثني أبي حدثنا قتيبة حدثنا بكر بن مضر عن عمارة بن غزية عن أبي صالح.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٤.

الإسلامية الصمود لكل التحديات، والسلام الاجتماعي الذي يهيئ المناخ اللازم للتقدم في كل المجالات. قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الشورى:٤٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٤).

وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٧٧).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن جابر بن عبد الله قال: قيل: يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال: الصبر والسماحة [١].

- وعن الحسن قال: الإيمان، الصبر، والسماحة، الصبر عن محارم الله وأداء فرائض الله[٢].

- ومن أفضل الإيمان: الأخلاق الحسنة التي يعيش بها المؤمن في مجتمعه فيكون عنوانا على حسن الإيمان. فيتصف المؤمنون: بأنهم لا يميلون إلى العنف والإرهاب حيث يأمن المجتمع الإيماني على نفسه وماله وعرضه لأن المؤمن يحجزه إيمانه عن الاعتداء على الغير سواء باليد أو اللسان. كما يحب المؤمن للناس ما يحب لنفسه من الخير وأن يشيع السلام في المجتمع الذي يعيش فيه سواء مع الجيران أو عامة المسلمين؛ ويطعم الطعام ابتغاء وجه الله.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة:٧١).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٢٢) عن أبي بكر أحمد بن محمد بن إبراهيم الصيدلاني أنا أبو الحسن الطرائفي نا عثمان بن سعيد الدارمي نا أبو بكر بن أبي شيبة نا حسين بن علي عن زائدة عن هشام عن الحسن.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٩٣.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٢٢) عن أبي عبد الله الحافظ أنا محمد بن إبراهيم الهاشمي نا محمد بن عمرو الجرشي نا عبد الله بن الجراح نا عمران بن خالد الخزاعي عن عمران القصير.. به، وقال: هذا قول الحسن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٩٤.

وقال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الشورى:٤٢).

وقال تعالى:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (لقمان:١٨-١٩).

وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ (الفرقان:٦٣).

وقال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الانسان:٨-٩).

ونرى ذلك واضحا في الأحاديث التالية:

- عن عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر قال: حر وعبد... ثم ذكر حديثا طويلا فقال: فيه: « أكمل المؤمنين من سلم المؤمنون من لسانه ويده »[1].

- وعن عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر قال: حر وعبد... ثم ذكر حديثا طويلا جاء فيه: « أفضل الإيمان خلق حسن »[2].

---

(١) حديث صحيح. أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٤) وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. عن ابن نمير حدثنا حجاج يعني ابن دينار عن محمد بن ذكوان عن شهر بن حوشب..به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣٨٥) عن ابن نمير حدثنا حجاج يعني ابن دينار عن محمد بن ذكوان عن شهر بن حوشب.. به. وقوله « خلق حسن » بالضم، قال بعض العارفين ضابط حسن الخلق أن يعاشر من ساء خلقه عشرة يظن الشيء الخلق أنه أحسن الناس خلقا وقيل حسن الخلق كف الأذى وبذل الندى وقيل لا يؤذي ولا يتأذى وجملة ما قال الله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين الأعراف ١٩٩. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٥.

– وعن عبد الله بن عمرو رضي اللهم عنهما عن النبي ﷺ قال: « أفضل الإسلام من سلم المسلمون من لسانه ويده »[١].

– وعن عبد الله بن حبشي الخثعمي أن النبي ﷺ سئل أي الأعمال أفضل: « أفضل الإسلام من سلم المسلمون من لسانه ويده وأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وأفضل الصلاة طول القنوت وأفضل الصدقة جهد المقل »[٢].

– وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: « لكل شيء حقيقة وما يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه وحتى يأمن جاره من بوائقه »[٣].

– وعَنْ عَبْد الله بْنِ عَمْرٍو رَضِي اللَّه عَنْهمَا « تطعم الطعام وتقري السلام على من عرفت ومن لم تعرف »[٤].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه بهذا اللفظ (أفضل) الطبراني في الأوسط (٣/ ٣٤٠) وبغير هذا اللفظ: البخاري في الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١٠) عن آدم بن أبي إياس قال: حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبي السفر وإسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي.. به، ومسلم في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام ونصف أموره أفضل (٤٠) بإسناده، والترمذي في صفة القيامة، باب ٥٢ (٢٥٠٤) بإسناده، والنسائي في السنن كتاب الإيمان وشرائعه، باب صفة المسلم (٤٩٩٦) بإسناده، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٩٩ ح ٣٤٦٢) بإسناده، وأخرجه الطبراني في الكبير (١ / ٣٦٩ ح ١١٣٧) عن عمرو بن عبسة، وأخرجه الدارمي في الرقاق، باب في حفظ اللسان (٢٧١٢) عن محمد بن يوسف حدثنا مالك بن مغول عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قيل يا رسول الله أي الإسلام أفضل قال:.. به، والطبراني في الكبير (١ / ٢٨٠ ح ٤٦٠). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه النسائي في السنن كتاب الزكاة، باب جهد المقل (٢٥٢٦) عن عبد الوهاب بن عبد الحكم عن حجاج قال: ابن جريج أخبرني عثمان بن أبي سليمان عن علي الأزدي عن عبيد بن عمير.. فذكره في حديث طويل، وأبو داود في الصلاة، باب في الرخصة في ذلك (١٦٧٧) بإسناده. وقوله: جهد المقل: قال في النهاية الجهد بالضم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة وقيل المبالغة والغاية وقيل هما لغتان في السوع والطاقة فأما في المشقة والغاية فالفتح ومن المضموم حديث الصدقة أي الصدقة أفضل قال جهد المقل أي قدر ما يحتمله حال القليل المال انتهى والمقل أي الفقير وقليل المال. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٧.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ٤٤١) عن هيثم قال: حدثنا أبو الربيع عن يونس عن أبي إدريس.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٩٧) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٣.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١٢).. به، ومسلم في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام ونصف أموره أفضل (٣٩) بإسناده عن عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ قال: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، والنسائي في الإيمان وشرائعه، باب أي الإسلام خير (٥٠٠٠) وأبو داو في الأدب، باب في إفشاء السلام (٥١٩٤) بإسناده، وابن ماجه في الأطعمة، باب سنان الطعام (٣٢٥٣) وأحمد في مسنده (٢ / ١٦٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٨.

– من أفضل الإيمان: أن يكون القلب كله لله فهو يحب لله ويبغض لله ويذكر الله على كل حال فمن أوثق عرى الإيمان أن يكون حب الله وخشيته هو الذى يشكل منهاج حياة المؤمن، لأن هذا يمنع تميع الأمة الإسلامية بين الأمم الأخرى ويحفظ لها هويتها ومعالم شخصيتها.

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (الممتحنة: ١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »[١].

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في السنة، اب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٦٨١) عن مؤمل بن الفضل حدثنا محمد بن شعيب بن شابور عن يحيى بن الحارث عن القاسم.. به، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٤٠) ومعنى الحديث: أن من لم يحب لله ويبغض لله لم يستكمل الإيمان. قال في الكشاف: الحب في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان ومن لازم الحب في الله حب أنبيائه وأصفيائه ومن شرط محبتهم اقتفاء آثارهم وطاعة أمرهم قال ابن معاذ وعلامة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء قال القاضي المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال فيه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يراه كمالا في نفسه أو غيره فهو من الله وإلى الله وبالله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته طاعة فسرت المحبة بإرادة الطاعة واستلزمت اتباع رسوله انتهى وقال ابن عطاء الله الحب في الله يوجب الحب من الله وهنا مراتب أربع الحب لله والحب في الله والحب بالله والحب من الله فالحب لله ابتداء والحب من الله انتهاء والحب في الله وبالله واسطة بينهما. والحب لله أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه والحب في الله أن تحب فيه من ولاه والحب بالله أن تحب العبد ما أحبه وما أحبه منقطعا عن نفسه وهواه >

- وعن قتادة قال: سمعت أنسا يحدث عن النبي ﷺ قال: « لا يؤمن أحدكم وحتى يحب للناس ما يحب لنفسه، وحتى يحب المرء لا يحبه إلا لله »[١].

- عن أياس الجهني أنه كان يقول قال: معاذ بن جبل يا نبي الله أي الإيمان أفضل قال: تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله[٢].

- وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: لأبي يا أبا ذر أي عرى الإيمان أوثق قال: الله ورسوله أعلم قال: الموالاة في الله والحب لله والبغض في الله[٣].

- وعن أبي عبد الله الحافظ أنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه أنا علي بن عبد العزيز نا أبو نعيم نا سفيان عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: لي: عاد في الله ووال في الله فإنه لا ينال ولاية الله إلا بذاك ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك[٤].

> والحب من الله أن يأخذك من كل شيء فلا تحب إلا إياه وعلامة الحب لله دوام ذكره والحب في الله أن تحب من لم يحسن إليك بدنيا من أهل الطاعات والحب بالله أن يكون باعث الحظ بنور الله مقهورا والحب من الله أن يجذبك إليه فيجعل ما سواه عنك مستورا حم عن أبي ذر قال ابن الجوزي حديث لا يصح ويزيد بن أبي زياد أحد رجاله. قال ابن المبارك ارم به وسوار العنبري قال فيه الثوري ليس بشيء انتهى. وبه يعرف أن تحسين المصنف له ليس في محله. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٠.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٧٢) عن عبد الله حدثني أبي ثنا روح ثنا شعبة... به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٤.

(٢) حديث صحيح لغيره. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٤١٥) عن علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا هشام بن علي ثنا عبد الله بن رجاء ثنا سعيد حدثني موسى قال سمعت من حدثني عن أياس الجهني أنه كان يقول قال معاذ بن جبل يا نبي الله أي الإيمان أفضل قال:.. به. وابن حجر في الإصابة (١ / ١٦٤) وقال: إياس بن سهل الجهني حليف الأنصار ذكره بن منده قال أبو نعيم أظنه تابعيا روى بن منده من طريق موسى بن جبير سمعت من حدثني عن إياس الجهني أنه كان يقول قال معاذ يا نبي الله أي الإيمان أفضل قال:.. به. و قال وروى مصعب بن المقدام عن محمد بن إبراهيم المدني عن أبي حازم أنه جلس إلى إياس بن سهل الأنصاري في مسجد بني ساعدة فقال لي أقبل علي أبا حازم أحدثك عن النبي ﷺ قلت الإسناد الأول منقطع وفي الثاني محمد بن إبراهيم وهو بن أبي حميد أحد الضعفاء. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٩٠.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٧٠) عن أبي بكر أحمد بن الحسن القاضي أنا أبو جعفر بن دحيم الشيباني نا أحمد بن محمد يعني ابن عمر المعروف بابن أبي أزرق نا عاصم بن النضر نا الفاء سمعت أبي يحدث عن حنش عن عكرمة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٩٥.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٧٠).. به. وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٣٤) بإسناده. والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٩٠) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه ليث ابن أبي سليم والأكثر على ضعفه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٩٦.

- ومن علامات الإيمان: الصبر لحكم الله والرضا بقضائه والإخلاص في تسليم الوجهة لله والتوكل عليه. قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ (القلم:٤٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة:٥).

وقال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٠).

ونرى ذلك واضحا في الحديث التالي:

- عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: « ذروة الإيمان أربع خصال الصبر للحكم والرضاء بالقدر والإخلاص للتوكل والاستسلام للرب »[1].

من ثمرات الإيمان:

- الإنفاق في وجوه الخير حتى مع محدودية الموارد، وهذا يحقق أسمى معاني التساند في المجتمع الإيماني. وهناك من الأحاديث ما يبين علامات استكمال الإيمان، وتلك العلامات هي:

- الإنفاق من إقتار: أي رغم ضعف الدخل وقلته وهذا يعني شدة الإخلاص وإرساء مبدأ التكافل الاجتماعي على جميع المستويات. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة:٧٩).

---

(١) حديث موقوف صحيح الإسناد. أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢١٦) عن محمد بن علي بن حبيش ثنا موسى بن هارون الحافظ ثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قال: ا ثنا بقية ثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان حدثني يزيد بن مرثد الهمداني أبو عثمان.. به، وابن المبارك في الزهد (١/ ٣١) عن بقية بن الوليد قال حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان قال حدثني يزيد بن مزيد الهمذاني أن أبا الدرداء قال:.. به. ومعنى الحديث: ذروة الإيمان أي أعلاه أربع خلال الصبر للحكم أي حبس النفس على كريه يتحمله أو لذيذ يفارقه انقيادا لقضاء الله والرضا بالقدر بالتحريك أي بما قدره الله في الأزل بأن يترك الاختيار وتطمئن نفسه على الواقع به لا يلتمس تقدما ولا تأخرا ولا يستزيد مزيدا ولا يستبدل حالا والإخلاص للتوكل أي إفراد الحق سبحانه في التوكل عليه وتفويض سائر أموره إليه والاستسلام للرب أي الانقياد إليه في أحكامه من الأوامر والنواهي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٩.

- الإنصاف من النفس: وهذا يعني إقامة دعائم العدل والحق على أسس راسخة بإنصاف الغير حتى من النفس. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٥).

- بذل السلام للعالم.. فالإسلام دين السلام القائم على كل معاني الخير من العدل والرحمة والمساواة وحرية الحوار وهذا معناه عالمية الإسلام التي تدعو إلى السلام العالمي. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنعام: ٥٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي إسحاق قال: سمعت صلة بن زفر يقول حدثنا أبو اليقظان عمار بن ياسر قال: ثلاث من الإيمان من جمعهن جمع الإيمان، الإنفاق من الإقتار تنفق وأنت تعلم أن الله سيخلفك وإنصاف الناس منك لا تلجئهم إلى قاض وبذل السلام للعالم[1].

- وعن عمار قال: قال رسول الله: « ثلاث من الإيمان الإنفاق في الإقتار وبذل السلام للعالم والإنصاف من نفسك »[2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٤٣ / ٤٥٥) عن أبي القاسم الشحامي أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو نصر بن قتادة أنا أبو الفضل بن خميروية الهروي أنا أحمد بن نجدة نا سعيد بن منصور نا خديج بن معاوية.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٩٩.

(٢) حديث حسن. أخرجه مرفوعا: البزار في مسنده (٤ / ٢٣٢) عن الحسن بن عبد الله الكوفي قال: نا عبد الرزاق قال: أنا معمر عن أبي إسحاق عن صلة.. به، وأخرجه موقوفا: ابن أبي شيبة في مصنفه (٦ / ١٧٢) عن وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن صلة عن عمار قال:.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٥٦) وقال: رواه البزار ورجاله الصحيح إلا أن شيخ البزار لم أر من ذكره وهو الحسن ابن عبد الله الكوفي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٨.

ومن أهم حقائق الإيمان التى تعتبر تتويجا لما سبق هو الجهاد لإعلاء كلمة الحق سواء بالنفس أو بالمال، فى جميع المجالات المادية والمعنوية: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأحقاف: ١٣).

ونرى ذلك فى الأحاديث التالية:

- عن عبد الله بن عبيد الليثي عن أبيه عن جده قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله ما الإيمان قال: الصبر والسماحة قال: يا رسول الله فأي الإسلام أفضل قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده قال: يا رسول الله فأي الهجرة أفضل قال: من هجر السوء قال: : يا رسول الله فأي الجهاد أفضل؟ قال: من أريق دمه وعقر جواده قال: يا رسول الله فأي الصدقة أفضل قال: جهد المقل قال: يا رسول الله فأي الصلاة أفضل قال: طول القنوت[1].

- وعن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ أي الإيمان أفضل قال: إيمان بالله قيل ثم ماذا قال: الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال: حج مبرور[2].

---

(١) حديث حسن لغيره. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧ / ٤٨) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وجعفر بن محمد الفريابي والحسين بن إسحاق التستري قالوا ثنا حوثرة بن اشرس ثنا سويد أبو حاتم صاحب الطعام.. به، والبيهقي في شعب الإيمان (٧ / ٢٣) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٥٨) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سويد أبو حاتم اختلف في ثقته وضعفه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٠٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه النسائي في مناسك الحج، باب ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل (٢٦٢٤) عن محمد بن رافع قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب.. به، وأحمد في مسنده (٢ / ٢٦٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٠٣.

الفصل الثالث

في فضل الإيمان والإسلام

الفرع الأول: فضل الشهادتين

تتناول الأحاديث الشريفة في هذا الفرع فضل الشهادتين في الموازين الإلهية، فهما مفتاح عالم الروح للترقي في ملكوت السماوات والأرض، لأن تلك الشهادتين هما دعامة العقيدة حيث معناها التسليم والإذعان لخالق الكون وحده، والاستعداد لتلقي أوامره من رسوله الأمين ﷺ لاعتقاد المؤمنين وتصديقهم بجميع ما أخبر به، فهذا الرسول هو مبعوث الحق لتوضيح مراده من الخلق. و هو كما يقول الإمام النورسي يشرح ويحل اللغز العجيب في سر خلقة العالم، ويفتح ويكشف الطلسم المغلق في سر حكمة الكائنات، ويوضح ويبحث عن الأسئلة الثلاثة المعضلة التي شغلت العقول وأوقعتها في الحيرة، إذ هي الأسئلة التي يسأل عنها كل موجود وهي: من أنت؟ ومن أين؟ وإلى أين؟ [1].

ومن فضل الشهادتين كما ورد في الأحاديث الصحيحة:

- أن من قالها بيقين وصدق يكون لها ثقل كبير في الموازين الإلهية قد يفوق كثيرا من السيئات التي اجترحها المسلم أثناء حياته على الأرض حيث لا يعدل مع اسم الله تعالى شيء في الموازين الإلهية وخاصة إذا قالها المؤمن بإخلاص ويقين، كذلك من فضل شهادة ألا إله إلَّا الله محمد رسول الله أنها تنجي من الشرك وتؤدي إلى توحيد الوجهة لله فيقيم كل العبادات بإخلاص النية لله تعالى. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (غافر:٦٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٤٨).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف:٨).

---

(١) الإمام النورسي، المكتوبات، الإشارة التاسعة عشرة، ص ٢٤٣.

وقال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المؤمنون:١٠٢).

وهذا المعنى نجده في الأحاديث التالية:

- عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال: رسول الله ﷺ: « إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول أحضر وزنك فيقول يا رب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال: فإنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء »[١].

- وعن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ: « يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول الله تبارك وتعالى هل تنكر من هذا شيئا فيقول لا يا رب فيقول أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب ثم يقول ألك عذر ألك حسنة فيهاب الرجل فيقول لا فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة »[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٢٦٣٩) سويد بن نصر أخبرنا عبد الله عن ليث بن سعد حدثني عامر بن يحيى.. به، وقال: أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، وأحمد في مسنده (٢ / ٢١٣) بإسناده. والحاكم في المستدرك (١ / ٤٦) وقال: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم فقد احتج بأبي عبد الرحمن فلهذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعامر بن يحيى مصري ثقة والليث بن سعد إمام ويونس المؤدب ثقة متفق على إخراجه في الصحيحين أ ووافقه الذهبي. وقوله: سجلا: هو الوعاء الكبير. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٩.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٣٠٠) عن محمد بن يحيى حدثنا ابن أبي مريم حدثنا الليث حدثني عامر بن يحيى.. به، والحاكم في المستدرك (١ / ٧١٠) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال ابن القيم في حاشيته (١٣ / ١٧) قال حمزة الكناني لا أعلم روى هذا الليث بن سعد وهو من أحسن الحديث. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٠.

- عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن إلا غفر الله له »[١].

- وعن الحسن: « من قال لا إله إلَّا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر »[٢].

- وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: « يؤتى برجل يوم القيامة ثم يؤتى بالميزان ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس مثل هذا وأمسك بابهامه على نصف أصبعه فيها أشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا عبده ورسوله فتوضع في كفة أخرى فترجح بخطاياه وذنوبه »[٣].

- وعن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: : بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ سمع القوم وهم يقولون أي الأعمال أفضل يا رسول الله؟ قال: رسول الله ﷺ : إيمان بالله وجهاد في سبيل الله وحج مبرور ثم سمع نداء في الوادي أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال: رسول الله ﷺ وأنا أشهد ولا يشهد بها أحد إلا برئ من الشرك[٤].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن ماجه في الأدب، باب فضل لا إله إلا الله (٣٦٩٦) عن عبد الحميد بن بيان الواسطي حدثنا خالد بن عبد الله عن يونس عن حميد بن هلال عن هصان بن الكاهل عن عبد الرحمن بن سمرة.. به، وأحمد في مسنده (٥ / ٢٢٩) بإسناده. والنسائي في عمل اليوم والليلة (١ / ٦٠٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٢.

(٢) حديث صحيح الإسناد. ابن حجر في لسان الميزان (٦ / ١٦٩) في ترجمة نعيم بن سالم، وقال: أخرجه بن النجار في الذيل في ترجمة أبي القاسم عبد الله بن عمر الكلوذاني المعروف بابن داية من روايته عن يونس بن طاهر بن محمد عن عبد الرحمن بن محمد بن حامد عن محمد بن عبد الوارث بن الحارث بن عبد الله بن عبد الملك الأنصاري لصاحب.. به. وقال: هذا حديث باطل وأظنه نعيم بن سالم الآتي في آخر الحروف تصحف اسمه واسم أبيه بالذي بعده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٠٢.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١ / ١٣٦) عن عبد الله بن يزيد ثنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد.. به. وله شاهد عند الترمذي في الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلَّا الله (٢٦٣٩) بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص. وقوله: سجلا: أي كتابا كبيرا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٣٣.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٤٧ / ٦٢) عن أبي الوفاء عبد الواحد بن أحمد أنا أبو طاهر أحمد بن محمود أنا أبو بكر بن المقرىء أنا أبو العباس بن قتيبة نا حرملة أنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن ابن أبي هلال أن يحيى بن عبد الله حدثه عن عون بن عبد الله.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٢٠.

- إن شهادة التوحيد هي مفتاح الجنة وخاصة إذا قالها المؤمن مخلصاً بصدق اليقين الذي لا شكّ فيه حيث لا تزعزعه تيارات الفتن وابتلاءات الدهر، وهذا ما وضحه لنا حديث الرسول ﷺ عن الثلاثة الذين دخلوا الغار فأغلق عليهم بصخرة ضخمة، ولم ينجيهم من ذلك الحبس إلا لحظة صدق اليقين في معاملاتهم مع البشر حيث أمدهم ذلك الصدق بطاقة هائلة حرروا بها أنفسهم من كل هوى النفس من حب الشهوات سواء النساء أو البنين أو الأموال.

وهذا نراه واضحا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأحقاف:١٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (طه:١٤).

وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (يونس:٢٦).

وهذا المعني نجده في الأحاديث التالية:

-عن أبي هريرة قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير... ثم ذكر حديثا طويلا جاء فيه: « أشهد أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله، لا يلقاني بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة »[1].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (٢٧) عن أبي بكر بن النضر بن أبي النضر قال: حدثني أبو النضر هاشم بن القاسم حدثنا عبيد الله الأشجعي عن مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف عن أبي صالح، واللفظ عنده: « لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما »، وأحمد في مسنده (٥ / ١٦٦) عن عبد الصمد حدثني أبي حدثنا حسين عن ابن بريدة أن يحيى بن يعمر حدثه أن أبا الأسود الديلي حدثه أن أبا ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وعليه ثوب أبيض... ثم ذكر حديثا ذكر فيه اللفظ، وعنده « ما من عبد قال لا إله إلّا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ». والفريابي في دلائل النبوة (١ / ٣٥) عن جعفر قال حدثنا أبو بكر بن أبي النضر قال حدثني أبو النضر هاشم بن القاسم قال حدثنا عبيد الله الأشجعي عن مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال كنا مع رسول الله ﷺ في مسيرة... فذكره بلفظه ضمن حديث طويل. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٦.

– وعن أبي حرب بن زيد بن خالد الجهني قال: أشهد على أبي زيد بن خالد الجهني لسمعته يقول أرسلني رسول الله ﷺ فقال لي: « بشر الناس أنه من قال لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وجبت له الجنة »(١).

– وعن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قال: حدثني أبي قال: ثم كنا مع رسول الله في غزوة غزاها فأصاب الناس مخمصة... وذكر حديثا طويلا جاء فيه: « أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. لا يلقاه بها أحد يوم القيامة إلا أدخله الجنة على ما كان فيه »(٢).

– وعن رفاعة الجهني قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال: بقديد... وذكر حديثا طويلا جاء فيه: « أشهد عند الله أن لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله صدقا من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة فقد وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عقاب وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تتبوؤا أنتم ومن صلح من آبائكم وأزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة »(٣).

– وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل: « اعلم أن من مات يشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله دخل الجنة »(٤).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٩٤٩) عن هارون بن إسحاق وأحمد ابن سعد بن أبي مريم قال: حدثنا قدامة بن محمد قال: حدثنا مخرمة عن أبيه.. به، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٩ ح ٣٨٩٩) بإسناده، والطبراني في الكبير (٢٠ / ٤٧ ح ٧٧) بإسناده وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في الأوسط (١ / ٢٧ ح ٦٣) عن أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن العلاء بن زبر قال: حدثنا أبي عبد الله بن العلاء عن الزهري والأوزاعي قال: حدثني المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: حدثني.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٠) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٩.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١٦) عن حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار.. به، وابن ماجه في الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ (٤٢٨٥) عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن مصعب عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني قال صدرنا مع رسول الله ﷺ فقال والذي نفس محمد بيده... ثم ذكره. والطبراني في المعجم الكبير (٥ / ٤٩ ح ٤٥٥٦) بإسناده، وابن حبان في صحيحه (١ / ٤٤٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤١.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٣١) عن محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال: سمعت أبا حمزة جارنا يحدث.. به، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٩٧١) بإسناده، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١/ ٢٦٥) >

– وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال معاذ بن جبل في مرضه الذي توفي فيه لو لا أن تتكلوا حدثتكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال: « اذهب فناد في الناس: أنه من شهد أن لا إله إلّا الله موقنا أو مخلصا فله الجنة »(1).

– وعن أبي ذر قال: أتيت رسول الله ﷺ وعليه ثوب أبيض فإذا هو نائم ثم أتيته أحدثه فإذا هو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه فقال: « ما من عبد قال لا إله إلّا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قال أبو ذر: قلت وإن زني وإن سرق. قال: : وإن زنى وإن سرق. قال في الرابعة: وإن رغم أنف أبي ذر »(2).

– وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من شهد أن لا إله إلّا الله وحافظ على صلاة الفجر ولم يتند بدم حرام دخل الجنة »(3).

– وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: « من شهد أن لا إله إلّا الله وأن محمدا عبده ورسوله مخلصا دخل الجنة »(4).

> بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٧٠ ح ٤٠٤١) بإسناده، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ١٧٣) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٢.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٤٠) علي بن عبد العزيز ثنا حجاج ابن المنهال ثنا سعيد بن زيد قال: سمعت عمرو بن دينار ثنا.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٦٦) عن عبد الصمد حدثني أبي حدثنا حسين عن ابن بريدة أن يحيى بن يعمر حدثه أن أبا الأسود الديلي حدثه.. به.و قوله: وإن رغم أنف أبي ذر: بفتح الراء وسكون المعجمة ويقال بضمها وكسرها وهو مصدر رغم بفتح الغين وكسرها مأخوذ من الرغم وهو التراب وكأنه دعا عليه بأن يلصق كلاهما بالتراب. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٨٣.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٢) عن أبي عمرو عثمان بن أحمد السماك ببغداد ثنا الحسين بن أبي معشر ثنا وكيع بن الجراح عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الرحمن بن عائذ... به، وصححه، ووافقه الذهبي. والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٩) وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون، ونعيم بن حماد في الفتن (١/ ١٤٨) بإسناده. وقوله: يتند: أي لم يصب منه بشيء. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٩٣.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٩٦٤) عن مرو بن هشام قال: حدثني محمد وهو بن سلمة عن بن إسحاق عن عيسى بن عبد الله بن مالك عن زيد بن وهب الجهني.. به، والطبراني في الأوسط (٢/ ٥٦) عن أبي العباس أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابن غزوان قال حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله:.. ثم ذكره، وابن غزوان الضبي في كتاب الدعاء (١/ ١٧٣) بإسناده.والمزي في تهذيب الكمال (٢٢/ ٦٢٤) و قال سليمان بن أحمد لم يرو هذا الحديث عن عيسى بن عبد الله بن مالك إلا محمد بن إسحاق رواه النسائي عن عمرو بن هشام الحراني عن محمد بن سلمة الحراني فوقع لنا بدلا عاليا وليس له عنده غيره. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٩٥.

– وعن جابر بن عبد الله يقول أنا من شهد معاذا حين حضرته الوفاة يقول اكشفوا عني سجف القبة أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ وقال مرة أخبركم بشيء سمعته من رسول الله ﷺ لم يمنعني أن أحدثكموه إلا أن تتكلوا سمعته يقول: « من شهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله مخلصا من قلبه وأن محمدا عبده ورسوله دخل الجنة ولم تمسه النار »[1].

– وعن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من شهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يغفر له إن هاجر أو قعد حيث ولدته أمه » قيل: يا رسول الله ألا أخرج فأؤذن الناس؟ قال: لا، ذر الناس يعملون فإن الجنة مائة درجة بين كل درجتين فيها مثل ما بين السماء والأرض وأعلى درجة منها الفردوس وعليها يكون العرش وهي أوسط شيء من الجنة ومنها تفجر أنهار الجنة وإذا سألتم الله شيئا فاسألوه الفردوس »[2].

– وعن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ وآله وسلم: « من لقي الله وهو يشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله دخل الجنة »[3].

– وعن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: « من مات وهو يشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله صادقا من قلبه دخل الجنة »[4].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٢٣٦) عن عبد الله حدثني أبي حدثنا سفيان ابن عيينة عن عمرو يعني ابن دينار..به، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ٤١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٩٧.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ١٥٧) عن علي بن عبد العزيز ثنا أبو همام الدلال ثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن.. به، والمقريزي في مختصر كتاب الوير (١ / ٣٣) بأسناده، وقال: إسناده حسن لغيره. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٩٩.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في الصغير (٢ / ٣٤) عن عمرو بن محمد الرفاعي الأصفهاني حدثنا محمد بن إبراهيم الحبراني حدثني أحمد بن علي بن الجارود الأصبهاني حدثنا إبراهيم بن عمرو بن حفص بن معدان قال: حدثنا بكر بن بكار حدثنا شعبة حدثنا.. به، وأبو يعلى في مسنده (٦ / ١٠) عن حمد حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال لمعاذ:... ثم ذكره، وابن منده في الإيمان (١ / ٢٦٣) عن محمد بن إبراهيم بن الفضل ثنا أحمد بن سلمة ثنا محمد بن بشار ثنا غندر عن شعبة عن قتادة عن أنس عن معاذ قال رسول الله ﷺ :.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥ ٢٢٩) وقال: وأحد اسانيد الطبراني رجاله ثقات وقد رواه في الصغير بنحوه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢١٥.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٢٢٩) عن محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢١٧.

- وعن عياض الأنصاري رفعه قال: « لا إله إلّا الله كلمة كريمة على الله ولها عند الله مكان جمعت وسولت من قالها صدقا من قلبه دخل الجنة ومن قالها كاذبا حقنت دمه وأحرزت ماله ولقي الله عز وجل غدا يحاسبه »[1].

- وعن معاذ عن رسول الله ﷺ قال: « لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب [موقن][2] إلا دخل الجنة »[3].

- وعن أبي وائل قال: حدثت أن أبا بكر لقي طلحة بن عبيد الله فقال: ما لي أراك واجما قال: كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ يقول: « إنها موجبة فلم أسأل عنها فقال أبو بكر أنا أعلمها هي لا إله إلّا الله »[4].

- وعن أبي ذر قال: قال: رسول الله ﷺ: يا أبا ذر بشر الناس أنه من قال لا إله إلّا الله دخل الجنة[5].

- وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: خرج النبي ﷺ ومعاذ بالباب فقال: يا معاذ قال: لبيك يا رسول الله قال: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة.

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٦) وقال: رواه البزار ورجاله موثقون إن كان تابعيه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، والديلمي في مسند الفردوس (٥ / ٨) عن عياض، وقال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (١ / ٨٨) بعد أن ذكر هذا الحديث: استدل بهذا من يرى قبول توبة الزنديق وهو المنافق إذا أظهر العود إلى الإسلام ولم ير قتله بمجرد ظهور نفاقه كما كان النبي ﷺ يعامل المنافقين ويجريهم على أحكام المسلمين في الظاهر مع علمه بنفاق بعضهم في الباطن وهذا قول الشافعي وأحمد في رواية عنه وحكاه الخطابي عن أكثر العلماء والله أعلم. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٢٧.

(٢) كان اللفظ في كنز العمال « المؤمن » والصواب ما أثبتناه من سنن ابن ماجه والطبراني وابن حبان وغيرها.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ٤٥) عن علي بن عبد العزيز ثنا عارم أبو النعمان ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب والحجاج الصواف ح وحدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن حميد بن هلال عن هصان بن كاهل قال: سمعت عبد الرحمن بن سمرة يحدث.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٣٠.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو يعلى في مسنده (١ / ٩٩) عن أبي خيثمة حدثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٥) بإسناده، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا وائل لم يسمعه من أبي بكر. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٠٩.

(٥) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١ / ٦٠) عن يونس حدثنا أبو داود قال: حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت والأعمش وعبد العزيز بن رفيع عن زيد بن وهب.. به، وابن منده في الإيمان (١ / ٢٢١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٢٥.

قال: معاذ ألا أخبر الناس قال: لا دعهم فليتنافسوا في الأعمال فإني أخاف أن يتكلوا[١].

– إن شهادة التوحيد تجعل لحظات الموت هينة، حيث تهون على الجسد آلامه بمفارقة الروح وتعطي الروح دفعة قوية عند انطلاقها من سجن الجسد وانطلاقها إلى رحاب الله لأنها عاشت تردد لا إله إلّا الله، وحانت لحظة إنهاء المهام والتوجه إلى رب الأنام.. ليس هذا فقط، بل إن ترديد تلك الكلمة عند الموت هو نور في صحيفة المؤمن يوم القيامة. وهذا نراه واضحا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣٠-٣٢).

وقال تعالى: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ (الواقعة: ٨٩).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (الحديد: ١٢).

وهذا المعني نجده في الأحاديث التالية:

– عن يحيى بن طلحة عن أمه سعدى المرية قالت: مر عمر بطلحة بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: ما لك كئيبا أساءتك إمرة ابن عمك قال: لا ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا كانت نورا لصحيفته وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت »[٢].

---

(١) حديث صحيح الإسناد.أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٤) عن أبي بكر بن خلاد قال: ثنا الحارث بن أبي أسامة قال: ثنا عبدالوهاب ابن عطاء وحدثنا محمد بن احمد بن الحسن في جماعة قال: وا ثنا أبو مسلم الكشي قال: ثنا معاذ بن عون الله واللفظ له قال: ثنا سليمان التيمي.. به، وقال: صحيح ثابت رواه عن أنس رضي الله تعالى سليمان التيمي جماعة منهم قتادة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٣٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن ماجه في الأدب، باب فضل لا إله إلا الله (٣٧٩٥) عن هارون بن إسحق الهمداني حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن مسعر عن إسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي.. به، وابن حبان في صحيحه (١ / ٤٣٥) بإسناده، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٩٤٠) وعمل اليوم والليلة (١ / ٥٩٢) بإسناده، وأبو يعلى في مسنده (١ / ٢٥٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٧.

- وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لطلحة بن عبيد الله ما لي أراك قد شعثت واغبررت منذ توفي رسول الله ﷺ لعلك ساءك يا طلحة إمارة ابن عمك: معاذ الله! ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل عند حضرة الموت إلا وجد روحه لها روحا حين تخرج من جسده وكانت له نورا يوم القيامة » فلم أسأل رسول الله ﷺ عنها ولا أخبرني بها فذلك الذي دخلني قال: عمر فأنا أعلمها قال: فللّه الحمد، فما هي؟ قال: هي الكلمة التي قالها لعمه لا إله إلّا الله قال صدقت[1].

- وعن يحيى بن طلحة عن أبيه قال: رأى عمر طلحة بن عبيد الله حزينا فقال: ما لك؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ إني لأعلم كلمة « وفي لفظ » كلمات لا يقولهن عبد عند الموت إلا نفس عنه وفي لفظ إلا نفس الله عنه كربة وأشرق لها لونه ورأى ما يسره فما منعني أن أسأل عنها إلا القدرة عليها حتى مات فقال عمر إني لأعلم ما هي؟ قال: هل تعلم كلمة هي أفضل من كلمة دعا إليها رسول الله ﷺ عمه عند الموت قال طلحة هي والله هي قال عمر لا إله إلّا الله[2].

رابعاً ـ من قال لا إله إلّا الله من أعماق قلبه يبتغي بها وجه الله وتسربل بها وجدانه وكيانه وتحرر بها من كل قيود العبودية لغير الله، حرَّم الله عليه النار يوم القيامة، حتى لو اقترف بعض الذنوب خلال حياته لما فيها من أنوار، تؤمنه عذاب الجبار. وهذا نراه واضحا في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس:١٠٣).

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء:٨٩).

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠١).

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم:٧٢).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٢٨) عن عبد الله بن نمير عن مجالد عن عامر.. به، وأبو يعلى في مسنده (٢ / ١٣) بإسناده، وابن ماجه في الأدب، باب فضل لا إله إلّا الله (٣٧٩٥) بإسناده، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٩٣٧) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤١٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١٣٨٧) عن أسباط حدثنا مطرف عن عامر.. ثم ذكره، وأبو يعلى في مسنده (٢ / ٢٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤١٦.

وهذا المعنى نجده في الأحاديث التالية:

- عن الزهري قال: أخبرني محمود بن الربيع وزعم محمود أنه عقل رسول الله ﷺ وقال: وعقل مجة مجها من دلو كانت في دارهم قال: سمعت عتبان بن مالك الأنصاري ثم أحد بني سالم قال: غدا علي رسول الله ﷺ فقال: « لن يوافى عبد يوم القيامة يقول لا إله إلَّا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار »[1].

- وعن أبي ذر رضي الله عنه حدثه قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال: « ما من عبد قال لا إله إلَّا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق، وإن زنى وإن سرق، وإن زنى وإن سرق، وإن رغم أنف أبي ذر »[2].

- وعن عتبان بن مالك قال: قدمت المدينة فلقيت عتبان فقلت حديث بلغني عنك قال: أصابني في بصري بعض الشيء فبعثت إلى رسول الله ﷺ : « لا يشهد أحد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه »[3].

- وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل قال: « يا معاذ بن جبل ما من أحد يشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار قال يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا قال: إذاً يتكلوا »[4].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الرقاق، باب العمل الذي يبتغي به وجه الله فيه سعد (٦٤٢٢) عن معاذ بن أسد أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر.. به، وأحمد في مسنده (٤ / ٤٤) بإسناده في حديث طويل. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٩.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في اللباس، باب الثياب البيض (٥٨٢٧) عن حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث عن الحسين عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر حدثه أن أبا الأسود الدؤلي حدثه.. به، ومسلم في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار (٩٤) بإسناده، وأحمد في مسنده (٥ / ١٦٦) بإسناده. وقوله: رغم: أي ألصق بالتراب؛ كناية عن الذل. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٠.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (٣٣) عن شيبان بن فروخ حدثنا سليمان يعني ابن المغيرة قال: حدثنا ثابت عن أنس بن مالك قال: حدثني محمود بن الربيع.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٤.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١٢٨) عن إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة قال: حدثنا.. به، وأحمد في مسنده (٤ / ١٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٥.

– وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: « يخرج من النار من قال لا إله إلّا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلّا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلّا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة »[١].

– وعن عبادة بن الصامت أنه قال: دخلت عليه وهو في الموت فبكيت فقال: مهلا لم تبكي فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن شفعت لأشفعن لك ولئن استطعت لأنفعنك ثم قال: والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من شهد أن لا إله إلّا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار »[٢].

– وعبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري حدثني أبي قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فقال: « أشهد أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما إلا حجبت عنه النار يوم القيامة »[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩١) عن محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة وهشام صاحب الدستوائي عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ح و حدثني أبو غسان المسمعي ومحمد بن المثنى قال: حدثنا معاذ وهو ابن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة:.. به، وأحمد في مسنده (٣/ ١١٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (٢٩) عن قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن ابن عجلان عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز عن الصنابحي.. به، وأحمد في مسنده (٦ / ٨٥) بإسناده، والترمذي في الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلّا الله (٢٦٣٨) بإسناده، وقال: النار وفي الباب عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وجابر وابن عمر وزيد بن خالد قال سمعت ابن أبي عمر يقول سمعت ابن عيينة يقول محمد بن عجلان كان ثقة مأمونا في الحديث قال أبمو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه والصنابحي هو عبد الرحمن بن عسيلة أبو عبد الله وقد روي عن الزهري أنه سئل عن قول النبي ﷺ من قال لا إله إلّا الله دخل الجنة فقال إنما كان هذا في أول الإسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي قال أبو عيسى ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة وإن عذبوا بالنار بذنوبهم فإنهم لا يخلدون في النار. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٩.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤١٧) عن علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله يعني ابن مبارك قال: أخبرنا الأوزاعي قال: حدثني المطلب بن حنطب المخزومي قال: حدثني... وذكره في حديث طويل. وابن سعد في الطبقات الكبرى (١ / ١٨٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٨.

- وعن محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرا من الأنصار أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: « إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلّا الله يبتغي بذلك وجه الله »[1].

- عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال معاذ بن جبل في مرضه لولا أن تتكلوا لحدثتكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال: « إن الله عز وجل حرم النار على من شهد أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله »[2].

- وعن عثمان بن عفان عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم قال: سمعت رسول الله يقول: « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار لا إله إلّا الله »[3].

- وعن عتبان بن مالك فلقيت عتبان بن مالك في حديث طويل جاء فيه: « ليس أحد يشهد أن لا إله إلّا الله فتطعمه النار »[4].

- وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: « من شهد أن لا إله إلّا الله مخلصا بها يموت على ذلك حرمه الله عز وجل على النار »[5].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الصلاة، باب المساجد في البيوت وصلى البراء بن عازب في مسجده في داره جماعة (٤٢٥)عن سعيد بن عفير قال: حدثني الليث قال: حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني... ثم ذكره ضمن حديث طويل، وبإسناده مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (٣٣). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه بلفظه: عبد بن حميد في مسنده (١ / ٧٠)عن محمد بن الفضل ثنا سعيد بن زيد قال: سمعت عمرو بن دينار المكي قال: ثنا... به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٥.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١ / ٤٣٤) عن محمد بن إسحاق بن خزيمة قال حدثنا محمد بن يحيى الأزدي قال حدثنا عبد الوهاب بن عطاء قال حدثنا سعيد عن قتادة عن مسلم ابن يسار عن حمران بن أبان عن عثمان بن عفان عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ :.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٩.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٤٤٩) عن حجاج حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك حدثنا محمود بن الربيع...به، وأبو عوانة في مسنده (١ / ٢٤) عن أبي أمية قال ثنا عفان قال ثنا حماد بن سلمة قال أنبا ثابت عن أنس بن مالك عن محمود بن الربيع إن عتبان بن مالك... في حديث طويل به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٨.

(٥) حديث حسن الإسناد. أخرجه المقدسي في الأحاديث المختارة (٧ / ٢٥٣) عن أبي جعفر محمد بن علي بن يحيى بن علي بن الطراح ببغداد أن محمد بن عمر الأرموي أخبرهم أنبا عبد الصمد بن علي بن المأمون أنبا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني ثنا محمد بن سهل بن الفضل الكاتب ثنا عمر بن شبة حدثني ميسور بن خالد العصفري ثنا عامر بن يساف ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن النضر بن أنس.. ثم ذكره، وابن عبد البر في التمهيد (١٠ / ١٥٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٩٢.

- وعن سهيل ابن البيضاء قال: بينما نحن في سفر مع رسول الله ﷺ وأنا رديفه فقال رسول الله ﷺ: « يا سهيل بن البيضاء إن [ورفع صوته مرتين أو ثلاثا كل ذلك يجيبه سهيل فسمع الناس صوت رسول الله ﷺ فظنوا أنه يريدهم فحبس من كان بين يديه ولحقه من كان خلفه حتى إذا اجتمعوا قال رسول الله ﷺ: [(١)] إنه من شهد أن لا إلٰه إلاَّ الله حرمه الله على النار وأوجب له الجنة »[(٢)].

- عن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه يموت على ذلك إلا حرمه الله على النار » فقال عمر بن الخطاب: أنا أحدثكم ما هي، هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله محمدا وأصحابه وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله عمه أبا طالب عند الموت شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله [(٣)].

- وعن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: سمع النبي ﷺ نداء وهو يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله فقالوانا أشهد أن لا يشهد بها أحد إلا برئ من النار[(٤)].

- وعن عتبان بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ فقلت إني قد أنكرت بصري وإن السيول تحول بيني وبين مسجد قومي ولوددت أنك جئت فصليت في مسجد بيتي مكانا أتخذه مسجدا فقال النبي ﷺ افعل إن شاء الله فمر النبي ﷺ على أبي بكر فاستتبعه فانطلق معه فاستأذن فدخل فقال وهو قائم أين تريد أن أصلي؟ فأشرت إليه حيث أريد، ثم حبسناه على خزيرة صنعناه له فسمع به أهل الوادي يعني أهل الدار فثابوا إليه حتى امتلأ البيت فقال: أين مالك بن الدخشن أوالدخيشن فقال: إن ذلك رجل منافق لا يحب الله ورسوله فقال النبي ﷺ

---

(١) ما بين المعكوفين غير موجود بالأصل واستدركناه من مسند الإمام أحمد ليتم المعنى.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٥١) عن قتيبة بن سعيد قال: أخبرنا بكر بن مضر عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن سعيد بن الصلت.. به، والطبراني في الكبير (٦/ ٢١٠) بإسناده،وابن حبان في صحيحه (١ / ٤٢٨) بإسناده. وابن حجر في الإصابة (٣/ ٢١١). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٣٢.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣٩٤) عبد الوهاب الخفاف حدثنا سعيد عن قتادة عن مسلم بن يسار عن حمران بن أبان عن.. به، والشافعي في مسنده (١/ ١٩٧) بإسناده، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٥٣) بإسناده، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٢٥٤) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٢) بإسناده، وصححه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤١٥.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩٨٦٧) عن عمرو بن منصور قال: حدثنا اصبغ بن فرج قال: أخبرني ابن وهب عن عمرو عن سعيد بن أبي هلال أن يحيى بن عبد الرحمن حدثه عن عون بن عبد الله.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤١٩.

لا تقل وهو يقول لا إله إلّا الله يبتغي بذلك وجه الله فقالوا يا رسول الله أما نحن فنرى وجهه وحديثه في المنافقين فقال النبي ﷺ لا يقال: وهويقول لا إله إلّا الله يبتغي بذلك وجه الله قالوا: بلى يا رسول الله قال: فلن يوافي بها عبد يوم القيامة يقول لا إله إلّا الله يبتغي بذلك وجه الله إلا حرم على النار[1].

– من فضل شهادة التوحيد أنها تشفع لصاحبها عند الله حتى لو ضعف في قلبه الإيمان أو قل، لأن ما في شهادة التوحيد من أنوار (رغم خفوتها) يجعله يستحق شفاعة الرحمن. وهذا نراه واضحا في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام:٥١).

و قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (الأعراف:٥٣).

و قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (يونس:٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الدخان: ٤٠-٤٢).

وهذا المعني نجده في الأحاديث التالية:

–عن حميد قال: سمعت أنسا رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة من الإيمان فيدخلون ثم يقول ادخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء »[2].

---

(١) حديث حسن صحيح الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١ / ٥٠٢ ح ١٩٢٩) عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن محمود بن الربيع.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٢٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥٠٩) عن يوسف بن راشد حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا أبو بكر بن عياش.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٣.

- عن أنس عن النبي ﷺ قال: مازلت أشفع إلى ربي فيشفعني حتى أقول شفعني فيمن قال لا إله إلَّا الله فيقول ليست هذه لك يا محمد إنما هي لي أنا وعزتي وحلمي ورحمتي لا أدع في النار أحدا قال لا إله إلَّا الله[1].

- إن معظم الأحاديث التي تبين فضل الشهادتين تشترط أن تكون تلك الكلمة من عبد مؤمن بهما نابعة من حقيقة القلب، يتبعها العمل الصالح السديد القائم على أحكام الشريعة، بحيث يتحرر من الحرص على الدنيا أو التجبر على الناس في تعاملاتهم. وهذا نراه واضحا في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك: ٢٢).

وقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ (الدخان: ١٩).

وهذا المعني نجده في الأحاديث التالية:

- إن شهادة لا إله إلَّا الله تحقق توافقا بين الإنسان والكون الذي ينصهر في بوتقة التوحيد، ومن قتل موحدا فإن الأرض تئن منه، وقد تلفظه إذا دفن فيها. وهذا نراه واضحا في قوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ (الرعد: ١٣).

وهذا المعني نجده في (حديث ١٤٧).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥ / ١٧٢) عن هارون بن عبد الله حدثنا حماد ابن مسعدة عن عمران القمي عن الحسن.. به، وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٣٩٦) بإسناده، وقال محققه الشيخ الألباني: حديث صحيح ورجاله ثقات رجال عمران وهو ابن داوز القطان العمي وهو صدوق يهم لكنه قد توبع. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٨٠.

– عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ قَالَ أَتَى نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَأَصْحَابُهُ فَقَالُوا هَلَكْتَ يا عِمْرَانُ قَالَ مَا هَلَكْتُ قَالُوا بَلَى « إن الأرض لتقبل من هو شر منه ولكن الله أحب أن يريكم تعظيم حرمة لا إله إلَّا الله »[1].

– إن لا إله إلَّا الله تنجي المؤمن من وساوس الشيطان التي يلقيها في نفس الإنسان، لأن تلك الوساوس تبدو باهتة خافتة أمام أنوار اليقين بأنه لا قدرة في الوجود إلا لله، فكل شيء تحت حكمه وأمره وبإرادته.. ومن قالها بصدق ينل وعد الحق. قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن: ١١).

وهذا المعنى نجده في الأحاديث التالية:

– عن محمد بن جبير بن مطعم أن عمر بن الخطاب مر على عثمان وهو جالس في المسجد عليه فلم يرد عليه فدخل على أبي بكر فاشتكى ذلك إليه فقال: مررت على عثمان فسلمت عليه ولم يرد علي قال فأين هو قال هو في المسجد قاعد قال فانطلقنا إليه فقال له أبو بكر ما منعك أن ترد على أخيك حين سلم عليك، قال والله ما شعرت أنه سلم مر بي وأنا أحدث نفسي فلم أشعر أنه سلم فقال أبو بكر فبإذا تحدث نفسك قال خلا بي الشيطان فجعل يلقي في نفسي أشياء ما أحب أني تكلمت بها وأن لي ما على الأرض قلت في نفسي حين ألقى الشيطان ذلك في نفسي يا ليتني سألت رسول الله ﷺ ما الذي ينجينا من هذا الحديث الذي يلقي الشيطان في أنفسنا فقال أبو بكر فإني والله قد اشتكيت ذلك إلى رسول الله ﷺ وسألته ما الذي ينجينا من هذا الحديث الذي يلقي الشيطان منه في أنفسنا فقال رسول الله ﷺ: « ينجيكم من ذلك أن تقولوا مثل الذي أمرت به عمي عند الموت فلم يفعل »[2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب الكف عمن قال لا إله إلا الله (٣٩٣٠) عن سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ عَاصِمٍ عَنِ السُّمَيْطِ بْنِ السَّمِيرِ... ثم ذكر حديثا طويلا ذكر فيه هذا اللفظ. وقال في مصباح الزجاجة: هذا إسناد حسن إسماعيل مختلف فيه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٧.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٧) عن أبي سعيد مولى بني هاشم حدثنا عبد العزيز بن محمد وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام عن عمرو بن أبي عمرو عن أبي الحويرث.. به. وأبو يعلى في مسنده (١ / ١٢٢) عن يحيى بن أيوب حدثنا إسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو يعني بن أبي عمرو عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير.. ثم ذكر حديثا طويلا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٥.

- وعن أبي بكر قال: قلت يا رسول الله فيم نجاة هذا الأمر قال: في الكلمة التي أردت عليها عمي فأبى، شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله وفي لفظ وأني رسول الله »[١].

- إن شهادة لا اله إلا الله بإخلاص تستدعي رحمة الله تعالى، و ذلك كما قال جل شأنه: ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف ١٥٦).

و نرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أنس عن النبي ﷺ قال: « مازلت أشفع إلى ربي فيشفعني حتى أقول شفعني فيمن قال لا إله إلَّا الله فيقول ليست هذه لك يا محمد إنما هي لي أنا وعزتي وحلمي ورحمتي لا أدع في النار أحدا قال لا إله إلَّا الله »[٢].

- وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال لا إله إلَّا الله وجبت له الجنة، ومن قال سبحان الله وبحمده كتبت له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » قالوا: يا رسول الله إذا لا يهلك منا أحد، قال: « بلى، إن أحدكم ليجيء بالحسنات له لو وضعت على جبل ثقلته ثم يجيء وبالنعم [ثم تجيء النعم] فتذهب بتلك ثم يتطاول الرب بعد ذلك برحمته »[٣].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١٢٤) عن إبراهيم قال: حدثنا عمرو بن خلف قال. حدثنا فضيل بن سليمان النمري قال: حدثنا عمر بن سعيد بن سرحة التنوخي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن عثمان بن عفان. به، وقال. لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا عمر بن سعيد. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٠٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥/ ١٧٢) عن هارون بن عبد الله حدثنا حماد بن مسعدة عن عمران القمي عن الحسن . به، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٩٦) بإسناده، وقال محققه الشيخ الألباني. حديث صحيح ورجاله ثقات رجال عمران وهو ابن داور القطان العمي وهو صدوق يهم لكنه قد توبع. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٨٠.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٧٩) عن أبي بكر محمد بن داود بن سليمان لصاحب ثنا الحسن بن أحمد بن الليث ثنا أحمد بن شريح أنبأ محمد بن يونس اليمامي ثنا يحيى بن شعبة بن يزيد.. به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد شاهد لحديث سليمان بن هرم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٣) بإسناده، وقال: قال الحاكم صحيح الإسناد. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢١.

- وقد أخبر الخليفة الراشد علي ﷺ أن أفصح الناس وأعلمهم بالله عزَّ وجلَّ هم الذين يحبون ويعظمون أهل لا إله إلَّا الله.. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر:٩)

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح ٢٩).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن علي قال: أفصح الناس وأعلمهم بالله عز وجل أشد الناس حبا وتعظيما لحرمة أهل لا إله إلَّا الله [١].

الفرع الثاني: في فضائل الإيمان المتفرقة

بعد أن عرضنا في الفرع الأول فضل الشهادتين كدعامة أساسية للتوحيد حيث يوقن المسلم أن النافع هو الله، والضار هو الله، وأن كل ما يشغله من أمور الرزق والأجل والمعاش مقدر سلفا فالله هو الرزاق ذو القوة المتين، بيده مفاتيح السماوات والأرض، فلا إله غيره ولا مهيمن سواه. نعرض هنا في هذا الفرع ما يترتب على التوحيد من نبع الأحاديث الشريفة:

- يبين الرسول ﷺ أن من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، حتى لو اقترف بعض الذنوب، لأن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، لأن التوحيد هو دعامة الإيمان، حيث يحرر الإنسان من العبودية لغير الله، ويجعل المؤمن ينطلق في الحياة لإعلاء كلمة الحق لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يخشى جبروت الطغاة الجبارين الذين يسعون للسيطرة على مقدرات الشعوب مما يعلي مبادئ الحق من العدل والحرية والمساواة، ويسمح

---

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٧٤) عن محمد بن أحمد بن الحسن ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا ضرار بن صرد ثنا علي بن هاشم بن البريد عن محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن عمر بن علي بن الحسين عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٣٤.

للشعوب المستضعفة بعبادة ربها حق عبادته والاستفادة بثرواتها، والحفاظ على مقدساتها وحرماتها وأمنها.

ولذلك فإن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين أهمية التوحيد وضرورته من الكثرة والوضوح بحيث لا تدع أي مجال للشك في أن التوحيد هو مراد الحق من الخلق وهو رسالة الأنبياء جميعا لأنه يعلي كرامة الإنسان ويحقق له إنسانيته التي تتفق ورسالته السامية في الحياة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٨).

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١٤٦).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢).

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج: ٣٢).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: « أتاني جبريل فقال: بشّر أمتك من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت يا جبريل وإن زنى وإن سرق قال: نعم وإن زنى وإن سرق قال: نعم وإن زنى وإن سرق قال: نعم وإن شرب الخمر »[1].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في الإيمان (٢٦٤٤) عن محمود بن غيلان حدثنا أبو داود أخبرنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت وعبد العزيز بن رفيع والأعمش كلهم سمعوا زيد بن وهب.. به، و قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن أبي الدرداء، وأحمد في مسنده (٥ / ١٥٩) بإسناده، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٩٥٦) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١٩٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٣٧.

– وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أتاني جبريل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق »[(١)].

– وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: « قال الله تعالى من علم أني ذو قدوة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي مالم يشرك بي شيئا »[(٢)].

– وعن مسدد قال: حدثنا معتمر قال: سمعت أبي قال: سمعت أنس بن مالك قال: ذكر لي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: « من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة »[(٣)].

– وعن جابر قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله ما الموجبتان فقال: « الموجبتان: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار »[(٤)].

– وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقي الله يشرك به شيئا دخل النار »[(٥)].

– وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي يقول سمعت رسول الله ﷺ: « من لقي الله وهو لا يشرك به شيئا دخل الجنة ولم يضره معه خطيئة، كما لو لقيه وهو يشرك به دخل النار، ولم تنفعه معه حسنة »[(٦)].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٨٩) ب عن أحمد بن محمد بن الحسين الخسروجردي ثنا داود بن الحسين البيهقي ثنا حميد بن زنجويه ثنا النضر بن شميل أنبأ شعبة ثنا حبيب بن أبي ثابت وسليمان الأعمش وعبد العزيز بن رفيع قالوا سمعنا زيد بن وهب يحدث.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٣٨

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٤١) عن أبي شيخ محمد بن الحسين بن عجلان الأصبهاني ثنا سلمة بن شبيب ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة.. به، والحاكم في المستدرك (٤ / ٢٩١) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٥٣.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١٢٩).. به، وأحمد في مسنده (٣/ ١٥٧) بإسناده. وقوله: من لقي الله: أي من لقي الأجل الذي قدره الله يعني الموت، وقوله: لا يشرك به: أي والحال أنه مشرك به شيئا لقيه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٥٨.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار (٩٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان.. به، وأحمد في مسنده (٤ / ٣٢١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣١٥.

(٥) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٢٥) عن أبي عبيدة الحداد حدثنا هشام عن أبي الزبير.. به، والبيهقي في شعب الإيمان (١ / ٣٣٠ ح ٣٦٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٢٦.

(٦) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧٠) عن أبي أحمد وأبو نعيم قال: حدثنا سفيان >

– وعن أنس بن مالك قال: ثم خرج رسول الله ﷺ ومعاذ بن جبل بالباب فلما رآه قال: « يا معاذ من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قال: ألا أخبر الناس قال : دعهم فليتنافسوا في الأعمال فإني أخاف أن يتكلوا »[١].

– وسبب كثرة الأحاديث السابقة في مغفرة الله لمن مات لا يشرك به شيئا، هو أن الله جلَّ شأنه لا يقبل إلا التوحيد بما يتناسب مع جلاله وقدره العظيم، وحرصا منه على إنسانية الإنسان، فلا يتشتت بين أهواء متعددة، أو آلهة من صنع خياله المريض، فتضيع إمكانياته الروحية والمادية هباء.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (الزمر:٢٩).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾ (الزمر:٦٤).

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا ﴾ (الإسراء:٢٢).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (**أهل التقوى وأهل المغفرة**) قال: « قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى أن يجعل معي إله فأنا أهل أن أغفر له »[٢].

> عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه هذا في حديث أبي أحمد الزبيري قال: نزل رجل على مسروق فقال: سمعت.. به. والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٩) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ما خلا التابعي فإنه لم يسم ورواه الطبراني فجعله من رواية مسروق عن عبد الله بن عمرو. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٢٨.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ٤٦) عن أبي مسلم الكشي ثنا معاذ بن عوذ الله ثنا سليمان التيمي..به، وأبو نعيم في حلسة الأولياء (٣/ ٣٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٥٧.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٤٢) عن زيد بن الحباب أخبرني سهيل أخو حزم حدثنا ثابت البناني.. به، والترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة المدثر (٥ / ٤٣٠) بإسناده، وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٢٩٩) بإسناده، والنسائي في السنن الكبرى (١١٦٣٠) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٢ / ٥٥٢) بإسناده، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٥٤.

- ومن أساسيات التوحيد وعدم الشرك بالله: شهادة ألا إله إلَّا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق والبعث حق.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ (الحج:٦، ٧).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء:١٧١).

ويوضح ذلك الحديث التالي:

- عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن البعث حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل، من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»[1].

- ومن فضائل التوحيد أنه إذا جاء هو والشرك يجثوان بين يدي رب العزة، فإنه ينقذ أهله من النيران، وهذا بعكس الشرك وأهله.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران:١٦٢).

وقال تعالى: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج ٣١).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (٢٨) عن داود بن رشيد حدثنا الوليد يعني ابن مسلم عن ابن جابر قال: حدثني عمير بن هانئ قال: حدثني جنادة ابن أبي أمية حدثنا.. به، وأحمد في مسنده (١ / ١٦) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (١ / ٢٨) بإسناده، وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٧٧.

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (الإسراء:٣٩).

وقال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (آل عمران:١٨٥).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عَنْ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ: « إن الله تعالى يقول لأهون أهل النار عذابا: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم؛ أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا الشرك »[١].

- وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما في الأرض من شيء أكنت مفتديا به. فيقول نعم؛ فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك؛ قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك »[٢].

- وعن جابر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار [٣].

- وعن الجارود العبدي قال: أتيت النبي ﷺ فقلت إن لي دينا فإن تركت ديني ودخلت في دينك فلي أن لا يعذبني الله في الآخرة قال: نعم [٤].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، (٣٣٣٤) عن قَيْس بْن حَفْصٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٨٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢١٨) عن حجاج حدثني شعبة عن أبي عمران الجوني.. به. وقد ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٩) عن أنس. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٨٦.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار (٩٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٤٠.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٢١٩) عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا خالد بن مخلد عن علي بن هاشم عن أشعث عن محمد بن سيرين.. به.، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٢٦٨) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٢) بإسناده، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٤١.

- ومن فضل التوحيد وأهميته أن الله لا يعذب المؤمن الذي صدق في شهادة التوحيد من قلبه، واستغفر من الذنوب، أما العاصون من الموحدين الذين ماتوا قبل الاستغفار، فهو لا يعذبهم عذابا شديدا مثل الكافرين، حيث يخفف عنهم العذاب إكراما لما عمر قلوبهم من شهادة التوحيد.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم:٧١، ٧٢).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن معاذ بن جبل قال: كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار يقال له عفير قال فقال: «يا معاذ بن جبل، هل تدري ماحق الله على عباده؟ وماحق العباد على الله؟ فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا»[1].

- وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»[2].

- وعن ابن أبي شيبة ثنا حسين بن علي عن زائدة عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر هو بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ناد يا عمر في الناس، أنه من مات يعبد الله

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (٣١) عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون.. به، وأحمد في مسنده (٥ / ٢٢٨) بإسناده، والترمذي في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٣) بإسناده، وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٢٩٦) بإسناده. و قوله: هل تدري ما حق الله على عباده: الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة، ويقال للكلام الصدق حق لان وقوعه متحقق لا تردد فيه وكذا الحق المستحق على الغير إذا كان لا تردد فيه، والمراد هنا: ما يستحقه الله على عباده مما جعله محتما عليهم؛ قاله ابن التيمي في التحرير، وقال القرطبي: حق الله على العباد: هو ما وعدهم به من الثواب وألزمهم إياه بخطابه. وقوله: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا: المراد بالعبادة: عمل الطاعات واجتناب المعاصي، وعطف عليها عدم الشرك لأنه تمام التوحيد، والحكمة في عطفه على العبادة أن بعض الكفرة كانوا يدعون أنهم يعبدون الله ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى، فاشترط نفي ذلك، والتقدير: يعبدونه في حال عدم الإشراك به، قال ابن حبان: عبادة الله إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح ولهذا قال في الجواب: فما حق العباد إذا فعلوا ذلك؟ فعبر بالفعل ولم يعبر بالقول. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٨٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ١٠ (٢٥٩٨).. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٨٤.

مخلصا من قلبه أدخله الله الجنة وحرم عليه النار »[1].

– إن الله لا يعذب العذاب الأليم إلا المارد المتمرد على الله الذي يأبى من كل قلبه التوحيد ويرفض أن ينطق لا إله إلَّا الله.

قال تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ (ق:٢٤-٢٦).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن ابن عمر قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته فمر بقوم فقال من القوم فقالوا نحن المسلمون وامرأة تحصب تنورها ومعها ابن لها فإذا ارتفع وهج التنور تنحت به فأتت النبي ﷺ فقالت: أنت رسول الله قال: نعم قالت: بأبي أنت وأمي أليس الله بأرحم الراحمين قال: بلى قالت: أو ليس الله بأرحم بعباده من الأم بولدها قال: بلى قالت: فإن الأم لا تلقي ولدها في النار فأكب رسول الله ﷺ يبكي ثم رفع رأسه إليها فقال: « إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد والمتمرد على الله، وأبى أن يقول لا إله إلَّا الله » [2].

– وقد مدح الرسول ﷺ كل من رآه وآمن به ودخل في رحاب الإسلام حيث وعد الله المؤمنين دخول الجنة والتمتع بما فيها حسب درجاتها وبالتالى النجاة من النار. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٨).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران:٣١).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١ / ٣١٧) عن حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٥١.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٢٩٧) عن هشام بن عمار حدثنا إبراهيم بن أعين حدثنا إسمعيل بن يحيى الشيباني عن عبد الله بن عمر بن حفص عن نافع.. به. ومعنى: لمارد المتمرد: أي العاتي الشديد المفرط في الاعتداء أو العناد الذي يتمرد على الله فيشرك معه غيره ويأبى أن يقول لا إله إلَّا الله أي مع قرينتها وبقية شروطها. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٦١.

وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (الرعد:١٨).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:٢٤).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ « طوبى لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني »[1].

- وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: « طوبى لمن رآني وآمن بي مرة، وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات »[2].

- وعن ابن عمر قال: جاء رجل الى بن عمر فقال: يا عبد الرحمن أنتم نظرتم الى رسول الله ﷺ بأعينكم هذه قال نعم، قال: وكلمتموه بألسنتكم هذه قال: نعم، قال: وبايعتموه بإيمانكم هذه قال: نعم، قال: طوبى لكم يا أبا عبد الرحمن قال: أفلا أخبرك عن شيء سمعته منه سمعت رسول الله ﷺ يقول: « طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني ثلاث مرات »[3].

- وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال: « إني رأيت في المنام، كأن جبريل عند رأسي، وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا، فقال: : اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٢٦٤) عن موسى بن داود حدثنا همام عن قتادة عن أيمن:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٤٩.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٢٥٧) عن موسى بن داود حدثنا همام عن قتادة عن أيمن.. به. وابن حبان في صحيحه (١٦ / ٢١٥) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٤ / ٩٦) وبإسناده، وقال: هذا حديث قد روي بأسانيد المساجد عن أنس بن مالك رضي الله عنه مما علونا في أسانيد منها وأقرب هذه الروايات إلى الصحة ما ذكرناه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٥٠.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١ / ٢٥٢) عن العمرى عن نافع.. به، وعبد بن حميد في مسنده (١ / ٢٤٧) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٥١.

اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتا، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسوله، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل مما فيها »[1].

– وعن عمرو بن مالك الجنبي أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أنا زعيم لمن آمن بي، وأسلم وهاجر، ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى غرف الجنة فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت »[2].

– إن من فضل الله على العباد الذين دخلوا في الإسلام أن الإسلام يهدم ما كان قبله من الذنوب وكذلك الهجرة والحج، وتلك من رحمة الله الواسعة بعباده المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (آل عمران:١٩٥).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكى طويلا وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله إني كنت على أطباق ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله ﷺ

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده (٢٨٦٠) عن قتيبة حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال أن..به، و البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨١) عن محمد بن عبادة أخبرنا يزيد حدثنا سليم بن حيان وأثنى عليه حدثنا سعيد بن ميناء حدثنا أو سمعت جابر بن عبد الله يقول جاءت ملائكة... ثم ذكر حديثا بمعناه.. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٦٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه النسائي في الجهاد، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد (٣١٣٣) عن الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع عن ابن وهب قال: أخبرني أبو هانئ.. به، وابن حبان في صحيحه (١٠ / ٤٧٩) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٢ / ٨١) بإسناده وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والبيهقي في السنن الكبرى (٦ / ٧٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٧٣.

مني ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه قال: فقبضت يدي قال: ما لك يا عمرو قال: قلت أردت أن أشترط قال: تشترط بماذا قلت أن يغفر لي قال: « أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ماكان قبله »[1].

- كما أن فضل الإسلام أن الله يكفر سيئات العباد إذا حسن إسلامهم. قال تعالى: ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الزمر:٣٥).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التغابن:٩).

وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٦١).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله »[2].

- وعن سعيد الخدري أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه، كتب الله له كل حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها،

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، اب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١٢١) عن محمد بن المثنى العنزي وأبو معن الرقاشي وإسحق بن منصور كلهم عن أبي عاصم واللفظ لابن المثنى حدثنا الضحاك يعني أبا عاصم قال: أخبرنا حيوة بن شريح قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب.. ثم ذكره. ومعنى: الإسلام يهدم ما كان قبله: أي من الكفر والمعاصي أي يسقط ويمحو. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٤٧.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣١٧) عن عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرزاق بن همام ثنا معمر.. به. والبيهقي في شعب الإيمان (٥ / ٣٨٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٦٦.

ثم كان بعد ذلك القصاص، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها »[١].

- ومن فضل الإسلام أنه يزيد ولا ينقص، وعد من حكيم خبير في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (الفتح:١-٣).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف:٩).

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة:٣٢).

وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة:٣).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن أبي ثعلبة الخشني قال: قدم رسول الله ﷺ في غزاة له فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين وكان يعجبه إذا قدم من سفر أن يدخل المسجد فيصلي فيه ركعتين ويثني بفاطمة ثم يأتي أزواجه فقدم من سفره مرة فأتى فاطمة فبدأ بها قبل بيوت أزواجه فاستقبلته على باب البيت فاطمة فجعلت تقبل وجهه وفي لفظ فاه وعينيه وتبكي فقال: لها رسول الله ﷺ ما يبكيك قالت: أراك يا رسول الله قد شحب لونك واخلولقت ثيابك فقال لها رسول الله ﷺ يا فاطمة لا تبكي فإن الله بعث أباك على أمر لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر ولا شعر إلا أدخله الله به عزا أو ذلا حتى يبلغ حيث يبلغ الليل [٢].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الإيمان، باب حسن إسلام المرء (٤١) عن مالك أخبرني زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار أخبره أن أبا سعيد.. به، والنسائي في الإيمان وشرائعه، باب حسن إسلام المر (٤٩٩٨) عن أحمد بن المعلى بن يزيد قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد قال حدثنا مالك عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ :.. به وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٦٧.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٢٢٥) عن الحسين بن إسحاق التستري ثنا علي بن بحر قال: ثنا يحيى بن أبي بكير ثنا جعفر بن زياد الأحمر عن بن سنان الشامي عن عروة بن رويم.. به، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٠) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٦٩) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٤٨.

- ومن فضل الإسلام أنه يعلو ولا يعلى: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران:٨٥).

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٤٠).

ونجد ذلك في الحديث التالي:

- عن عائذ بن عمرو أنه جاء يوم الفتح مع أبي سفيان بن حرب ورسول الله ﷺ حوله أصحابه فقالوا هذا أبو سفيان وعائذ بن عمرو فقال رسول الله ﷺ هذا عائذ بن عمرو وأبو سفيان « الإسلام أعز من ذلك والإسلام يعلو ولا يعلى »[1].

- ومن فضل الإسلام أنه يؤدي إلى السلامة في الدنيا والآخرة، حيث تحقق قوانين الشريعة الأمن لكل المسلمين علاوة على الأمن الأخروى. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام:٨٢).

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (الجن:٢٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ (التكوير:٨-٩).

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق:٢).

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء:٨٨).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٠٥) عن أبي سعيد عبد الرحمن بن محمد بن شبانه الشاهد بهمذان أنبأ جعفر بن محمد بن محمويه النسوي ثنا أبو العباس السراج ثنا شباب بن خياط العصفري ثنا حشرج بن عبد الله بن حشرج حدثني أبي عن جدي.. ثم ذكره، والروياني في مسنده (٢/ ٧٨٣) بإسناده، والدارقطني في السنن (٣/ : ٢٥٢) بإسناده. ومعنى: يعلو ولا يعلى: يعني إذا أسلم أحد الأبوين فالولد مع المسلم. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣١٠.

ويتضح ذلك من الأحاديث التالية:

- عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار »[١].

- وعن سلمة بن يزيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ قال: قلنا يا رسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل وتفعل هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال: لا قال قلنا: فإنها كانت وأدت أختا لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال: « الوائدة والمؤودة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم »[٢].

- وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: ثم لما كان عام الفتح ونزل رسول الله ﷺ ذا طوى قال أبو قحافة لابنة له وكانت أصغر ولده أي بنية أشرفي بي على أبي قبيس وقد كف بصره فأشرفت به عليه فقال: أي بنية ماذا ترين قالت: أرى سوادا مجتمعا وأرى رجلا يسري بين يدي مقبلا فقال: تلك الخيل يا بنية ثم قال: ماذا ترين قالت: قد انتشر فقال: إذا والله دفعت الخيل فاسرعي بي إلى بيتي فخرجت سريعا حتى إذا هبطت به إلى الأبطح وكان في عنقها طوق لها من ينوي فاقتطعه إنسان من عنقها فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد خرج أبو بكر رضي الله عنه حتى جاء بأبيه يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هلا تركت الشيخ في بيته حتى أجيئه فقال: يمشي هو إليك يا رسول الله أحق من أن تمشي إليه فأجلسه بين يديه ثم مسح رسول الله ﷺ صدره وقال: « أسلم تسلم »[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، (١٢٩) عن يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب قال: وأخبرني عمرو أن أبا يونس حدثه.. به، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٨٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٧٨) عن ابن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة.. به، والنسائي في السنن الكبرى (١١٦٤٩) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٩) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والطبراني في الكبير بنحوه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٨١.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٨) عن أبي العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن بن إسحاق قال: ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد بن عبد الله ثم ذكره، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٩٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٠٤.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد خرج النبي ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس فقال: « أسلموا تسلموا واعلموا أن الأرض لله ورسوله وأني أريد أن أجليكم من هذه الأرض فمن يجد منكم بماله شيئا فليبعه ألا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله »[١].

- وعن سعيد الخدري يقول قال رسول الله ﷺ: « من رضي بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً وجبت له الجنة وأخرى يرفع الله بها أهلها في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الجهاد في سبيل الله »[٢].

- ومن فضل الإسلام أنه يفتح للمسلم أبواب الجنان حيث لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴾ (الرعد:٢٣).

وقال تعالى: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴾ (الأعلى:١١).

وقال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف:٥٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي هريرة قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال -يعني لرجل يدعي الإسلام- هذا من أهل النار فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة فقيل يا رسول الله الرجل الذي قلت له إنه من أهل النار فإنه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبي ﷺ إلى النار فكاد بعض الناس أن يرتاب فبينما هم على ذلك إذ قيل فإنه لم يمت

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الجزية والموادعة، اب إخراج اليهود من جزيرة العرب (٣١٦٧) عن عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال: حدثني سعيد المقبري عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٠٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/ ١٤٤) عن أحمد بن علي بن المثنى قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثنا عبد الرحمن بن شريح قال: حدثني أبو هانئ التجيبي عن أبي علي الهمداني أنه سمع أبا سعيد.. به،والحاكم في المستدرك (٢/ ١٠٢) بإسناده، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٢٢.

ولكن به جراح شديد فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله ثم أمر بلالا فنادى في الناس: « إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »[1].

- وعن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ بعثه وأوس بن الحدثان في أيام التشريق فناديا: « إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن وأيام منى أيام أكل وشرب »[2].

- وعن ابن عباس يقول: حدثني عمر بن الخطاب قال: قيل يا رسول الله إن فلانا قد استشهد، قال: كلا قد رأيته في النار بعباءة قد غلها قال: « قم يا عمر فناد: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون »[3].

- وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان في مسير له فقال: «إنا مدلجون فلا يرحل معنا مضعف ولا مصعب فارتحل رجل على ناقة صعبة فصرعته فاندقت فخذه فمات فأمر رسول الله ﷺ بالصلاة عليه ثم أمر بلالا فنادى إن الجنة لا تحل لعاص[4].

- ومن فضل الإسلام أن المؤمن يرث مكان الكافر في الجنة، ويرث الكافر مكان المؤمن في النار.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف:٤٣).

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم:٦٣).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٩) عن عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب... ثم ذكره. والنسائي في السنن الكبرى (٨٨٨٣) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٧٢.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الصيام، (١١٤٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن سابق حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣١٢.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الترمذي في السير، باب ما جاء في الغلول (١٥٧٤) عن الحسن بن علي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك أبو زميل الحنفي قال: سمعت ابن عباس.. به، وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣١٧.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٧٥) عن إسحاق بن عيسى وأبو اليمان وهذا حديث إسحاق قال: حدثنا إسماعيل بن عياش عن راشد بن داود الأملوكي عن أبي أسماء الرحبي.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٩٨) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٥٨) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث في كنز العمال تحت رقم ١٤٥٢.

وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن:٤٦).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهوديا أونصرانيا »[١].

- وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجل من هذه الأمة رجلا من الكفار فيقال له هذا فداؤك من النار »[٢].

- ومن فضل الإسلام أن الله لا يظلم المؤمن حسنة، حيث يجازي عليها في الدنيا والآخرة، أما الكافر فيعطي بحسناته في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٤٠).

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ (الشورى:٢٠).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة، يعطى عليها في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيعطى بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا »[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣٩١) عن عبد الصمد حدثنا همام حدثنا قتادة عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه.. به، وابن حبان في صحيحه (٢ / ٣٩٧) عن الحسن بن سفيان قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان قال حدثنا همام قال حدثنا قتادة أن عون بن عبد الله وسعيد بن أبي بردة حدثاه أنهما سمعا أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن النبي ﷺ قال:.. ثم ذكره، وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٦٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٧) عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن طلحة بن يحيى عن أبي بردة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٨٧.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في صفة القيامة والجنة، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا (٢٨٠٨) عن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب واللفظ لزهير قال حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا همام بن يحيى عن قتادة.. به، وأحمد قفي مسنده (٣/ ١٢٣) عن عبد الله حدثني أبي ثنا يزيد انا همام بن يحيى عن قتادة وبهز ثنا همام انا قتادة المعني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٦٢.

- ومن فضل الإسلام أنه يجعل المسلم يعيش في مناخ أخلاقي سامي، يحقق للإنسان إنسانيته، ويتقبل منه أعماله التى يبتغى بها وجه الله مهما صغرت فى أعين الناس. قال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (لقمان:٢٢).

نرى ذلك فى الحديث التالى:

- عن السائب بن أبي السائب أنه كان يشارك رسول الله ﷺ قبل الإسلام في التجارة فلما كان يوم الفتح جاءه فقال النبي ﷺ: « مرحبا بأخي وشريكي كان لا يداري ولا يماري، يا سائب قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تقبل منك وهي اليوم تقبل منك »[1].

- ومن فضل الإسلام أنه يحقق الأمن على النفس في المجتمع الإيماني فحرم قتل النفس بغير حق. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ (الإسراء:٣٣).

- وإن الإسلام الذي يحقق كل تلك الخيرات هو الحنيفية السمحة وهو المقصود به الوسطية فلا إفراط ولا تفريط في تطبيق الشريعة، أخبرنا بذلك الصادق المعصوم نبعا من قول الحق جلَّ شأنه:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء:١٢٥).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:١٤٣).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٥) عن عفان حدثنا وهيب حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد.. ثم ذكره، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٣٩) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٩٤) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. وابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/ ٢٤٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٥٩.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

-عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أفضل الإسلام الحنيفية السمحة »[1].

- وهو أيضا الإسلام الذي يملأ الصدر نورا، يعرف به المؤمن كيف يميز الحق من الباطل، ويخمد عنده شهوات الدنيا وغرورها، ويجعله على أهبة الاستعداد إلى لقاء الله وهذا الاستعداد يحرره من كل عوامل الاستعباد.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة:١٥-١٧).

وهذا نجده في الحديث التالي:

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « إن النور إذا دخل الصدر انفسح قيل هل لذلك من علم يعرف به قال: نعم التجافي عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله »[2].

- إن الإيمان يقتضي الإخلاص في كل شيء، لأن الإنسان مسئول عن كل ما يصدر منه. وهذا الإخلاص الذي هو من أساسيات الشريعة يكمن وراءه سر الخيرية الذي تتصف به الأمة الإسلامية، إذا تحققت به فعلا كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ (الزمر:٢).

---

(١) حدبث صحيح الإسناد، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٢٩) عن محمد بن أبان ثنا سلمة بن شبيب نا عبد الله بن إبراهيم الغفاري نا حر بن عبد الله الحذاء عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار.. به، وأخرجه بإسناد صحيح أحمد في مسنده (١/ ٢٣٦) عن يزيد قال أخبرنا محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال قيل لرسول الله ﷺ أي الأديان أحب... ثم ذكر بقية الحديث. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٧٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٦) عن أبي بكر محمد بن بالويه ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا محمد بن جعفر الوركاني حدثني عدي بن الفضل عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه.. به، وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٥٢) بإسناده، وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٠٢.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (ص:٤٦: ٤٧).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن خالد بن معدان قال: قال أبو ذر إن رسول الله ﷺ قال: « قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليما، ولسانه صادقا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وأذنه مستمعة، وعينه ناظرة »[1].

– ونبعا من أهمية الإخلاص الذي يتطلبه الإيمان فإن الله لا يقبل الشرك في الأعمال. أي لا ينفع إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الزمر:٦٥).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:٨٨).

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة:١٠٥).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن عيسى بن طلحة قال: سمعت عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل من قضاعة إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله وصليت الصلاة الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فمن أنا؟ قال: أنت من الصديقين والشهداء وفي لفظ: من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء[2].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٤٧) عن حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا بقية قال: وأخبرني بحير بن سعد.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٣٢) وقال: رواه أحمد وإسناده حسن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٥٥.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٤٦ / ٣٣٧) عن أبي القاسم بن السمرقندي وأبو الفرج قوام بن زيد بن عيسى قال: أنا أبو الحسين بن النقور قال: أنا أبوالحسين علي بن عمر بن محمد بن الحسن الحضرمي نا أحمد بن الحسن بن عبدالجبار الصوفي نا يحيى بن معين نا أبو اليمان عن شعيب بن أبي حمزة >

- تبين السنة الشريفة أن التوحيد يقتضي العمل بالتشريع، وأن المؤمن إذا حسن الظن بالله أنه سيغفر له، فلابد أن يحسن العمل، لأن التقصير في جنب الله ليس بالأمر الهين.

قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ (الزمر:٥٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٢٧٧).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها »[1].

- وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، مات والله عنه راض »[2].

- إن المغفرة التي وعدها الله عباده المؤمنين قائمة على اجتناب الكبائر مصداقا لقول الحق جل شأنه:

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء:٣١).

= عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين.. به، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٠٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤٦) بإسناده، وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا شيخي البزار وأرجو إسناده أنه إسناد حسن أو صحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٤٥.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في التوحيد، (٧٤٢٣) عن إبراهيم بن المنذر حدثني محمد بن فليح قال: حدثني أبي حدثني هلال عن عطاء بن يسار.. ثم ذكره، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٩٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٧٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان (٧٠) عن نصر بن علي الجهضمي حدثنا أبو أحمد حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.. به، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٢) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٧٨.

وذلك في الحديث التالي:

- عن أبي أيوب حدثه أن رسول الله ﷺ قال: « من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئا ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويتقي الكبائر فإن له الجنة، قال: وا ما الكبائر؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس المسلمة، وفرار يوم الزحف. »[1].

- إن عدم الشرك بالله يوجب دخول الجنة وذلك بعد التنافس في الأعمال.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٤٨).

وقال تعالى: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (المطففين:٢٦).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن معاذ بن جبل قال: قال كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد قال الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحقهم على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال لا تبشروهم فيتكلوا[2].

- وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ أنه قال عند موته: إنه لم يكن يمنعني أن أحدثكم إلا أن تسترسلوا إني أبشركم أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة[3].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٤١٣) المقري حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان حدثنا أبو رهم السمعي أن أبا أيوب.. به، والنسائي في تحريم الدم، باب ذكر الكبائر (٤٠٠٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٧٦.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٨ / ٣٨٤) عن أبي عبد الله الفراوي وأبو المظفر القشيري وأبو القاسم الشحامي قالوا: أنا أبو عثمان البحيري أنا أبو علي زاهر بن أحمد. وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين أنا أبو الحسين بن المهتدي. وأخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد أنا أبو الحسين بن النقور قال: أنا عيسى بن علي قال: أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز نا داود بن عمرو الضبي نا أبو الأحوص سلام بن سليم عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ١٢٧) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٤٧.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه النسائي في الجهاد، باب ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل (٣١٣٢) عن هارون بن محمد بن بكار بن بلال قال حدثنا محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع قال حدثنا زيد ابن واقد قال حدثني بسر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٣ / ٣٠٠) وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٢ / ١٣٥) بإسناده.. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٥٠.

- وتبين السنة الشريفة أن العمل بالتشريع يجب أن يقوم على حفظ الأمانة في أداء التكاليف، ومراقبة الله في السر والعلن، حتى يحقق المسلم الأهداف الربانية المطلوبة من تلك التكاليف.

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال:٢٧)

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن حطان بن عبد الله الرقاشي أنه حدثه أن أبا الدرداء حدثه أن رسول الله ص كان يقول: « من لقي الله بخمس من الإيمان دخل الجنة، الصلوات الخمس طهورهن وركوعهن وسجودهن وصيام رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا والزكاة وهي فطرة الإسلام وأداء الأمانة والاغتسال من الجنابة »[1].

- وتبين السنة الشريفة أن من متطلبات العمل بالتشريع: الإيمان بالله واليوم الآخر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج المبرور، والجهاد لإعلاء كلمة الحق، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٧٧).

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (البقرة:١٩٧).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٠ ح ٢٧٥٢) عن أبي الحسين بن بشران أنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق الطيبي ثنا الحسن بن علي بن زياد السري ثنا محمد بن يوسف أنا أبو قره ذكر عن يونس بن جبير أبي غلاب الباهلي.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٣٧.

ويبدو ذلك واضحا في الأحاديث التالية:

- عن ماعز عن النبي ﷺ ثم انه سئل أي الأعمال أفضل قال: « أفضل الأعمال الإيمان بالله وحده، ثم الجهاد، ثم حجة مبرورة، تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها »[١].

- وعن أبي ذر قال: قلت ثم يا رسول الله أي العمل أفضل قال: « أفضل العمل إيمان بالله وحده، وجهاد في سبيله »[٢].

- وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: « يا أبا سعيد من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وجبت له الجنة، وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله »[٣].

- وعن ابن عمارة بن روية عن أبيه قال: قال رسول الله: « لن يلج النار [من مات لا يشرك بالله شيئا وكان يبادر صلاته][٤] قبل طلوع الشمس وقبل غروبها »[٥].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه، أحمد في مسنده (٤ / ٣٤٢) عن عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي مسعود يعنى الحريري عن يريد بن عبد الله بن الشخير.. ثم ذكره. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٦٨

(٢) حديث صحيح الإسناد أخرجه ابن حبان في صحيحه (١ / ٣٦٥) عن الحسين بن إدريس الأنصاري حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني حدثنا سفيان والداروردي عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي مراوح الغفاري... ثم ذكر بقية الحديث، وهذا هو لفظ الحديث، أما لفظ: « أفضل العمل » فلم أجده فيما بين يدي من مراجع. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٦٩.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات (١٨٨٤) عن سعيد بن منصور حدثنا عبد الله بن وهب حدثني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي.. به، و أحمد في مسنده (٢ / ٣٣٥) بإسناده، والنسائي في الجهاد، باب درجة المجاهد في سبيل الله عز وجل (٣١٣١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٨٢.

(٤) ما بين المعكوفين عند الطبراني في المعجم الكبير [بلفظ: لن يلج النار من صلى].

(٥) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في الأوسط (٢ / ٢٣٠) عن عبد الملك بن عمير عن ابن عمارة بن روية.. ثم ذكره بلفظه في الهامش السابق. والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣١٨) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون. ومعنى الحديث: لن يلج نار جهنم أحد من أهل القبلة صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها؛ يعني الفجر والعصر كما في مسلم قال الطيبي لن لتأكيد النفي وتقريره في المستقبل. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣١٨.

– وعن عبادة بن الصامت قال: قام فينا ثم كنيسة معاوية فحدث أن رسول الله ﷺ كان يقول: « من عبد الله لا يشرك به شيئا وأقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وأطاع أدخله الله من أي أبواب الجنة شاء ومن عبد الله لا يشرك به شيئا وأقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وعصى فإن الله من أمره بالخيار إن شاء رحمه وإن شاء عذبه »[١].

– وعن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من لقي الله لا يشرك به شيئا ويصلي الخمس ويصوم رمضان غفر له »[٢].

– ومن متطلبات الشريعة معاملة المسلمين معاملة حسنة حتى يشيع السلام والإخاء في المجتمع الإيماني، كذلك يجب هجرة السوء، والبعد عن الجبن والغلول أثناء الحروب.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل:١١٠).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:١٦١).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الناس بما يحب أن يؤتى إليه »[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٤١٦) عن الحسن بن خلف الدمشقي ثنا سليمان بن عبد الرحمن ح وحدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي ثنا هشام بن عمار ح وحدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة ثنا أبي قال: وا ثنا إسماعيل بن عياش عن عقيل بن مدرك عن لقمان بن عامر عن أبي راشد الحبراني.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢١٦) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٢٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٢) عن روح حدثنا زهير بن محمد حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٢٧.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٩٢) عن وكيع حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٢١.

– وعن ابن المنتفق ويكنى أبا المنتفق قال: وصف لي رسول الله ﷺ وحلي لي فطلبته بمكة فقيل لي هو بمنى فأتيته بمنى فقيل لي بعرفات فانطلقت إليه فزاحمت عليه فقيل لي إليك عن طريق رسول الله ﷺ فقال: دعوا الرجل فزاحمت عليه حتى خلصت إليه فأخذت بخطام راحلته أو قال زمامها حتى التقت أعناق راحلتينا فما وزعني رسول الله ﷺ قلت اثنتان أسألك عنهما، ما ينجيني من النار ويدخلني الجنة؟ فنظر إلى السماء ثم أقبل بوجهه فقال: لئن كنت أوجزت في المسئلة لقد أعظمت وأطولت فاعقل عني تعبد الله ولا تشرك به شيئا وأقم الصلاة المكتوبة وأد الزكاة المفروضة وصم رمضان وحج البيت واعتمر وما تحب أن يفعله بك الناس فافعله بهم وما تكره أن يأتي إليك الناس فذر الناس منه ثم خل سبيل الراحلة [1].

– وأخيرا وليس بآخر فإن من متطلبات الشريعة التوازن في الإنفاق لأن هذا يحفظ للأمة مصادر الثروة الاقتصادية فلا تتبدد هباء فيما لا يحقق لها الرقي والتقدم، الذي تتطلبه العزة الإيمانية، كما أن الزهد والقناعة يمكنان المسلمين من مواجهة كل التحديات التي قد تفرضها ظروف سلاح التجويع عند فرض الحصار الاقتصادي من الدول الاستعمارية.

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن فضالة بن عبيد يقول أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « أفلح من هدي إلى الإسلام كان عيشه كفافا، وقنع به »[2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه في مسنده (٦/ ٣٨٣) عن عفان حدثنا همام قال حدثنا محمد بن جحادة قال حدثني المغيرة بن عبد الله اليشكري عن أبيه قال انطلقت إلى الكوفة لأجلب بغالا قال فأتيت السوق ولم تقم قال قلت لصاحب لي لو دخلنا المسجد وموضعه يومئذ في أصحاب التمر فإذا فيه رجل من قيس يقال له ابن المنتفق وهو يقول:.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٧) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٥٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في الكبير (١٨ / ٣٠٥) عن أبي هانئ أن أبا علي الجنبي أخبر أنه سمع فضالة.. ثم ذكره، وأحمد في مسنده (٦/ ١٩) بإسناده، والترمذي في الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه (٢٣٤٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٢٤٢.

– وستظل الأمة بخير طالما عاشت في رحاب طاعة الله ورسوله والاعتصام بأوامرهما نبعا من قول الحق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:٢٤).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن سلمة قال: دفع إلى أبي بديل بن ورقاء كتابا فقال: يا بني هذا كتاب رسول الله ﷺ فإن توقنوا به فلن تزالوا بخير مادام فيكم بسم الله [(١)] .

– إن الإسلام مصدر أمان لجميع المواطنين في الأمة الإسلامية حيث هم في عناية الله وحفظه ويمنع التشريع الإلهي الظلم لجميع الناس. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الشورى:٤٢).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن رافع بن عمرو الطائي قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل وبعث معه في ذلك الجيش أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وسراة أصحابه فأنطلقوا حتى نزلوا جبل طي فقال عمرو انظروا إلى رجل دليل بالطريق فقالوا ما نعلمه إلا رافع بن عمرو فإنه كان ربيلا في الجاهلية فسألت طارقا ما الربيل قال اللص الذي يغزو القوم وحده فيسرق قال رافع فلما قضينا غزاتنا وانتهيت إلى المكان الذي كنا خرجنا منه توسمت أبا بكر رضي الله عنه فأتيته فقلت يا صاحب الخلال إني توسمتك من بين أصحابك فائتني بشيء إذا حفظته كنت مثلكم فقال: أتحفظ أصابعك الخمس قلت نعم قال: تشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتقيم الصلوات الخمس وتؤتي الزكاة إن كان لك وتحج البيت

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن حجر في الإصابة (١ / ٢٧٦) عن ابن أبي عاصم ثنا عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن بشر بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن سلمة ابن بديل بن ورقاء حدثني أبي عن أبيه عبد الرحمن عن أبيه محمد بن بشر بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن سلمة عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٥١.

وتصوم رمضان حفظت قلت نعم قال: وأخرى لا تؤمرن على اثنين قلت هل تكون الإمرة أهل بدر قال يوشك أن تفشو حتى تبلغك ومن هو دونك، وقال لي أبو بكر: إن الله بما بعث نبيه ﷺ دخل الناس في الإسلام فمنهم من دخل فيه فهداه الله ومنهم من أكره بالسيف فأجارهم الله من الظلم وكلهم أعوان الله وجيران الله في خفارة الله وفي ذمة الله ومن يظلم أحدا منهم فإنه يخفرن به [١].

- كما يحقق الإسلام الرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعى من الحاكم للمواطنين فى حالة البأساء والضراء ليعيش الجميع عيشة تليق بكرامتهم الإنسانية. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٦٠).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (يوسف:٨٨).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن مجاهد قال: قال عمر ﷺ: أنا فئة كل مسلم [٢].

- ويجب على جميع من آمن بالله واليوم الآخر الاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام، والقضاء على العصبية القبلية لأن الإسلام يقضي على جميع أنواع التفرقة العنصرية لتحقيق المساواة في أمثل صورها، فالتنافس الوحيد بين البشرية هو في ميادين تقوى القلوب وليس فى ميادين الحسب والنسب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:٢٦).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه بلفظه وإسناده الطبراني في المعجم الكبير (٥ / ٢١) عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن يوسف الفريابي ثنا إسرائيل ح وحدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا محمد بن عثمان بن كرامة ثنا عبيد الله بن موسي ثنا إسرائيل عن إبراهيم بن المهاجر عن طارق بن شهاب.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٢٨.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥ / ٢٥٢) عن عبدالرزاق عن معمر والثوري عن ابن أبي نجيح.. به، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦ / ٤٥١) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٧٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٣٢.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن نزال بن سبرة الهلالي العامري قال: قال لنا النبي ﷺ: كنا وأنتم بنو عبد مناف فنحن وأنتم اليوم بنو عبد الله [(١)].

- وقد أولى الرسول ﷺ عناية خاصة لأهمية الجهاد في حياة الأمة الإسلامية للحفاظ على هيبتها ومكانتها بين الأمم، ولينعم المسلمون فيها بنعمة الإيمان والإسلام وفضل التوحيد الذي شرحناه في هذا الفصل. قال تعالى: ﴿ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٧٤).

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٥).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: من أقام الصلاة وآتى الزكاة ومات لا يشرك بالله شيئا كان حقا على الله أن يغفر له هاجر أو مات في بلده وفي لفظ في مولده قال: فقلنا يا رسول الله ألا نخبر بها الناس فيستبشروا قال: إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ولولا أن أشق على المؤمنين ولا أجد ما أحملهم عليه ولا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا بعدي ما قعدت خلف سرية ولوددت أني أن أقتل ثم أحيى ثم أقتل [(٢)].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ١١٧) عن عبد الله عن خلاد بن يحيى عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة.. به، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤١٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٢٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه النسائي في الجهاد، باب ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل (٣١٣٢) عن هارون بن محمد بن بكار بن بلال قال: حدثنا محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع قال: حدثنا زيد ابن واقد قال: حدثني بسر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٠٠) وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٤٥ / ٣١٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٤٩.

الفصل الرابع

في أحكام الإيمان والإسلام

أولاً: أحكام الإقرار بالشهادتين

- إن الأحاديث التي وردت في قتال المشركين حتى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله، لا تعني الإكراه في الدين، كما يدعي البعض أن الإسلام قد انتشر بحد السيف، فهناك قاعدة قرآنية راسخة ترسى مبادئ الحرية الدينية في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٥٦).

ولكن الأحاديث التي وردت في هذا الفصل هي ترجمة للمنهاج القرآني في قتال بطون قريش ومن والاهم من عتاة الكفار أو اليهود، الذين كانت همتهم منبعثة على قتال المسلمين أو تعذيبهم حتى يرتدوا عن دينهم لأن هذا الدين فيه حرمان من نمو أموالهم وشهواتهم ومصالحهم الدنيوية التي تقوم على استعباد الناس والسيطرة على أفكارهم ومعتقداتهم.. لذلك جاء أمر الحق صريحا واضحا في قتال هؤلاء فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠- ١٩٣)[1].

أي أن القتال شرع لكف البأس عن المؤمنين وحمايتهم من سطوة المعتدين نبعا من قول الحق جل شأنه:

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

(١) صحيح مختصر ابن كثير. دار السلام ـ المجلد الأول ـ سورة البقرة ص١٨٢ : ١٨٤.

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة ١٣: ١٥).

كما أن القتال شرع لحماة المسلمين من أذى الكفار والمنافقين، حتى يعيش المسلمون في أمن يمكنهم من عبادة الله وحده، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وليست كلمة القوى المستبدة المتغطرسة التي لا تكف عن انتهاك حرمات المؤمنين وسلبهم أمنهم وممتلكاتهم، طالما أن تلك القوى لا تجد قوة الردع اللازمة. وهذا ما يوضحه الحق في قوله جل شأنه:

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (التوبة:٧- ١٢).

فعلى المسلمين أن يجتمعوا على قتال المشركين الذين اجتمعوا على قتالهم وذلك كما جاء في قول الحق جل شأنه: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة:٣٦).

أما الذين لا يفتنون المسلمين في دينهم، ولم يظاهروا على إخراجهم من ممتلكاتهم، فلا داعي لقتالهم، لأن الإسلام يدعو إلى إخماد الفتن وليس إشعالها، فهو دين السلام القائم على القوة التى تحمى هذا السلام.

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨).

وهكذا فإن الأحاديث التي ترد فيما يلي لا يقصد بها إكراه الناس على اعتناق الإسلام، لأن هذا لا يتمشى مع دستور القرآن الكريم، ومع نهج الرسول الأمين الذي يأمر المجاهدين بتخيير الناس بين ثلاثة أمور: إما الإسلام أو السلام ودفع الجزية (وهو ما يسمى عقد معاهدات الصلح) أو القتال لكسر شوكة العدوان.. وبالتالي فإن تلك الأحاديث مقصود بها «أئمة الكفر» كما ورد في الآيات السابقة، وذلك لأنهم يقفون حجر عثرة في طريق إعلاء كلمة الحق، ليس ذلك فقط، بل إنهم يضعون الصعوبات أمام أمن المسلمين، مما يحول دون تطورهم أو ممارسة شعائرهم التي يستوجبها الإقرار بالشهادتين.

و نرى ما سبق فى الأحاديث التالية:

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه قال عمر بن الخطاب ما أحببت الإمارة إلا يومئذ قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك قال: فسار علي شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منـك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[1].

- وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[2].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٥) عن قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب يعني ابن عبد الرحمن القاري عن سهيل عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٦٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٩٢) عن أبي عبد الله الحافظ أنبأ أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أنبأ أبو المثنى العنبري ثنا أبو غسان مالك بن عبد الواحد المسمعي ثنا عبد الملك ثنا شعبة عن واقد بن محمد بن زيد عن أبيه..به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٧١.

– وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلَّا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل »(١).

– وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلَّا الله وأن محمدا رسول الله وأن يستقبلوا قبلتنا ويأكلوا ذبيحتنا ويصلوا صلاتنا فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين »(٢).

– وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلٰه إلَّا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها قيل وما حقها قال: زنى بعد إحصان وكفر بعد إيمان أو قتل نفس فيقتل بها »(٣).

– وعن أنس بن مالك قال: ثم لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب فقال عمر بن الخطاب يا أبا بكر أتريد أن تقاتل العرب قال: فقال أبو بكر إنما قال رسول الله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلَّا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة »(٤).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، (٢١) عن أحمد بن عبدة الضبي أخبرنا عبد العزيز يعني الدراوردي عن العلاء ح و حدثنا أمية بن بسطام واللفظ له حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٧٢.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٤٥) عن علي بن إسحاق قال: أخبرنا عبد الله أخبرنا حميد الطويل.. به، والترمذي في الإيمان، باب ما جاء في قول النبي ﷺ أمرت بقتالهم حتى يقولوا لا إلٰه إلَّا الله ويقيموا الصلاة (٢٦٠٨) بإسناده، وأبو داود في الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون (٢٦٤١) بإسناده، والدارقطني في السنن (١ / ٢٣٢) بإسناده، وابن حبان في صحيحه (١٣ / ٢١٥) بإسناده. وهو غير موجود بهذا اللفظ عند البخاري. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٧٤.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣ / ٣٠٠) عن بكر قال: أنا عمرو بن هاشم البيروتي قال: أنا سليمان بن حيان أبو خالد الأحمر عن حميد الطويل.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٥) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمرو بن هاشم البيروتي والأكثر على توثيقه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٧٥.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٤٤) عن أبي العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن سنان القزاز ثنا عمرو بن عاصم الكلابي ثنا عمران بن داود القطان ثنا معمر بن راشد عن الزهري.. به، وقال: حديث صحيح أن الشيخين لم يخرجا عمران القطان وليس لهما حجة في تركه فإنه مستقيم الحديث وشاهده حديث >

ومن أحكام الإقرار بالشهادتين

- حماية مَن نطق الشهادتين من القتل، حتى لو كان منافقا يظهر الأذى والشر للمسلمين. و هذا يدل على سعي الإسلام سعياً حثيثاً إلى شيوع الأمن على النفس في الأمة و تحقيق السلام الاجتماعي.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (الفرقان:٦٨).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن عبد الله بن عدي الأنصاري أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس بين ظهراني الناس جاءه رجل يستأذنه أن يساره في قتل رجل من المنافقين فجهر رسول الله ﷺ بكلامه فقال أليس يشهد أن لا إله إلَّا الله قال بلى ولا شهادة له قال أليس يشهد أني رسول الله قال بلى ولا شهادة له قال أليس يصلي قال بلى ولا صلاة له قال أولئك الذين نهيت عنهم [1].

كما تحرم الشريعة قتل من نطق بالشهادتين، حتى لو كان نطقهما خوفا من القتل. فالشهادة حصن يحمي دماء وأموال من نطق بها إلا بحقها، وذلك حتى لا تشيع ظاهرة تكفير المسلمين بعضهم بعضا مما يفكك عرى الأمة ووحدتها ويؤدي إلى ضعفها وانهيارها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:٩٤).

> أبي العنبس ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وفي هذا تفسير أن هذه الثلاث خصال هي حق الإسلام التي يستباح بها دم من شهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله والقتل بكل واحدة من هذه الخصال الثلاث متفق عليه بين المسلمين فأما زنا الثيب فأجمع المسلمون على أن حده الرجم حتى يموت وقد رجم النبي ﷺ ماعزا والغامدية وكان في القرآن الذي نسخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وقد استنبط ابن عباس الرجم من القرآن من قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (المائدة: ١٥) قال فمن كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب ثم أصحهما هذه الآية وقال كان الرجم مما أخفوا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٧٨.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠ / ١٦٣) عن معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٥٨.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال: لا إله إلَّا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: قال لا إله إلَّا الله وقتلته قلت: يا رسول الله قالها خوفا من السلاح قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا من لك بلا إله إلَّا الله يوم القيامة فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ [(١)].

- وعن أسامة بن زيد قال: أدركت مرداس بن نهيك أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السيف قال: أشهد أن لا إله إلَّا الله فلم نزع عنه حتى قتلناه فلما قدمنا على النبي ﷺ، أخبرناه بخبره فقال: يا أسامة من لك بلا إله إلَّا الله فقلت: يا رسول الله إنما قالها تعوذا من القتل قال: من لك يا أسامة بلا إله إلَّا الله فو الذي بعثه بالحق مازال يرددها علي حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن لي وأني أسلمت يومئذ ولم أقتله فقلت: إني أعطي الله عهدا أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلَّا الله أبدا فقال رسول الله ﷺ بعدي يا أسامة قلت بعدك[(٢)].

- وعن أبي موسى قال: ما خصم أبغض إلي لقاء يوم القيامة من رجل تشخب أوداجه دما يحبسني عند ميزان القسط فيقول يا ربي سل عبدك مم قتلني ولا أستطيع أن أقول كان كافرا فيقول: أنت أعلم بعبدي مني؟ [(٣)].

- وعن المقداد رضي الله عنه أنه أخبره أنه قال: يا رسول الله أرأيت إن اختلفت أنا ورجل من المشركين ضربتين فقطع يدي فلما هويت إليه لأضربه قال: لا إله إلَّا الله أقتله

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٢٠٠) عن يعلى حدثنا الأعمش عن أبي ظبيان حدثنا أسامة.. به، والبخاري في المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة (٤٢٦٩) بإسناده، ومسلم في الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلَّا الله (٩٦) بإسناده، وأبو داود في السنة، باب على ما يقاتل المشركون (٤٦٤٣) بإسناده، والنسائي في السنن الكبرى (٨٥٩٤) بإسناده، وأبو عوانة في مسنده (١ / ٦٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٦٠.

(٢) حديث حسن الإسناد أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٨ / ٧٤) عن أبي عبد الله الفراوي أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر القاضي قال: أنا أبو العباس الأصم قال: أنا أحمد بن عبد الجبار أنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٦٢.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١ / ١٨٤) عن ابن المبارك عن هشام عن الحسن قال: قال أبو موسى الأشعري رضى الله عنه:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٦٣.

أم أدعه؟ قال: دعه قلت وإن قطع يدي قال وإن فعل فراجعته مرتين أو ثلاثا فقال: النبي ﷺ: إن قتلته بعد أن قال: لا إله إلَّا الله فأنت مثله قبل أن يقولها وهو مثلك قبل أن تقتله [1].

- وعن عمر قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد بهم قتلا وأسرا ودفع إلى كل رجل منا أسيرا حتى إذ كان يوما أمرنا خالد أن يقتل كل منا أسيره فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره فقدمنا على النبي ﷺ فذكر له صنيع خالد فقال النبي ﷺ: ورفع يديه اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد[2].

- وهكذا فإن الإقرار بالشهادتين يحرم دم المسلم إلا بإحدى ثلاث:

- الزنى بعد إحصان: وذلك للحفاظ على طهارة المجتمع الإسلامي وحفظ الأنساب..

قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة:٤٣).

وفي شرح ابن كثير لهذه الآية في سياق ما قبلها من آيات يقول: إن تلك الآيات نزلت في اليهوديين اللذين زنيا، فقال اليهود: «تعالوا نتحاكم إلى محمد، فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه، واجعلوه حجة بينكم وبين الله، ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه.. عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟، فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده،

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الشافعي في مسنده (١ / ١٩٧) عن يحيى بن حسان عن الليث عن بن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار.. به، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠ / ١٧٣) بإسناده، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦ / ٤٨١) بإسناده، وأحمد في مسنده (٦ / ٤) بإسناده، وأبو داود في الجهاد، (٤٦٤٤) بإسناده، والنسائي في السنن الكبرى (٩٥٩١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٦٥.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥ / ٢٢١) عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٨٩.

فإذا آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة (١).

- المرتد عن دين الإسلام، وإعلان العصيان على الله ورسوله بمحاربة الإسلام، وإظهار المكر السيئ بأهله مثلما جاء في قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران:٧٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (آل عمران: ٩٠).

ولذلك فإن محاربة هؤلاء المرتدين ضرورة للحفاظ على دعائم الدولة الإسلامية تنفيذا لأمر الحق جل شأنه: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (التوبة:١٢).

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: إن نكث هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيمانهم أي عهودهم ومواثيقهم وعابوا في دينكم وانتقصوه فقاتلوا أئمة الكفر. و من هنا أخذ قتل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه، أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بنقص. فإن كانت الآية سبب نزول مشركي قريش إلا أنها عامة لهم ولغيرهم (٢).

- قتل النفس بغير حق: وذلك للحفاظ على السلام الاجتماعي في الأمة الإسلامية، فلا تستحل الدماء ويعيش الناس في خوف على أنفسهم. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ (الإسراء:٣).

والأحاديث التي تبين حرمة دماء من يقر بالشهادتين إلا في تلك الحالات الثلاث نعرضها فيما يلي:

---

(١) صحيح مختصر تفسير ابن كثير. دار السلام - ج١ ص٥٢٧: ٥٣٠ والحديث أخرجه البخاري في المحاربين من أهل الكفر (٦٨١٩) ومسلم في الحدود (٢٦) ومالك في الموطأ (٨١٩).

(٢) صحيح مختصر تفسير ابن كثير، دار السلام. ج٢ ص٧٧٢، ٧٧٣.

- عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة »(١).

- وعن عبد الله قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: « والذي لا إله غيره لا يحل دم أحد يشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث، التارك للإسلام المفارق للجماعة والثيب الزاني والنفس بالنفس »(٢).

- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « لا يحل دم أحد من أهل القبلة إلا رجلا قتل فيقتل والثيب الزاني والمفارق للجماعة »(٣).

- وعن عمرو بن غالب قال: دخل عمار على عائشة رضي الله عنها يوم الجمل فقال: السلام عليك يا أماه قالت: لست لك بأم قال بلى إنك أمي وإن كرهت قالت من ذا الذي أسمع صوته معك قال: الأشتر قالت: يا أشتر أنت الذي أردت أن تقتل بن أختي قال: لقد حرصت على قتله وحرص على قتلي فلم يقدر فقالت: أما والله لو قتلته ما أفلحت فأما أنت

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في القسامة والمحاربين، (١٦٧٦) عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا حفص بن غياث وأبو معاوية ووكيع عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق.. به، والترمذي في الديات، باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث (١٤٠٢) بإسناده، وقال: حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح، وأبو داود في الحدود، باب الحكم فيمن ارتد (٤٣٥٢) بإسناده، وابن ماجه في الحدود، باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث (٢٥٣٤) بإسناده، والدارمي في الحدود، باب رفع القلم عن ثلاثة (٢٢٩٨) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (٨ / ٢٠٢) بإسناده. والمقصود بالتارك لدينه المفارق للجماعة: من ترك الإسلام وارتد عنه والجواب جماعة المسلمين كما جاء التصريح بذلك في حديث عثمان وإنما استثناه مع من يحل دمه من أهل الشهادتين باعتبار ما كان عليه قبل الردة وحكم الإسلام لازم له بعدها ولهذا يستتاب ويطلب منه العود إلى الإسلام وفي إلزامه بقضاء ما فاته في زمن الردة من العبادات اختلاف مشهور بين العلماء وأيضا فقد يترك دينه ويفارق الجماعة وهو مقر بالشهادتين. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٦٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في القسامة والمحاربين، (١٦٧٦) عن أحمد بن حنبل ومحمد بن المثنى واللفظ لأحمد قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق.. به، وأحمد في مسند، (٦ / ١٨١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٨٠.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٢٩٣) عن أحمد بن كامل بن خلف القاضي ثنا أحمد بن محمد بن عيسى القاضي ثنا أبو خليفة ثنا إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد بن عمير.. به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي. والدارقطني في السنن (٣ / ٨٣) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٨٣.

يا عمار فقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: « لا يقتل إلا أحد ثلاثة رجل قتل رجل فيقتل به ورجل زنى بعد ما أحصن ورجل ارتد عن الإسلام »[١].

- وعن ابن عمر أن عثمان رضي الله عنه أشرف على أصحابه وهو محصور فقال: علام تقتلوني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل زنى بعد إحصان، أو ارتد بعد إسلام، أو قتل نفسا بغير حق فيقتل به »[٢].

أحكام الارتداد

هناك أحاديث خاصة بالمرتدين بعد الإقرار بالشهادتين لم يجمع فيها الرسول ﷺ قتل النفس أو الزنا حيث أفرد الرسول ﷺ لهم أحكاما خاصة بالقتل للحفاظ على استقرار أمة الإسلام لأن المرتدين الذين تقصدهم هذه الأحاديث هم الذين يعاندون الله ورسوله (كما شرحنا في النقطة السابقة) ويتجبرون في طغيانهم ويحاولون زعزعة ثقة المسلمين في دينهم، وهؤلاء لا دواء لهم إلا القتل. ويدخل في عداد هؤلاء المرتدين، إنكار أصل عظيم من أصول التشريع وهو القرآن الكريم، حيث يهدف بعض الجاحدين إلى البلبلة الفكرية للمسلمين بتشويه حقائق القرآن العظيم وهذا نابع من الكفر الذي يخفونه بالنفاق مصداقا لقول الحق جل شأنه: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (لقمان: من الآية٣٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة:٣٣).

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٣٩٣) عن أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا سعيد بن مسعود ثنا عبيد الله بن موسى أنبأ إسرائيل عن أبي إسحاق.. به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٨٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٦٣) عن إسحاق بن سليمان قال: سمعت مغيرة بن مسلم أبا سلمة يذكر عن مطر عن نافع.. به، والنسائي في تحريم الدم، باب الحكم في المرتد (٤٠٥٧) بإسناده، وأبو داود في الحدود، باب الحكم فيمن ارتد (٤٣٥٣) بإسناده، وابن ماجه في الحدود، باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث (٢٥٣٣) بإسناده. وأحمد في مسنده (٦ / ١٨١) عن عبد الرحمن عن سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو بن غالب أن عائشة قالت للأشتر أنت الذي أردت قتل ابن أختي قال قد حرصت على قتله وحرص على قتلي قالت أوما علمت ما قال رسول الله ﷺ... به، والنسائي في تحريم الدم، باب ذكر ما به دم المسلم (٤٠١٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٩٩.

وممن قال بأن هذه الآية في المرتدين أبو قلابة وغيره[1].

وقد نقل د. يوسف القرضاوي من كلام ابن تيمية: « أن محاربة الله ورسوله باللسان أشد من المحاربة باليد، وكذلك الإفساد في الأرض ومما يؤيد ذلك: أن الأحاديث التي قررت استباحة دم المسلم بإحدى ثلاث، ذكر في بعضها « ورجل خرج محاربا لله ورسوله فإنه يقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض » كما في حديث عائشة بدلا من عبارة « ارتد بعد إسلام » أو « التارك لدينه » وهو ما يدل على أن الآية تشمل فيما تشمل المرتدين الداعين إلى ردتهم »[2].

و نرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عصمة بن مالك الخطمي قال: قال رسول الله ﷺ: « من ارتد عن دينه فاقتلوه »[3].

- وعن عكرمة أن عليا رضي الله عنه حرق قوما فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺ قال: لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ: « من بدل دينه فاقتلوه »[4].

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٣٢٠.

(٢) د. يوسف القرضاوي، جريمة الردة وعقوبة المرتد. المكتب الإسلامي ص٥٥،٥٤.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧ / ١٨٦) عن حمد بن رشدين المصري ثنا خالد بن عبد السلام الصدفي ثنا الفضل بن المختار عن عبد الله بن موهب.. به، والمناوي في فيض القدير (٦ / ٥١) وقال: والمراد من رجع عن دين الإسلام لغيره بقول أو فعل مكفر يستتاب وجوبا ثم يقتل إذا كان رجلا إجماعا وكذا إن كان امرأة، ثم الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة: لا تقتل لأن معها عاصمها وهو الأنوثة، وقد نهى ﷺ عن قتل النساء وسيجيء لذلك مزيد تقرير. والحديث فيه عصمة بكسر فسكون ابن مالك قال الهيثمي فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٨٦.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله (٣٠١٧) عن علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أيوب.. به، وأحمد في مسنده (١ / ٢١٧) بإسناده. ومعنى الحديث: من بدل دينه أي انتقل من الإسلام لغيره بقول أو فعل مكفر وأصر فاقتلوه أي بعد الاستتابة وجوبا كما جاء في بعض طرق الحديث عن علي وهذا عام خص منه من بدل دينه في الباطن ولم يثبت عليه ذلك في الظاهر لأنه يجري على أحكام الظاهر ومن بدل دينه في الظاهر مكرها وعمومه يشمل الرجل وهو إجماع والمرأة وعليه الأئمة الثلاثة ويهودي تنصر وعكسه وعليه الشافعي ومالك في رواية وقال أبو حنيفة لا تقتل المرأة ولأن من شرطية لا تعم المؤنث للنهي عن قتل النساء كما لا تقتل في الكفر الأصلي لا تقتل في الطارىء ولا في المنتقل لأن الكفر ملة واحدة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٨٧.

- وعن عكرمة أن عليا قتل قوما كفروا بعد إسلامهم وأحرقهم بالنار فبلغ ذلك ابن عباس فقال لو كنت لقتلتهم ولم أحرقهم لأن رسول الله ﷺ قال: « مـن بدل دينه، أو رجع عن دينه فاقتلوه، ولا تعذبوا عباد الله بعذاب الله يعني النار »[١].

- وعن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ قال: « من غير دينه فاضربوا عنقه »[٢].

أما الذين لا يتصفون بالعناد، فإنهم يرتدعون عن غيهم إذا عرضت عليهم التوبة، حيث جرى النهج النبوي الشريف على استتابة المرتد، وترك المهلة اللازمة لكي تخشع القلوب وتتوب إلى بارئها، فيستحقون عندئذ المغفرة من الله مصداقا لقول الحق جل شأنه:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران:٨٩).

وإن الأحاديث التي وردت في التطبيق الفعلى من الخلفاء الراشدين لأحكام الردة التابعة من السنة الشريفة تبين أنه يجب أن تعرض التوبة على المرتد فإن تاب قبل منه الخليفة الإسلام كما قبل الله منه.. أما إذا أصر المرتد على عناده، وإعلان العصيان لله ورسوله فإنه يقتل، لأن محاربة هؤلاء المرتدين ضرورة للحفاظ على دعائم الأمة الإسلامية من تيار الفتن والإلحاد.

- عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري عن أبيه أنه قال: قدم على عمر بن الخطاب رجلا من قبل أبي موسى فسأله عن الناس فأخبره ثم قال: هل كان فيكم من مغربة خبر؟، فقال: نعم رجل كفر بعد إسلامه قال: فما فعلتم به قال قربناه فضربنا عنقه قال عمر: فهل حبستموه ثلاثا وأطعمتموه كل يوم رغيفا واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله؟ اللهم إني لم أحضر ولم آمر ولم أرض إذ بلغني[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥ / ٢١٣) عن معمر عن أيوب.. به وابن حزم في المحلى (١٠ / ٣٧٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٩١.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الشافعي في مسنده (١ / ٣٢١) عن مالك.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (٨ / ١٩٥) بإسناده، ومالك في الموطأ (٢ / ٣٧٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٩٤.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الأقضية (١٤٤٥) عن مالك عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري عن أبيه أنه.. به، والشافعي في مسنده (١ / ٣٢١) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (٨ / ٢٠٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٦٦.

ثانياً: أحكام الإيمان و الإسلام

إن الأحكام التي نعرضها فيما يلي تترتب على نطق الشهادتين، حيث يدخل من نطقهما فى رحاب الإيمان و الإسلام، و هنا يلتزم أحكاماً مادية و معنوية تحقق فى مجموعها سمات خاصة بالأمة الإسلامية تحفظ لها هويتها و معالم شخصيتها.و نعرض فيما يلي ملامح تلك الأحكام:

- الإيمان سبب للطهارة المعنوية ولذلك يحتاج عند النطق بالشهادتين إلى الطهارة المادية من الاغتسال وحلق شعر الكفر مصداقا لقول الحق عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة:٢٢٢).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة:٦).

ولذلك جعل الرسول الاغتسال والحلق مظهرا من مظاهر الإقرار بالشهادتين و ذلك في الأحاديث التالية:

- عن هاشم بن قتادة الرهاوي عن أبيه قال: ثم أتيت رسول الله ﷺ فأسلمت فقال لي: « ياقتادة اغتسل بماء وسدر [السدر: شجر النبق كان يستعمل للإغتسال] واحلق عنك شعر الكفر »[١].

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩ / ١٤) عن محمد بن النضر الأزدي ثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد الحراني ثنا قتادة بن الفضل بن قتادة الرهاوي عن أبيه حدثني عم أبي هاشم بن قتادة الرهاوي.. به، وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (٥ / ٧٧) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٨٣) وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤١١.

– وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: ثم لما أسلمت أتيت النبي ﷺ فقال لي: « يا واثلة اذهب فاحلق عنك شعر الكفر، واغتسل بماء وسدر »[1].

– من أحكام الإيمان أن الإسلام يحمل الخير لمن دخل فيه حتى لو كان كارها قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران:٨٣).

واتباعا لهذا المنهج نتعرض أحاديث الرسول ﷺ التالية:

– عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لرجل أسلم قال أجدني كارها قال: « أسلم وإن كنت كارها »[2].

– وعن المقداد بن الأسود يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخل الله عليهم كلمة الإسلام بعز عزيز وبذل ذليل إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها »[3].

يوجب الإسلام هدم كل طواغيت الجاهلية لأن الإيمان بالله معناه اختيار الرشد والاستمساك بالعروة الوثقى، قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٦).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ (الزمر:١٧).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٥٩) عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن مهران ثنا أبي ثنا سليم بن منصور بن عمار ثنا أبي ثنا معروف أبو الخطاب.. به.ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤١٢.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٠٩) عن ابن أبي عدي عن حميد.. به، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٤٧١) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٠٥) وقال: رواه أحمد وابو يعلى ورجالهما رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤١٠.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤) عن يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم حدثني ابن جابر قال: سمعت سليم بن عامر قال سمعت المقداد.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٨١) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٦) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٢٥٤) بإسناده، وابن منده في الإيمان (٢/ ٩٨١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٣٧.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن أبي الهياج الأسدي قال: قال علي: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا في بيت إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته [1].

- ليس على الحاكم أن يحاسب المسلمين على مدى إيمانهم طالما أنهم يقيمون الشعائر. فالحكم في ذلك لله، لأنه أعلم بما تكنه الصدور والقلوب. قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنعام:٥٢).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: فشت أمور قبيحة في الكوفة فاجتمع قراء الكوفة فخرجوا إلى عمر فقال عمر ما الذي صنعت حتى سار إلي قراء الكوفة فقال عبد الله بن عمرو فشت فيهم أمور قبيحة فقال: نشدتك الله يا عبد الله بن عمرو أتطيع الله فيما أمرت من أمر سمعك قال لا قال: ففي أمر بصرك قال لا قال: فكيف أقيم أمر أمة محمد ﷺ على ما لا تستقيم لي عليه أنت في أمر سمعك وبصرك إنما لنا من الناس ما قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلَّا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله [2].

- من تطبيقات الإقرار بالشهادتين اقتران الإيمان بالعمل للحفاظ على معالم الشخصية الإيمانية للأمة الإسلامية انطلاقا من قول الحق عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف:٢، ٣).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٩٦) عن وكيع حدثنا سفيان عن حبيب عن أبي وائل.. به، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١ / ١٦) بإسناده، والترمذي في الجنائز، (١٠٩٤) بإسناده، وأبو داود في الجنائز، (٣٢١٨) بإسناده، وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٩٢.

(٢) حديث حسن. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٩٩) عن محمد بن علي المروزي ثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ نا حاتم بن يوسف الجلاب ثنا عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٨٣.

و نرى ذلك في الحديث التالي:

– عن علي قال: «الإيمان والعمل شريكان في قرن، لا يقبل الله تعالى أحدهما إلا بصاحبه»[1].

– إن الإقرار بالشهادتين يدخل الإنسان في رحاب الإسلام، ويجب ما قبله من ذنوب، وذلك إذا أسلم المؤمن حقا وصدقا، واتبع حكم الله وترك حكم الجاهلية الذي يقوم على التعصب والهوى. أما إذا أخذته حمية الجاهلية وعصبيتها، فإنه لا ينفعه إسلامه ويقع في أوزار كثيرة لا قبل له بها لأنها تعيد عليه كل صفات وسيئات الجاهلية مما يحبط أعمالهم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (محمد ٣٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء ١٢٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٤٨).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر:٥٣).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن عبد الله قال: قلنا يا رسول الله أنؤاخذ بما كنا نعمل في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ: «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ الأول والآخر»[2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (١/ ١١١) عن علي، والمناوي في التيسير شرح الجامع الصغير (٣/ ٧٧) وقال: حسن الإسناد. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٢١.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب ذكر الذنوب (٤٢٤٢) عن محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا وكيع وأبي عن الأعمش عن شقيق.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٢٣) بإسناده. قال ابن حجر في معتصر المختصر (٢/ ٢٦٣) في شرحه للحديث: أي من أسلم في زمن الإسلام ومن كفر في زمن الإسلام المراد بالحسنة والسيئة هنا الإسلام والكفر كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم >

– ومن أحكام الإيمان التي يجب أن تسود الأمة الإسلامية: حرية التملك وحرية الأمن على المال والنفس بما يحقق المساواة بين أفراد الأمة، وبما يحقق السلام الاجتماعي فلا بغي ولا عدوان اتباعاً للهوى و ابتغاء عرض الحياة الدنيا:

قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام:١٥١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٨٨).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء:٩٤).

ونعرض ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مـن قال لا إله إلَّا الله، وكفر بما كان يعبد من دون الله حرم الله ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل »[١].

> في النار فلا يضاد ما روي أن الإسلام يجب ما قبله والهجرة تجب ما قبلها. وقال ابن حزم في المحلى: (١١ / ١٣٩): قال أبو محمد رحمه الله فحكم الإحسان في الإسلام هو التوبة من كل ذنب أسلفه أيام كفره وأما من أصر على معاصيه فما أحسن في إسلامه بل أساء فيه وكذلك من لم يهجر ما نهى الله تعالى عنه فليس تام الهجرة وكل حج أصر صاحبه على المعاصي فيه فلم يوف حقه من البر فليس مبرورا وبالله تعالى التوفيق. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٠٩.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ووكلت سريرته إلى الله تعالى وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام واهتمام الإمام بشعائر الإسلام (٢٣) عن سويد بن سعيد وابن أبي عمر قال: حدثنا مروان يعنيان الفزاري.. به، وأحمد في مسنده (٦ / ٣٩٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٦٦.

- وعن صخر بن عيلة أن قوما من بني سليم فروا عن أرضهم حين جاء الإسلام فأخذتها فأسلموا فخاصموني فيها إلى النبي ﷺ فردها عليهم وقال: « إذا أسلم الرجل فهو أحق بأرضه وماله »(١).

- وعن أبي حرة الرقاشي عن عمه قال: كنت آخذا بزمام ناقة رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس فقال يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم قالوا في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه ثم قال: اسمعوا مني تعيشوا ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه »(٢).

- وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذاكم المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته »(٣).

- وعن وهب قال: سألت جابرا عن شأن ثقيف إذ بايعت قال: اشترطت على النبي ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول: « سيصدقون ويجاهدون إذا أسلموا »(٤).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣١٠) عن وكيع حدثنا أبان بن عبد الله البجلي حدثني عمومتي عن جدهم.. به. ولقد سئل الإمام مالك مالك عن إمام قبل الجزية من قوم فكانوا يعطونها أرأيت من أسلم منهم أتكون له أرضه أو تكون للمسلمين ويكون لهم ماله فقال مالك: ذلك يختلف؛ أما أهل الصلح فإن من أسلم منهم فهو أحق بأرضه وماله، وأما أهل العنوة الذين أخذوا عنوة فمن أسلم منهم فإن أرضه وماله للمسلمين لأن أهل العنوة قد غلبوا على بلادهم وصارت فيئا للمسلمين، وأما أهل الصلح فإنهم قد منعوا أموالهم وأنفسهم حتى صالحوا عليها فليس عليهم إلا ما صالحوا عليه (انظر الموطأ ٢ / ٤٧٠). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٩٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٧٢) عن عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن زيد.. ثم ذكره.والبيهقي في السنن الكبرى (٦ / ١٠٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٩٧.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الصلاة، باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه (٣٩١) عن عمرو بن عباس قال: حدثنا ابن المهدي قال: حدثنا منصور بن سعد عن ميمون بن سياه.. به، والنسائي في تحريم الدم، باب ذبح الضحية قبل الامام (٣٩٦٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٣٩٨.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة، باب ما جاء في خبر الطائف (٣٠٢٥) عن الحسن بن الصباح حدثنا إسمعيل يعني ابن عبد الكريم حدثني إبراهيم يعني ابن عقيل بن منبه عن أبيه.. به؛ لكن لفظه: « سيتصدقون » وأخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده (٣ / ٣٤١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٠٠.

– وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »[١].

– وعن الحسن قال: جاء رجل إلى الزبير يوم الجمل فقال: أقتل لك عليا قال: وكيف قال: آتيه فأخبره أني معه ثم أفتك به فقال: الزبير سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن »[٢].

– وعن صخر بن العيلة قال: أخذت عمة المغيرة بن شعبة فقدمت على رسول الله ﷺ فسأل النبي ﷺ عمته فقال: « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم »[٣].

– وعن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: « أهل الذمة لهم ما أسلموا عليه من أموالهم وعبيدهم وديارهم وأرضهم ومواشيهم ليس عليهم فيه إلا الصدقة »[٤].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في الأدب، باب في الغيبة (٤٨٨٢) عن حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح.. به، وابن ماجه في الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله (٣٩٣٣) بإسناده. وقال المناوي في فيض القدير: وأدلة تحريم هذه الثلاثة مشهورة معروفة من الدين بالضرورة وجعلها كل المسلم وحقيقته لشدة اضطراره إليها فالدم فيه حياته ومادته المال فهو ماء الحياة الدنيا والعرض به قيام صورته المعنوية واقتصر عليها لأن ما سواها فرع عنها وراجع إليها لأنه إذا قامت الصورة البدنية والمعنوية فلا حاجة لغيرهما وقيامهما إنما هو بتلك الثلاثة ولكون حرمتها هي الأصل والغالب لم يحتج لتقييدها بغير حق. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٠٧.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ١٦٧) عن إسماعيل حدثنا أيوب عن الحسن قال قال رجل للزبير ألا أقتل لك عليا قال كيف تقتله قال أفتك به قال لا قال رسول الله ﷺ:.. به، والطبراني في المعجم الكبير (١٩ / ٣١٩) بإسناده، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٥٤٣).. به، وابن الجعد في مسنده (١ / ٤٦٣) بإسناده، والطبراني في المعجم الأوسط (٦ / ١٨٦) بإسناده، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٤٨٦) عن إسحاق بن منصور قال حدثنا اسباط بن نصر عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:.. به، والبخاري في التاريخ الكبير (١ / ٤٠٣) بإسناده، وأبو داود في الجهاد، باب في العدو يؤتى على غرة ويتشبه بهم (٢٧٦٩) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٤ / ٣٩٢) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. ومعنى: الفتك هو أن يأتي صاحبه وهو غافل فيشد عليه فيقتله أي إيمانه يمنعه عن الفتك. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤١٩.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الدارمي في السير (٢٤٨٠) عن أبي نعيم حدثنا أبان بن عبد الله البجلي حدثنا عثمان بن أبي حازم.. به، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٦ / ٣١) بإسناده، وأحمد في مسنده (٤ / ٣١٠) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (٨ / ٢٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٢٠.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤ / ١٣٢) عن أبي زكريا يحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنبأ أبو القاسم علي بن المؤمل ثنا محمد بن إبراهيم ثنا النفيلي ثنا موسى بن أعين عن ليث عن علقمة بن مرثد.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٢٤.

- وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال أتيت النبي ﷺ حين أتيته فقلت والله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد أولاء أن لا آتيك ولا آتي دينك وجمع بهز بين كفيه وقد جئت امرأ لا أعقل شيئا إلا ما علمني الله تبارك وتعالى ورسوله وإني أسألك بوجه الله بم بعثك الله إلينا قال بالإسلام قلت وما آيات الإسلام قال أن تقول أسلمت نفسي لله ووجهت وجهي إليه وتخليت وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة كل مسلم على مسلم حرام أخوان نصيران لا يقبل الله من مسلم أشرك بعد ما أسلم عملا حتى يفارق المشركين إلى المسلمين، مالي آخذ بحجزكم عن النار إلا أن ربي داعني ألا وإنه سائلي هل بلغت عبادي وإني قائل رب قد بلغتهم فليبلغ شاهدكم غائبكم ثم إنكم تدعون مفدمة أفواهكم بالفدام ثم أول ما يبين عن أحدكم فخذه وكفه هذا دينكم وأينما تكن يكفيك[١].

- وعن أسامة قال: « كيف لك بلا إله إلّا الله يوم القيامة »[٢].

- وعن المقداد بن عمرو الكندي وكان حليفا لبني زهرة وكان ممن شهد بدرا مع رسول الله ﷺ أخبره أنه قال لرسول الله ﷺ أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة فقال أسلمت لله أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها فقال رسول الله ﷺ لا تقتله فقال يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي ثم قال: ذلك بعد ما قطعها فقال: رسول الله ﷺ لا تقتله: « لا تقتله فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال: »[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٤) عن إسماعيل أخبرنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١) وقال: رواه أحمد في ورجاله ثقات. ومعنى قوله: الفدام بالفاء: هو ما يشد على الفم إبريق وكوز من حرقة لتصفية الشراب أي يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٢٧.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١ / ١٦٤) عن أبي حصين ثنا يحيى الحماني ثنا خالد الواسطي عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٢٨.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في المغازي، باب شهود الملائكة بدرا (٤٠١٩) عن أبي عاصم عن ابن جريج عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن عبيد الله بن عدي عن المقداد بن الأسود ح حدثني إسحاق حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثنا ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال: أخبرني عطاء بن يزيد الليثي ثم الجندعي أن عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره أن المقداد.. به، ومسلم في الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلّا الله (٩٥) بإسناده، وأحمد في مسنده (٦ / ٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٢٩.

– ومن أحكام الإيمان التي يجب أن تسود الأمة الإسلامية: المساواة والتكافل الاجتماعي، والوحدة السياسية للأمة وحفظ العهود والمواثيق. قال تعالى في توضيح صفات المؤمنين وواجباتهم: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح:٢٩).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (المائدة:٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٢).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن قيس بن عباد قال: انطلقت أنا والأشتر إلى علي عليه السلام فقلنا: هل عهد إليك رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس عامة؟ قال: لا إلا ما في كتابي هذا، قال مسدد قال: فأخرج كتابا وقال أحمد كتابا من قراب سيفه فإذا فيه: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده، من أحدث حدثا فعلى نفسه، ومن أحدث حدثا أو آوى محدثا لعنه الله والملائكة والناس أجمعين»[1].

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في الديات (٤٥٣٠) عن أحمد بن حنبل ومسدد قال: حدثنا يحيى بن سعيد أخبرنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن.. به، والنسائي في القسامة، باب سقوط القود من المسلم للكافر (٤٧٤٦) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٥٣) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد عن أبي هريرة وعمرو بن العاص أما حديث أبي هريرة. ووافقه الذهبي وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٠٢.

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: « المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مشدهم على مضعفهم، ومسرعهم على قاعدهم، لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذوعهد في عهده »(١).

- وعن عائشة رضي الله عنها أنها ثم قالت: وجد في قائم سيف رسول الله ﷺ كتابان فذكر أحدهما قال وفي الآخر: « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم لا يقتل مسلم بكافر ولا ذوعهد في عهده ولا يتوارث أهل ملتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولا تسافر المرأة ثلاث ليال إلا مع ذي محرم »(٢).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في الجهاد (٢٧٥١) عن قتيبة بن سعيد حدثنا ابن أبي عدي عن ابن إسحق هو محمد ببعض هذا ح و حدثنا عبيد الله بن عمر ابن ميسرة حدثني هشيم عن يحيى بن سعيد جميعا:.. به، وابن ماجه في الديات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم (٢٦٨٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٠٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٩) عن عمر بن عثمان بن عبد الملك بن عبيد إلا أنه قال خراش بن أمية بدل هلال بن أمية ولم يذكر الدية وما بعدها أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل الصيرفي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن سنان ثنا عبيد الله بن عبد المجيد ثنا بن وهب قال: سمعت مالكا عن محمد بن عبد الرحمن عن عمرة بن عبد الرحمن.. به. قال ابن قدامة في المغني (٦/ ٢٤٧): وروي عن أحمد أن الكفر ملل مختلفة لا يرث بعضهم بعضا، اختاره أبو بكر، وهو قول كثير من أهل العلم لأن قول النبي ﷺ لا يتوارث أهل ملتين شتى ينفي توارثهما ويخص عموم الكتاب، ولم نسمع عن أحمد تصريحا بذكر أقسام الملل، وقال القاضي أبو يعلى: الكفر ثلاث ملل اليهودية والنصرانية ودين من عداهم لأن من عداهم يجمعهم أنهم لا كتاب لهم؛ وهذا قول شريح وعطاء وعمر بن عبد العزيز والضحاك والحكم والثوري والليث وشريك ومغيرة والضبي وابن أبي ليلى والحسن بن صالح ووكيع وروي ذلك عن مالك؛ وروي عن النخعي والثوري القولان معا ويحتمل كلام أحمد رضي الله عنه أن يكون الكفر مللا كثيرة فتكون المجوسية ملة وعبادة الأوثان ملة أخرى وعبادة الشمس ملة فلا يرث بعضهم بعضا؛ روي ذلك عن علي وبه قال الزهري وربيعة وطائفة من أهل المدينة وأهل البصرة وإسحاق وهو أصح الأقوال إن شاء الله تعالى لقول النبي ﷺ: « لا يتوارث أهل ملتين شتى » ولأن كل فريقين منهم لا موالاة بينهم ولا اتفاق في دين فلم يرث بعضهم بعضا كالمسلمين والكفار والعمومات في التوريث مخصوصة فيخص منها محل النزاع بالخبر والقياس، ولأن مخالفينا قطعوا التوارث بين أهل ال وأهل دار الإسلام مع اتفاقهم في الملة لانقطاع الماوردي فمع اختلاف الملة أولى، وقول من حصر الملة بعدم صحيح فإن هذا وصف عدمي لا يقتضي حكما ولا جمعا، ثم لا بد لهذا الضابط من دليل يدل على اعتباره ثم قد افترق حكمهم فإن المجوس يقرون بالجزية وغيرهم لا يقر بها وهم مختلفون في معبوداتهم ومعتقداتهم وآرائهم يستحل بعضهم دماء بعض ويكفر بعضهم بعضا فكانوا مللا كاليهود والنصارى، وقد روي ذلك عن علي رضي الله عنه فإن إسماعيل بن أبي خالد روى عن الشعبي عن علي عليه السلام أنه جعل الكفر مللا مختلفة، ولم يعرف له مخالف في الصحابة فيكون إجماعا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٣٩.

- من أحكام الإيمان في الأمة الإسلامية « حق الإجارة » وهو ما يسمى في عصرنا الحاضر بحق اللجوء السياسي، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة. قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:٦).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إن المرأة لتأخذ على القوم تجير على المسلمين »[١].

- وعن أبي أمامة قال: أجار رجل من المسلمين رجلا وعلى الجيش أبو عبيدة بن الجراح فقال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص لا نجيره وقال أبو عبيدة نجيره سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يجير على المسلمين بعضهم »[٢].

- من أحكام الإيمان ضرورة تناصر المسلمين وهذا يؤدي إلى قوة الأمة ووحدتها. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر:٩).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن عبيد بن زياد الحضرمي قال: لقي مالك بن دينار سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو راكب على حمار ساقطه أذناه رث السرج والثياب فقال له سالم ممن الرجل فقال منك وإليك ومن بعض مواليك فقال حدثني عن رسول الله ﷺ: « إن المسلم أخوالمسلم

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في السير، باب ما جاء في أمان العبد والمرأة (١٥٧٩) عن حدثنا يحيى بن أكثم حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح.. به، وقال: هذا حديث صحيح وكثير بن زيد قد سمع من الوليد بن رباح والوليد بن رباح سمع من أبي هريرة وهو مقارب الحديث. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤١٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٩٥) عن إسماعيل بن عمر حدثنا إسرائيل عن الحجاج بن أرطاة عن الوليد بن أبي مالك عن القاسم.. به، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٥٠) عن إسماعيل بن عمر حدثنا إسرائيل عن الحجاج بن أرطاة عن الوليد بن أبي مالك عن القاسم عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:.. به. والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٣٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤١٧.

لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يسلمه، في مصيبة نزلت به، وإن يكن[١] خيار العرب والموالي يحب بعضهم بعضا لا يجدون من ذلك بدا »[٢].

- من أحكام الإيمان أن من أسلم على يد رجل فهو مولاه أي صاحب الفضل الذي يلي أمره، وهو الناصر، وهو القريب (كما قال أبو الهيثم في لسان العرب) ويحق له أن يرثه إذا لم يكن له وارث فهو أحق من غيره كما قال ابن المبارك.

وقد أعطى الله تلك الولاية منةً وفضل لمن يسعى إلى إعلاء كلمة الحق، ولمن يريد الهداية ويسعى إليها وينشرح بها قلبه، قال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف:١٧).

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد:١١).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: « من أسلم على يد رجل فهو مولاه »[٣].

إذا أسلم رجل وعنده أرض توضع عنه الجزية ويدفع الخراج وهي زكاة الأرض. فالجزية لا تفرض إلا على غير المسلمين فى معاهدات الحروب، أما المسلم فعليه الزكاة و الصدقات. قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ (التوبة:٢٩).

وقال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة:١٠٣).

---

(١) عند الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٣٢٠): « يلف خيار ».

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٣٢٠) عن أبي الزنباع روح بن الفرج ويحيى بن أيوب العلاف قال: ثنا أبو صدقة محمد بن عبد الأعلى القراطيسي حدثني.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٨٥) وقال: رواه الطبراني إسناده جيد. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤١٨.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٢٠ ح ٩٨٧٢) عن عبدالرزاق قال: أخبرنا ابن المبارك عن عبدالعزيز بن عمر قال: حدثني عبد الله بن موهب.. به. قال ابن المبارك ويرثه إذا لم يكن له وارث فذكرته للثوري فقال يرثه هو أحق من غيره. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٣٢.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن طارق بن شهاب أن دهقانة من أهل نهر الملك أسلمت فقال عمر: إذا أسلم وله أرض وضعن عنه الجزية وأخذنا منه خراجها [١].

– والزوجة إذا أسلمت يجب أن تطلق من المشرك ويتزوجها مسلم ويدفع للمشرك ما دفعه من مهر لتلك الزوجة وهذا لتكون المرأة حرة في عقيدتها بعيدة عن قوامة الزوج المشرك.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الممتحنة:١٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن الزهري في النصرانية تكون تحت النصراني فتسلم قبل أن يدخل بها قال: يفرق بينهما ولا صداق لها [٢].

– وعن عكرمة مولى ابن عباس قال: فرق الإسلام بين أربع وبين أبناء بعولتهن: حمينة بنت أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار كانت عند خلف بن سعد بن عامر بن بياضة الخزاعي فخلف عليها الأسود بن خلف، وفاخته بنت الأسود بن المطلب بن أسد وكانت عند أمية بن خلف فخلف عليها صفوان بن أمية بن خلف، وأم عبيد بنت ضميرة بن مالك بن عزير، وكانت عند الأسلت فخلف عليها أبو قيس بن الأسلت من الأنصار، ومليكة

---

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٦٣) عن وكيع قال: ثنا سفيان عن قيس بن مسلم.. به. وقال: وقد صح أن الصحابة رضي الله عنهم اشتروا أراضي الخراج وكانوا يؤدون خراجها قلت قال البيهقي في كتاب المعرفة قال أبو يوسف القول ما قال أبو حنيفة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٨٤.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ١٨٣) عن معمر.. ثم ذكره. قال الإمام: لا يلزمها من طلاقه شيء وهو نصراني وإن أسلم وهي في عدتها بعد ما طلقها وهو نصراني كان زوجته وكان طلاقه ذلك باطلا إلا أن يطلقها بعد أن يسلم وإن انقضت عدتها فتزوجها بعد ذلك كان نكاحه جائزا وكان الطلاق الذي طلقها وهو نصراني باطلا (انظر المدونة ٤/ ٣٠٣).

بنت خارج بنت سنان بن أبي خارج بنت خارجة بن أبي سنان بن أبي خارجة، كانت عند زبان بن سنان فخلف عليها منظور بن زبان بن سنان، وجاء الإسلام وعند قيس بن حارث بن عميرة الأسدي ثمان نسوة، فقال النبي ﷺ طلق، وأمسك أربعا، وجاء الإسلام وعند صفوان بن أمية بن خلف ست نسوة وعند عروة بن مسعود عشر نسوة وعند سفيان بن عبد الله الثقفي تسع نسوة وعند أبي سفيان بن حرب ست نسوة [1].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٦٣) عن ابن جريج قال: قال.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٩٦.

الفصل الخامس
في أحكام البيعة

إن أحكام البيعة في الإسلام تحدد ملامح الحكم والنظم التي تسود الدولة، سواء كانت نظما سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، لأن تلك النظم تنبع أساسا من العهد والولاء والبيعة لله ولرسوله، وهى تمثل الاستفتاء على دستور المسلمين الذي يحكم مسار حياتهم في جميع المجالات، بما يمثل منهاجا تطبيقيا لشريعة الله حيث يحكم تلك البيعة منهاج الله، ويقتضيها واقع الإنسان المؤمن، والاثنان مترابطان، والإخلال بأحدهما يؤدي إلى الإخلال بالآخر.. فطبيعة الوفاء بالبيعة والعهد مع الله ورسوله، تفرض الوفاء بذلك كله في الحياة الدنيا مع الناس في جميع الميادين. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النحل: ٩١).

من هذا المنطلق فإن المبايعة التي تمت بين الرسول وبين المؤمنين سواء كانوا فرادى أو مجتمعين، وسواء كانوا رجالا أو نساء، فهي عهود ومواثيق تفرض على المؤمنين الالتزام بها وجدانيا وتطبيقيا في ميادين الحياة العملية، وهي تشمل بنود متعددة ذكرتها الأحاديث أحيانا إجمالية وأحيانا تفصيلية، نسجلها فيما يلي حسب ما جاء في هذا الفصل:

أولا: برامج المبايعة

- المبايعة على عدم الشرك بالله أي التوحيد الخالص، والبعد عن السرقة والزنا وقتل الأولاد والبعد عن البهتان والافتراء، وطاعة الرسول ﷺ فيما أمر به من معروف، وما نهى عنه من المنكر، قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥١).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي إدريس عائذ الله أن عبادة بن الصامت من الذين شهدوا بدرا مع رسول الله ﷺ ومن أصحابه ليلة العقبة أخبره أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: « تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه »[١].

- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من بايعني على هؤلاء الآيات، قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم حتى ختم الآيات الثلاث، فمن وفى بهن فأجره على الله، ومن انتقص شيئا أدركه الله بها في الدنيا كانت عقوبته ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له »[٢].

- وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: « ألا تبايعوني على مابايع عليه النساء لا تشركوا بالله شيئا وتسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن أصاب بعد ذلك ذنبا فنالته به عقوبة فهي له كفارة ومن لم تنله به عقوبة فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه به »[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في المناقب، (٣٨٩٢) عن إسحاق بن منصور أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال: أخبرني أبو إدريس.. به. وقوله: ببهتان: هو أفظع الكذب. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٥٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٣٤٨) عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الصفار حدثنا محمد بن مسلمة الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أنبأ سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس.. به، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه جميعا على حديث الزهري عن أبي إدريس عن عبادة بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا وقد روى سفيان بن حسين الواسطي كلا الحديثين عن الزهري فلا ينبغي أن ينسب إلى الوهم في أحد الحديثين إذا جمع بينهما والله أعلم. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٦٧.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه النسائي في البيعة (٤١٦٢) عن أحمد بن سعيد قال: حدثنا يعقوب قال: حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن الحارث بن فضيل أن ابن شهاب حدثه.. به، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨ / ٨) عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الحارث بن الفضيل الأنصاري صلبية أن ابن شهاب حدثه أن عبادة بن الصامت قال إن رسول الله ﷺ قال لنا ألا تبايعوني على ما بايع عليه النساء أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف قلنا بلى يا رسول الله فبايعناه على ذلك فقال:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٦٩.

- وعن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود حدثه عند قرن عسقلة قال: فرأيت النبي ﷺ يبايع الناس فجاء الرجال والنساء والصغار والكبار فبايعوه على الإسلام والشهادة قال عبد الله بن عثمان بن خثيم قلت وما الشهادة فأخبرني محمد بن الأسود قال: الشهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمدا رسول الله[1].

- المبايعة بعد عبادة الله وعدم الشرك به، على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، لأن ذلك النصح يحقق قواعد الشورى اللازمة لرقي الأمة ويشكل سياجا منيعا يحمي المسلمين من الانحراف عن نهج الدين. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤).

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (هود:١١٦).

وقال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة:٧٩).

ونرى ذلك واضحا في الأحاديث التالية:

- عن جرير قال: قلت يا رسول الله اشترط علي فأنت أعلم بالشرط قال: « أبايعك على أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة وتنصح لكل مسلم وتبرأ من الشرك »[2].

- وعن عثمان بن عمر الضبي أبو عمرو حدثنا عبد الله بن رجاء الغداني حدثنا إسرائيل عن شبيب بن غرقدة عن المستظل بن حصين سمعت جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤١٥) عن عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج قال: أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم.. به، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٣٥) بإسناده، وصححه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٠٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٥٨).. به. والنسائي في البيعة، باب البيعة على فراق المشرك (٤١٧٧) بإسناده.٤٤٧.

وكان أميرا علينا يقول ثم بايعت رسول الله ﷺ ثم رجعت فدعاني فقال: « لا أقبل منك حتى تبايع على النصح لكل مسلم »[١].

- وعن جرير قال: ثم أتيت النبي ﷺ أبايعه على الإسلام فقبض يده والنصح لكل مسلم[٢].

- وعن أبي بكر بن عمرو بن عتبة قال: خرج على الناس بعث في زمن معاوية فكتب معاوية إلى جرير بن عبد الله إنا قد وضعنا عنك البعث وعن ولدك فكتب إليه جرير قال: بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة والنصح للمسلمين[٣].

- المبايعة على الإيمان بالله الذي يكشف الضر، ويجيب دعوة المضطر، ويرزق بعد الجدب والقحط. قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام:١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (يونس:١٢).

ونرى ذلك واضحا في الحديث التالي:

- المبايعة (بعد عبادة الله وعدم الشرك به) على الاعتصام بحبل الله جميعا والحفاظ على وحدة الأمة وذلك بالسمع والطاعة لأولي الأمر والبعد عن كثرة الكلام الذي لا يجدي وكثرة السؤال من غير احتياج وإضاعة المال. قال تعالى:

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣١٥) عن أبي سعيد حدثنا زائدة حدثنا عاصم عن شقيق.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الصغير وإسناده حسن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٧٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣١٦) عن علي بن عبد العزيز ثنا إبراهيم بن حميد الطويل ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٣) بإسناده، وقال: رواه الطبراني بطرق ورجال بعضها رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٠٩

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٢٢٧) عن عبد الرحيم بن سليمان عن زكريا.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥١٤.

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٣).

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء:٥٩).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (الأحزاب:٧٠).

وقال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف:٣١).

ونرى ذلك واضحا في الأحاديث التالية:

- عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « آمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وتسمعوا وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم، وأنهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال »[1].

- وعن أبي مسلم الخولاني قال: حدثني الحبيب الأمين أما هو فحبيب إلي وأما هو عندي فأمين عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: « ألا تبايعوني على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تقيموا الصلوات الخمس وتؤتوا الزكاة وتسمعوا وتطيعوا ولا تسألوا الناس شيئا »[2].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٢٩) عن أبي عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ثنا حرملة ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكيرا حدثه عن سهيل بن ذكوان أن أبان حدثه.. به، وابن حبان في صحيحه (١٠ / ٤٢٣) بإسناده، وابن منده في الإيمان (١ / ٢٨٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٤٩.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الزكاة، باب كراهة المسألة للناس (١٠٤٣) عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وسلمة بن شبيب قال سلمة حدثنا وقال الدارمي أخبرنا مروان وهو ابن محمد الدمشقي حدثنا سعيد وهو ابن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني.. به، والنسائي في البيعة، باب البيعة على الجهاد (٤١٦٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٥٠.

- وعن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: « يا عبادة اسمع وأطع في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك إلا أن تكون معصية الله بواحا »[١].

- ومن قواعد المبايعة على السمع والطاعة وتخفيفا من النبوة التي تطبق قواعد الشريعة السمحة ومرونتها في مواجهة طبائع النفوس، أن ذلك السمع والطاعة يكون في حدود الاستطاعة، وليس قواعد صارمة تشق على النفوس الإنسانية. قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٥١).

وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (التغابن: ١٦).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن هلال الوزان قال: سمعت عبد الله بن عكيم قال: بايعت عمر بيدي هذه على السمع والطاعة فيما استطعت[٢].

- وعن أنس بن مالك قال: قدمت المدينة وقد مات أبو بكر واستخلف عمر فقلت لعمر ارفع يدك أبايعك على ما بايعت عليه صاحبك قبلك على السمع والطاعة ما استطعت[٣].

- وعن عمر قال أتاه رجل فبايعه فقال: أبايعك فيما رضيت وفيما كرهت فقال عمر لا بل فيما استطعت[٤].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠ / ٤٢٥) عن الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان بالرقة حدثنا هشام بن عمار حدثنا مدرك بن سعد الفزاري قال: سمعت حيان أبا النضر يقول حدثني جنادة بن أبي أمية.. به.وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٤٩٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٦٨.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦ / ١١٣) عن عفان بن مسلم قال: حدثنا شعبة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٩٧.

(٣) أثر حسن الإسناد. أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١ / ٢٨٦) عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد.. به، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧ / ٢١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٩٩.

(٤) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦ / ١٥٦) عن عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل عن سماك عن بشر بن قحيف.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٠١.

- وعن أنس يقول بايعت النبي ﷺ بيدي هذه على السمع والطاعة فيما استطعت [١] .

- وعن جرير: أتيت النبي ﷺ فقلت أبايعك على السمع والطاعة فيما أحببت وفيما كرهت، فقال النبي ﷺ : أتسطيع ذلك أو تطيق ذلك؟ فاحترز قل فيما استطعت فقلت فيما استطعت فبايعني والنصح للمسلمين [٢].

- وعن جرير أتى النبي ﷺ فقال: مد يدك يا جرير فقال على مه قال: أن تسلم وجهك لله والنصيحة لكل مسلم فأذن له وكان رجلا عاقلا فقال يا رسول الله فيما استطعت فكانت رخصة للناس بعده [٣] .

- وعن ابن عمر قال: كنا إذا بايعنا النبي ﷺ على السمع والطاعة يلقننا هو: فيما استطعت [٤].

- وعن ابن عمر قال: عن ابن عمر قال: كنا نبايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيقول لنا فيما استطعتم [٥].

- المبايعة على الجهاد لأن الجهاد لا يعني الدفاع عن الأمة الإسلامية فقط، بل يعني نصرة الحق في العالم أجمع، فتكون تلك الأمة ملاذ كل الشعوب المستضعفة التي تتعرض للاضطهاد من قوى الغطرسة والاستعلاء. أي أن الجهاد الإسلامي يهدف إلى حماية الحق والعدل والحرية والمساواة لأنه جهاد ضد قوى الظلم والعدوان التي تهدف إلى استنزاف

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١ / ٢٧٧) شعبة قال: حدثني عتاب مولى هرمز قال: سمعت أنسا.. به. ولم أجده عند الطبري. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٠٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه النسائي في البيعة، (٤١٧٤) عن محمد بن قدامة عن جرير عن مغيرة عن أبي وائل والشعبي قال: قال جرير.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥١٠.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢ / ٣٢٦) عن عبد الله بن محمد بن العباس ثنا سلمة بن شبيب ثنا مكي بن إبراهيم ثنا داود بن يزيد الأودي عن عامر.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥١٥.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٨١) عن محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الله بن دينار.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٢٢.

(٥) حديث صحيح الإسناد. أخرجه النسائي في البيعة، باب البيعة فيما يستطيع الإنسان (٤١٨٧) عن قتيبة قال: حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار ح و أخبرني علي بن حجر عن إسمعيل عن عبد الله بن دينار.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٢٣.

خيرات الشعوب، وكبت إرادتها وحريتها في تقرير مصيرها. وهذا يستلزم التعبئة المعنوية للشعوب الإسلامية. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنفال: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٥).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٢).

وهذا ما نراه واضحا في الأحاديث التالية:

- عن مجاشع رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ أنا وأخي فقلت: بايعنا على الهجرة فقال: « مضت الهجرة لأهلها أبايعه على الإسلام والجهاد »[١].

- وعن مجاشع قال: أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح قلت يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة قال: « ذهب أهل الهجرة بما فيها، أبايعه على الإسلام والجهاد »[٢].

- وعن مجاشع بن مسعود قال: أتيت النبي ﷺ أنا وأخي فقلت: يا رسول الله بايعنا على الهجرة قال: مضت الهجرة لأهلها فقلت: على ما نبايعك يا رسول الله قال: على الإسلام والجهاد قال: فلقيت أخاه فسألته فقال: صدق مجاشع[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الجهاد والسير، (٢٩٦٣) عن إسحاق بن إبراهيم سمع محمد بن فضيل عن عاصم عن أبي عثمان.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٥٢.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في المغازي، باب من شهد الفتح (٤٣٠٦) عن عمرو بن خالد حدثنا زهير حدثنا عاصم عن أبي عثمان قال: حدثني مجاشع.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٣٢٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٦٢.

(٣) حديث صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٠٨) عن محمد بن فضيل عن عاصم عن أبي عثمان عن مجاشع بن مسعود قال:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٢٧.

- ومن قواعد المبايعة تدريب المؤمنين على العزة الإيمانية نبعا من قول الحق:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء:١٣٩).

وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٧٣).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن أبي مسلم الخولاني قال: حدثني الحبيب الامين فأما هو الى فحبيب واما هو عندي فأمين عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله ﷺ ؟ فرددها ثلاث مرات، فقدمنا فبايعنا رسول الله ﷺ ، فقلنا: يا رسول الله قد بايعناك فعلى أي شيء نبايعك ؟ فقال: على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وأسر كلمة خفية أن لا تسألوا الناس شيئا قال: فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فما يقول لأحدينا وله إياه [1].

ثانيا: من أحكام المبايعات التي أجراها الرسول ﷺ

- انتخاب الصفوة من ذوى الرأي و النفوذ: وذلك في الحالات الحرجة مثل بيعة العقبة الثانية حيث كان الرسول ﷺ في أشد الاحتياج إلى النصرة، ولذلك كان لابد من اختيار عناصر قيادية يكون لها قوة التأثير على قومها وذلك لأن الموقف والوقت لا يحتمل التسويف أو تأرجح الأراء في مد يد العون لنصرة الإيمان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ (الصف:١٤).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الروياني في مسنده (١ / ٣٩٥) عن أبي بكر بن رزق الله حدثنا عبد الاعلى بن مسهر أبو مسهر الدمشقي حدثنا سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن ربيعة بن يزيد الدمشقي عن أبي إدريس الخولاني.. به، وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (٢٧ / ١٩١) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (١٨ / ٣٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٢٦.

وهذا يتضح في الأحاديث التالية:

– عن جابر رضي الله عنه قال: ثم حملني خالي جد بن قيس في سبعين راكبا الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من الأنصار فخرج إلينا رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب فقال: يا عم خذ على أخوالك فقال له السبعون: يا محمد سل لربك ولنفسك ما شئت قال: « أما الذي أسألكم لربي فتعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأما الذي أسألكم لنفسي فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم »[(١)].

– أهمية البيعة وضرورتها لأن البيعة تعني التزام المؤمنين بالمنهاج الرباني، مما يحقق وحدة الأمة وسيادة مفاهيم الإيمان في التعاملات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١١١).

وترى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أمية بن محمد بن عبد الله بن مطيع أن عبد الله بن مطيع أراد أن يفر من المدينة ليالي فتنة يزيد بن معاوية فسمع بذلك عبد الله بن عمر فخرج إليه حتى جاءه قال: أين تريد يا بن عم فقال لا أعطيهم طاعة أبدا فقال: يا بن عم لا تفعل فإني أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من مات ولا بيعة عليه مات ميتة جاهلية »[(٢)].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢ / ١٨٢) عن موسى بن هارون ثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثني معاوية بن عمار الدهني عن أبيه عن أبي الزبير.. به، والصغير (٢ / ٢٢٩) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٤٨) وقال: رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٧٠.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥ / ١٤٤) عن عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال: حدثني العطاف بن خالد.. به، والطبراني في المعجم الأوسط (١ / ٧٩) بإسناده، وقال: لم يرو هذا الحديث عن أمية بن محمد إلا عطاف بن خالد تفرد به يحيى بن بكير. وقد ورد عنده (٢ / ٧٠) بلفظ: « أبي النضر وحسين قالا حدثنا شريك عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر يعني ابن ربيعة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية ». وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٦٣.

- وعن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[1].

- ومن شروط تلك المبايعات أنه يجب أن يكون الإنسان بالغا عاقلا له القدرة على الوفاء بتلك المبايعات. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٢٨٦).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن عبد الله بن هشام وكان قد أدرك النبي ﷺ وذهبت به أمه زينب بنت حميد إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله بايعه فقال النبي ﷺ هذا صغير ومسح رأسه ودعا له وكان يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله[2].

- ومن أهم الشروط أيضا أن تلك المبايعات ملزمة لكل من الحاكم والرعية، فكل إنسان في الإسلام عليه واجبات وله حقوق حتى تتحقق الموازنات المطلوبة في الأمة الإسلامية.

قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (الشورى:١٥).

وقال تعالى:

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ (ص:٢٦).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٤٦) عن أسود بن عامر أخبرنا أبو بكر عن عاصم عن أبي صالح.. به. والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٨٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٦٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (١٩ / ٨٧) عن راشد حدثني هارون بن عبد الله نا عبد الله بن يزيد المقرئ نا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو عقيل زهرة بن معبد.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (٦ / ٧٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٣٣.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن عمير بن عطية الليثي قال: أتيت عمر بن الخطاب فقلت: يا أمير المؤمنين ارفع يدك رفعها الله أبايعك على سنة الله وسنة رسوله فرفع يده فضحك فقال: هي لنا عليكم ولكم علينا[1].

- ومن قواعد المبايعة أنه يجوز فيها الإنابة فليس مفروضاً أن يبايع كل الشعب الحاكم شخصياً، بل يمكن مبايعة من ينوب عنه و أعطاه سلطة التحدث باسمه.

قال تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (النمل: ٢٢).

وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٢٩: ٣١).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن بشر بن قحيف قال: أتيت عمر بن الخطاب وهو يأكل فقلت: يا أمير المؤمنين إني أتيتك أبايعك فقال: أليس قد بايعت أميري فقد بايعتني[2].

- ومن قواعد المبايعة قول الحق حيثما كان لا يخاف المسلم لومة لائم.. وهذا يساعد على تكوين رأي عام ناضج للأمة يوجه الحاكم في اتخاذ القرارات الرشيدة. قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨١).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الحج: ٤١).

---

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/ ١٢٥) عن عمير بن عطية الليثي قال: أخبرنا أحمد بن إسحاق الحضرمي قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا عاصم الأحول قال: حدثنا.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٤٩٨.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/ ١٥٦) عن يزيد بن هارون قال: أخبرنا شعبة عن سماك بن حرب.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٠٠.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره والأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول الحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم [١].

ثالثا: من أهم المبايعات التي بايعها الرسول ﷺ

- من المبايعات الهامة التي تشكل معدن الرجولة الحقة في تحمل الأعباء التي تقوم على دعائمها قوة الدعوة وبالتالي قوة الأمة هي بيعة العقبة الأولى والثانية، حيث تبين صدق الرجال واستعدادهم لتحمل التحديات، فكانوا مرآة صادقة لقول الحق عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩).

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد:١٨-٢٢).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عبادة بن الصامت قال: كنا أحد عشر رجلا في العقبه الأولى فبايعنا رسول الله ﷺ بيعة النساء قبل أن يفرض علينا الحرب بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نقتل أولادنا ولا نعصيه في معروف فمن وفى

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٦٤) عن عبد الله بن إدريس عن يحيى وعبيد الله وابن إسحاق.. به، والحديث على شرط أبي بكر بن أبي النضر فهو من رجال مسلم وحده وقد توبع وأبو النضر جده واسمه هاشم بن القاسم. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥١٧.

فله الجنة ومن غشى شيئا فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ثم انصرفوا العام المقبل عن بيعتهم [(١)].

- وعن عبادة بن الصامت أنه قال: أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ وقال: بايعنا على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا ننهب ولا نعصي بالجنة إن فعلنا ذلك، فإن غشينا من ذلك شيئا كان قضاؤه إلى الله [(٢)].

- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به كان كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله كان إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له [(٣)].

- وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: أخذ العباس بن عبد المطلب بيد رسول الله ﷺ في العقبة حين وافاه السبعون على الأنصار فأخذ لرسول الله ﷺ واشترط له وذلك والله في غرة الإسلام وأوله من قبل أن يعبد الله أحد علانية [(٤)].

- ومن المبايعات الهامة أيضا: بيعة الرضوان تحت الشجرة، حيث تبين صدق اليقين، وصدق الطاعة لله ورسوله وسرعة التعبئة المعنوية لجنود الحق، وقد مدحها المولى عزَّ وجلَّ

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق) ٢٦ / ١٨٦) عن أبي القاسم بن السمرقندي أنا أبو الحسين بن النقور أنا عيسى بن علي أنا عبد الله بن محمد حدثني ابن الأموي حدثني أبي قال: قال محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي.. به، وابن حبان في الثقات (١ / ٩٣) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥١٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها (١٧٠٩) عن قتيبة بن سعيد حدثنا ليث ح و حدثنا محمد بن رمح أخبرنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن الصنابحي.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥١٩.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الحدود، (٦٧٨٤) عن محمد بن يوسف حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن أبي إدريس الخولاني.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٢١.

(٤) حديث صحيح. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٢٦ / ٣٣٥) عن داود بن عمرو نا ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال:.. به، وأحمد في فضائل الصحابة (٢ / ٩٣٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٢٩.

في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح:١٨).

وذلك لأن تلك البيعة تمثل الثبات وطاعة الرسول ﷺ في أحلك المواقف وهذا نراه في الأحاديث التالية:

- عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة »[1].

- وعن جابر عن النبي ﷺ قال: « ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر »[2].

- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ثم من يصعد ثنية المرار فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل فكان أول من صعدها خيل بني الخزرج فقال رسول الله ﷺ: « كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر »[3].

- وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: بعثت قريش خارجة ابن كرز يطلع لهم طليعة فرجع حامدا يحسن الثناء فقالوا إنك أعرابي قعقعوا لك السلاح فطار فؤادك فما دريت ما قيل لك وما قلت ثم أرسلوا عروة بن مسعود فجاء فقال يا محمد ما هذا الحديث تدعو إلى ذات الله ثم جئت قومك بأوباش الناس من تعرف ومن لا تعرف لتقطع أرحامهم وتستحل حرمهم ودماءهم وأموالهم فقال إني لم آت قومي إلا لأصل أرحامهم يبدلهم الله

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٥٠) عن حجين ويونس قال: حدثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير.. به، والترمذي في المناقب، باب في فضل من بايع تحت الشجرة (٣٨٦٠) بإسناده، وأبو داود في السنة، باب في الخلفاء (٤٦٥٣) بإسناده. ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنه (٢٤٩٦) عن هارون بن عبد الله حدثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٥٦.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الترمذي في المناقب، باب ٥٩ (٣٨٦٣) عن محمود بن غيلان حدثنا أزهر السمان عن سليمان التيمي عن خداش عن أبي الزبير.. به، وقال: هذا حديث حسن غريب. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٥٧.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٩٣) عن أبي عمرو عثمان بن أحمد بن السماك ثنا عبد الملك بن محمد ثنا أبو عامر العقدي ثنا قرة بن خالد ثنا أبو الزبير.. به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٥٨.

بدين خير من دينهم ومعاش خير من معاشهم فرجع حامدا يحسن الثناء قال سلمة: فاشتد البلاء على من كان في يد المشركين من المسلمين فدعا رسول الله ﷺ عمر فقال: يا عمر هل أنت مبلغ عني أخوانكم من أسارى المسلمين قال: لا يا رسول الله والله مالي بمكة من عشيرة غيري أكثر عشيرة مني فدعا عثمان فأرسله إليهم فخرج عثمان على راحلته حتى جاء عسكر المشركين فعبثوا به وأساءوا له القول ثم أجاره إبان بن سعيد بن العاص ابن عمه وحمله على السرج وردفه فلما قدم قال يا ابن عم ما لي أراك متخشعا اسبل وكان إزاره إلى نصف ساقيه فقال له عثمان هكذا آزرة صاحبنا فلم يدع بمكة أحدا من أسارى المسلمين إلا بلغهم ما قال رسول الله ﷺ، قال سلمة: فبينا نحن قائلون نادى منادي رسول الله ﷺ أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه وذلك قول الله ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ قال: فبايع لعثمان إحدى يديه على الأخرى فقال الناس: هنيئا لأبي عبد الله يطوف بالبيت ونحن ههنا فقال رسول الله ﷺ لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف[1] .

- من المبايعات الهامة التي بايعها الرسول ﷺ والتي سجلها القرآن بحروف من نور بيعة النساء حيث كانت قاعدة لكثير من المبايعات وتتمثل في البنود التالية: عدم الشرك بالله، وعدم ارتكاب المنكرات من السرقة والزنى والقتل والزور والبهتان وطاعة الرسول في كل أوامره لأنها تنبع من أوامر الحق عزَّ وجلَّ وتلك البنود يتساوى فيها الرجال والنساء، دليلا على اهتمام الشريعة بدور المرأة في المساواة مع الرجل لإقامة موازين الحق في الأمة مع الحفاظ على أنوثتها وطهارة قلبها وكمال دينها.

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الممتحنة:١٢).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٨٧) عن عبيد الله بن موسى عن موسى بن عبيدة قال: حدثني إياس بن سلمة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٣٢.

وهذا نراه في الأحاديث التالية:

- عن السوداء قالت ثم أتيت النبي ﷺ لأبايعه فقال: « انطلقي فاختضبي ثم تعالي حتى أبايعك »[1].

- وعن عبد الله بن الزبير قال: لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة ونساء معها وأتين رسول الله وهو بالأبطح فبايعنه فتكلمت هند فقالت: يا رسول الله الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتنفعني رحمك يا محمد إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة برسوله ثم كشفت عن نقابها وقالت: أنا هند بنت عتبة فقال رسول الله مرحبا بك فقالت: والله ما كان على الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يذلوا من خبائك ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يعزوا من خبائك فقال رسول الله وزيادة وقرأ عليهن القرآن وبايعهن فقالت هند من بينهن يا رسول الله نماسحك فقال: « إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة »[2].

- وعن جدته أم عطية قالت: لما قدم النبي ﷺ جمع نساء الأنصار في بيت ثم بعث إلينا عمر فقام فسلم فرددنا السلام فقال: إني رسول رسول الله إليكم قلنا مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله فقال: أتبايعنني على أن لا تزنين ولا تسرقن ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٣٠٣) عن العباس بن الفضل الأسفاطي ثنا عبد العزيز بن الخطاب حدثنا نائلة عن أم عاصم.. به، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣٤٧) بإسناده، في ترجمة إسماعيل بن أبان أبو إسحاق الوراق الأزدي الكوفي، وقال عنه: صدوق. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٧٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٢٣٧) عن محمد بن عمر حدثني بن أبي سبرة عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى الزبير.. به، والترمذي في السير، باب ما جاء في بيعة النساء (١٥٩٧) عن قتيبة حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر سمع أميمة بنت رقيقة تقول بايعت رسول الله ﷺ في نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن قلت الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان تعني صافحنا فقال رسول الله ﷺ :.. به، وقال: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر وروى سفيان الثوري ومالك بن أنس وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن المنكدر نحوه قال وسألت محمدا عن هذا الحديث فقال لا أعرف لأميمة بنت رقيقة غير هذا الحديث وأميمة امرأة أخرى لها حديث عن رسول الله ﷺ. وأحمد في مسنده (٦/ ٣٥٧) بإسناده، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٥) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٤٨) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ١٨٧) بإسناده. وأخرج ابن ماجه في الجهاد، باب بيعة النساء (٢٨٧٤) بإسناده صدر الحديث. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٧٧.

ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين في معروف قلنا نعم فمددنا أيدينا من داخل البيت ومد يده من خارجه وأمرنا أن نخرج الحيض والعواتق في العيدين ونهانا عن اتباع الجنائز ولا جمعة علينا فقيل فما المعروف الذي نهين عنه قال: النياحة [1].

- وعن عبادة بن الصامت قال: أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا يعضه بعضكم بعضا ولا تعصوني في معروف آمركم به فمن أصاب منكم حدا فعجلت له العقوبة وفي لفظ عقوبته فهو كفارة ومن أخرت عقوبته فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وفي لفظ وإن شاء رحمه [2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨ / ٧) عن هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي ويحيى بن حماد قال: حدثنا إسحاق بن عثمان أبو يعقوب قال: حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية.. به، وأبو يعلى في مسنده (١ / ١٩٦) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (٢٥ / ٤٥) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٨٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٠٣.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٢٢ / ٤٣٧) عن أبي سهل محمد بن إبراهيم أنبأ أبو الفضل الرازي أنبأ جعفر بن عبد الله ثنا محمد بن هارون ثنا محمد بن يسار وعمرو بن علي قال: أنبأ عبدالوهاب حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٢٠.

الفصل السادس

الإيمان بالقدر

إن الإيمان بالقدر من أساسيات الإيمان ولذلك فيجب الاعتماد إلى حد كبير على نبع القرآن الكريم ونحن نتناول تلك القضية من وجهة النظر الفعلية للمسلمين، حيث أثارت كثيرا من التساؤلات ومازالت تثار في نفوس المسلمين حتى وقتنا الحاضر وإلى قيام الساعة.. ونعرض هنا باختصار شديد ما قاله الإمام النورسي عن تلك المسألة الحيوية نظراً لأهميتها الإيمانية حيث يقول: « إن القدر والجزء الاختياري جزءان من إيمان حالي ووجداني يبين نهاية حدود الإيمان والإسلام، وليسا مباحث علمية ونظرية أي أن المؤمن يعطي لله كل شيء، ويحيل إليه كل أمر، وما يزال هكذا حتى يحيل فعله ونفسه إليه. استنادا إلى قول الحق جل شأنه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر:٤٩).

وقال تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر:٢١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس:١٢).

ولكي لا ينجو المؤمن في النهاية من التكليف والمسئولية يبرز أمامه الجزء الاختياري قائلا له: « أنت مسئول، أنت مكلف » استنادا إلى قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ (الإسراء:١٣).

وقال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ (القيامة:٢٤).

ثم إنه لكي لا يغتر بما صدر عنه من حسنات وفضائل يواجهه القدر قائلا له: « اعرف حدك، فلست أنت الفاعل. قال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (النساء:٧٩).

أي أن الإيمان بالقدر ينقذ النفس الإنسانية من الغرور بالافتخار بالفضائل، والجزء الاختياري ينجيها من الشعور بعدم المسئولية والتبرأ من مسئولية السيئات التي اقترفتها النفوس الأمارة بالسوء. ولذلك فإن سر القدر له مواضع لاستعماله حيث يجب أن تنحصر تلك المواضع في الماضيات من الأحداث بخصوص المصائب والبلايا، والذي هو علاج اليأس والحزن، وليس في أمور المعاصي أو المقبلات من الأيام والذي ينتفي كونه مساعدا على اقتراف الذنوب والتهاون في التكاليف.

إن القرآن الكريم يبين أن الإنسان مسئول عن سيئاته مسئولية كاملة، لأن الإنسان هو الذي أراد السيئات، ولما كانت السيئات من قبيل التخريبات، لذا يستطيع الإنسان أن يوقع دمارا هائلا بسيئة واحدة، كإحراق بيت كامل بعود ثقاب، وبذلك يستحق إنزال عقاب عظيم به.

أما في الحسنات، فليس له الحق في الفخر والمباهاة، لأن حصته فيها ضئيلة جدا، لأن الرحمة الإلهية هي التي أرادت الحسنات واقتضتها، والقدرة الربانية هي التي أوجدتها.. فالسؤال والجواب والسبب والداعي كله من الحق سبحانه وتعالى، ولا يكون الإنسان مالكا لهذه الحسنات وصاحبا لها إلا بالدعاء والتضرع والإيمان وبالشعور بالرضا عنها.. بينما الذي أراد السيئات هو النفس الإنسانية، إما بالاستعداد أو بالاختيار، مثلما تكتسب بعض المواد التعفن والاسوداد من ضياء الشمس الجميل اللامع، فذلك الاسوداد إنما يعود إلى استعداد تلك المادة.. ومن هنا كان القدر الإلهي بعلم مسبق لاستعداد البشر للظلم أو القبح »[1].

ونستعرض بعد ذلك الأحاديث الشريفة في هذا الفصل حيث تساعد تلك المقدمة على مزيد من الفهم لمضمون تلك الأحاديث حيث تتضمن النقاط التالية:

إن الإيمان بالقدر، خيره وشره، هو من أساسيات التوحيد الخالص وهو عنوان المؤمن الحق الذي أسلم وجهه إلى الله بخضوع القلب والعقل والوجدان، مما يساعد على انطلاق الروح في آفاق واسعة. ليس الروح فقط بل تساعد على انطلاق المؤمن في الحياة لإعلاء كلمة الحق لا يبالي بما يواجهه من صعوبات لأنه على يقين أن كل شئ بيد الله، فلا يهاب بطش الدول

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي ـ كليات رسائل النور ـ الكلمات، رسالة القدر ص٥٤١: ٥٥٧ بتصرف.

الاستعمارية و غطرستها، و لا يهاب التحديات المتعددة التي تقف حجر عثرة في سبيل إرساء المعاني السامية.. ولذلك فقد اهتم القرآن اهتماما بالغا بترسيخ هذا المعنى في كيان المسلم حتى يصير عقيدة راسخة تشكل سلوكياته وتفاعله بأحداث الحياة. ومن منطلق اهتمام القرآن بتلك القضية الحيوية العقائدية فقد اهتم بها أيضا الرسول ﷺ، لأنه الترجمان العملي للقرآن الكريم، ومبلغ رسالة رب العالمين إلى الخلق أجمعين.

ونعرض فيما يلي بعض الآيات القرآنية التي تبين أهمية الإيمان بالقدر في حياة المؤمن، وأن الله هو الفعَّال لما يريد.

قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحديد:٢٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (يونس:١٠٧).

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة:٥١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٧).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٦٦).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (آل عمران ١٧٣: ١٧٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (لقمان:٢٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب:٣٦).

وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب:٣٨).

ونرى ذلك واضحا في الأحاديث التالية:.

- عن ابن الديلمي قال: وقع في نفسي شيء من القدر فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهوغير ظالم لهم ولو رحم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم ولوأنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذه لدخلت النار »[1].

- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان »[2].

- وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره »[3].

(١) حدبث صحيح الأسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٨٩) عن إسحاق بن سليمان قال: سمعت أبا سنان يحدث عن وهب بن خالد الحمصي.. به، وأحمد في مسنده (٥ / ١٨٢) عن يحيى بن سعيد حدثنا سفيان حدثنا أبو سنان سعيد بن سنان حدثنا وهب بن خالد عن ابن الديلمي قال لقيت أبي بن كعب فقلت يا أبا المنذر إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر فحدثني بشيء لعله يذهب من قلبي قال:.. به، وأبو داود في السنة، باب في القدر (٤٦٩٩) بإسناده، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر (٧٧) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (٥ / ١٦٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٣٧.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٦٦) عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلي بن محمد الطنافسي قال: حدثنا عبد الله بن إدريس عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج.. به، بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٤٠.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٩٧) عن محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن ربعي بن حراش.. به، والترمذي في القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره (٢١٤٥) بإسناده، وابن ماجه >

– وعن عمرو بن العاص قال: ثم خرج رسول الله ﷺ فوقف ثم قال: « إنما هلك من كان قبلكم، بسؤالهم أنبياءهم، واختلافهم عليهم ولن يؤمن أحد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره »[1].

– وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: « لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره »[2].

– وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : « لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطيه »[3].

– وعن عبد الله بن عمرو قال: أول ما يكفأ الإسلام كما يكفأ الإناء قول الناس في القدر [4].

– إن الإيمان بالقدر يعلم المؤمن اليقين الذي لا تزعزعه تغيرات الحياة، ويجعله دائم الاعتصام بالله فهو الحافظ وهو المعطي وهو المانع وهو النافع وهو الضار.. سبحانه جلَّ شأنه. قال تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف:٦٤).

> في المقدمة، باب في القدر (٨١) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ٨٧) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقد قصر بروايته بعض أصحاب الثوري وهذا عندنا مما لا يعبأ. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٤٢.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣ / ٣٢٦) عن أبي بكر حدثنا الفضل بن دكين عن هشام بن سعد عن عمرو بن شعيب عن أبيه.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٩٩) وقال: رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٩٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ١٨١) عن عبد الله حدثني أبي ثنا أنس بن عياض ثنا أبو حازم.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٢٣.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١ / ١١٠) أبي ثنا أبي نثا شبيب قال: سمعت أنسا.. به، وقال: إسناده حسن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٢٦.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٢٦٥) عن الفضل عن سفيان عن يحيى بن سعيد عن محمد بن المنكدر موقوفا.. به، وأبو يعلى في مسنده (٨ / ١٧٧) مرفوعا عن عبد الأعلى حدثنا وكيع عن جعفر بن برقان عن فرات بن سلمان عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ :.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٥+٦) وقال: رواه أبو يعلى وفيه فرات بن سليمان قال أحمد ثقة وذكره ابن عدي وقال لم ار احدا صرح بضعفه وارجو انه لا بأس به وبقية رجاله رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٧٧.

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأعراف:١٨٨).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ (الأنعام:١٦٤).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن ابن عباس قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فقال: « يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك قضى القضاء وجفت الأقلام وطويت الصحف »[1].

– وعن ابن عباس قال: قال لي رسول الله ﷺ: « يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن الخلائق ولو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يرد أن يعطيكه، لم يقدروا على ذلك، أو أن يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يعطيكه لم يقدروا على ذلك، وأن قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وإذا اعتصمت فاعتصم بالله، واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا »[2].

---

(١) حديث حسن لغيره. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٢١٧) عن عن أبي عبد الله الحافظ أنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه أنا محمد ابن محمد بن حيان الأنصاري ثنا أبو الوليد ثنا الليث بن سعد حدثني قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٣٠.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١ / ١٢٣) عن علي بن عبد العزيز ثنا معلى بن مهدي الموصلي ثنا أحمد بن يحيى الحلواني ثنا سعيد بن سليمان ثنا أبو شهاب الحناط ثنا عيسى بن محمد القرشي عن بن أبي مليكة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٣١.

- وعن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال: ثم يا رسول الله أرأيت دواء نتداوي به ورقي نسترقى بها وأشياء نفعلها هل ترد من قدر الله قال: « يـا كعب بل هي من قدر الله ». قال: يا رسول الله أرأيت دواء نتداوى به ورقي نسترقي بها وأشياء نفعلها هل ترد من قدر الله. قال: فذكره [١].

- وعن أنس قال: ثم خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما بعثني في حاجة لم تتهيأ إلا قال: لـو قضى لكان أو قد كان »[٢].

- وعن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا، لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوافق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الأمر إلي فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن يتفقرون العلم وذكر من شأنهم وإنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال: رسول الله ﷺ : أن تشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن حيان في صحيحه (١٣ / ٤٦٥) عن يحيى بن محمد بن عمرو بالفسطاط حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا عمرو بن الحارث حدثنا عبد الله بن سالم عن الزبيدي محمد بن الوليد حدثني محمد بن مسلم حدثني.. به.والهيثمي في موارد الظمآن (١ / ٣٣٩) بإسناده، وقال: قال أبو حاتم وعمرو بن الحارث حمصي ثقة وليس هو بالمصري.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن حيان في صحيحه (١٦ / ١٤٥) عن أبي يعلى من كتابه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن عزرة بن ثابت عن ثمامة.. به، وقال الشوكاني في فيض القدير (٥ / ٣٢١): لو قضى كان أي لو قضى الله بكون شيء في الأزل لكان لا محالة إذ لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه قط في الأفراد حل وكذا الخطيب. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٣٤.

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد المرأة ربتها وأن ترى الحفاه العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال: يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم [١].

– وعن أبي الحسن علي بن مسلم الفقيه وأخذ بلحيته ثنا عبد العزيز بن أحمد وأخذ بلحيته أنبأنا أبوعمرو عثمان بن أبي بكر وأخذ بلحيته ثنا محمد بن إسحاق العبدي وأخذ بلحيته أنبأنا أحمد بن مهران وأخذ بلحيته ثنا سليمان بن شعيب الكيساني وأخذ بلحيته حدثنا شهاب بن خراش وأخذ بلحيته ثنا يزيد الرقاشي وأخذ بلحيته ثنا أنس وأخذ بلحيته قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يؤمن العبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وقبض رسول الله ﷺ على لحيته وقال: آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره إن المرء ليعمل بعمل أهل النار البرهة من دهره ثم يعرض له الجادة من جواد الجنة فيعمل بها حتى يموت عليها وذلك لما كتب له وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة البرهة من دهره ثم تعرض له الجادة من جواد النار فيعمل بها حتى يموت عليها وذلك لما كتب له[٢].

– وعن ابن الديلي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت: وقع في قلبي شيء من القدر فحدثني بشيء يذهب به عني قال: إن الله تبارك وتعالى لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل جبل أحد ذهبا في سبيل الله ما تقبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥٠٢).. به، وأحمد في مسنده (١ / ٥١) بإسناده، ومسلم في لإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه (٨) بإسناده، والترمذي في الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام (٢٣١٠) بإسناده، وأبو داود في السنة، باب في القدر (٤٦٩٥) بإسناده، وابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان (٦٣) بإسناده، وابن خزيمة في صحيحه (١ / ٣) بإسناده، وابن حبان في صحيحه (١ / ٣٩١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٤٣.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١٣٧).. به، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٥٥) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١٢) وقال: رواه البزار والطبراني في الصغير والكبير ورجالهم ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٧١.

لم يكن ليصيبك ولو مت على غير ذلك لدخلت النار، فأتيت حذيفة فقال لي مثل ذلك فأتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك فأتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك [١].

- ومن أساسيات الإيمان بالقدر، إعلاء مشيئة الله وإنزالها حق قدرها، والإيمان بأن مشيئة الله فوق كل مشيئة وذلك لتحقيق التوازنات المطلوبة في حياة المؤمن وحمايته من الطمع واليأس والغضب والغيظ والحزن والجزع، وكل عوامل الضعف. فتصرفات المؤمن وسط بين القدر والتخيير نبعا من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (النحل: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الإنسان: ٢٩، ٣٠).

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (يونس: ٤٩).

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن: ١١).

وقال تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (هود: ١٠٧).

وقال تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي سعيد الخدري سمعه يقول سئل رسول الله ﷺ عن العزل فقال: ما من كل الماء يكون الولد إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء »[٢].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٨٢) عن عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى بن سعيد ثنا سفيان ثنا أبو سنان سعيد بن سنان ثنا وهب بن خالد.. به، وأبو داود في السنة، (٤٦٩٩) بإسناده، وابن حبان في صحيحه (٢ / ٥٠٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٧٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في النكاح، باب حكم العزل (١٤٣٨) عن هارون بن سعيد الأيلي حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني معاوية يعني ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن أبي الوداك.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥١٢.

– وعن مخلد بن عقبة بن شرحبيل بن السمط عن أبيه عن جده قال: جاء شيخ أعرابي الى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شيخ كبير وحمى تفور في عظام شيخ كبير تورده القبور فقال النبي ﷺ بل كفارة وطهور فأعاد عليه ثلاثا فقال: النبي ﷺ: « إن الله تعالى إذا قضى على عبد قضاء لم يكن لقضائه مرد »[1].

– وعن الحارث قال: جاء رجل إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. قال: طريق مظلم، لا تسلكه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. قال: بحر عميق، لا تلجه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. قال: سر الله قد خفي عليك، فلا تفشه. قال: يا امير المؤمنين أخبرني عن القدر. قال: يا أيها السائل، إن الله خالقك كما شاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء. قال: فيستعملك كما شاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء. قال: فيبعثك يوم القيامة كما شاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء. قال: أيها السائل ألست تسأل الله ربك العافية؟ قال: بلى. قال: فمن أي شيء تسأله العافية؛ أمن البلاء الذي ابتلاك به، أم من البلاء الذي ابتلاك به غيره؟ قال: من البلاء الذي ابتلاني به. قال: يا أيها السائل، تقول لا حول ولا قوة إلا بمن؟ قال: إلا بالله العلي العظيم. قال: فتعلم ما في تفسيرها؟ قال: تعلمني مما علمك يا أمير المؤمنين. قال: إن تفسيرها لا يقدر على طاعة الله، ولا يكون له قوة في معصية الله، في الأمرين جميعا، إلا بالله. أيها السائل ألك مع الله مشيئة، فإن قلت لك دون الله مشيئة، فقد اكتفيت بها عن مشيئة الله، وإن زعمت أن لك فوق الله مشيئة، فقد ادعيت مع الله شركا في مشيئته. أيها السائل، إن الله يشج ويداوي؛ فمنه الدواء ومنه الداء. أعقلت عن الله أمره؟ قال: نعم. قال عليّ: الآن أسلم أخوكم، فقوموا فصافحوه. ثم قال عليّ: لو أن عندي رجلا

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (١ / ٣٣١) عن معاذ بن المثنى نا عمار نا حماد يزيد نا مخلد بن عقبة بن شرحبيل بن السمط.. به. وقال المناوي في فيض القدير (٢ / ٢٠٣): إن الله إذا قضي على عبد قضاء: أي مبرما من سعادة أو شقاوة لم يكن لقضائه مرد أي راد يعني ليس هو كملوك الدنيا بحال بينهم وبين بعض ما يريدونه لشفاعة أو غيرها فمن قضى له بالسعادة فهو من أهلها أو بالشقاوة فمن أهلها لا راد لقضائه بالنقض ولا معقب لحكمه بالرد وهو القادر على كل شيء وغيره عاجز عن كل شيء، وأما خبر الدعاء يرد القضاء فمحله السعادة والشقاوة وهو الذي قيل فيه للمصطفى ﷺ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (آل عمران ١٢٨). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥١٩.

من القدرية لأخذت برقبته ثم لا أزال أجأها حتى أقطعها فإنهم يهود هذه الأمة ونصارها ومجوسها [١].

- ويتبع الإيمان بالقدر، التسليم بأن الله خلق الخلق في الأرحام وكتب آجالهم وأعمالهم وأرزاقهم، حتى العجز والكيس، وأن هذا بناء على علم الله الأزلي ومعرفته بخلقه يطمئن المؤمن على رزقه وأجله وكل ما يشغله عن ذكر الله، فيجعل المؤمن يسعى في الحياة بثقة واطمئنان لوعد الرحمن، فيتفرغ قلبه للعبادة، ويوقن بأن الحياة الدنيا مرحلة جهاد مادي و معنوي لاكتساب الخيرات التي تؤهله لعروج ملكوت السماوات. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ (لقمان:٣٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود:٦).

وقال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات:٢٢).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (يونس:٣١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر:٢١).

وقال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى:٤٩-٥٠).

---

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤٢ / ٥١٣) عن معاذ بن المثنى نا عمار نا حماد يزيد نا مخلد بن عقبة بن شرحبيل بن السمط:.. به، وذكر المناوي في فيض القدير (١ / ٣٤٨) طرفه، وقال: بالإمساك عن الخوض فيه لأن من يبحث فيه لا يأمن أن يصير قدريا أو جبريا ولذلك شدد فيه غاية التشديد. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٦١.

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام:٣٨).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنا، وخلق فرعون في بطن أمه كافرا »[1].

– وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه »[2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٢٢٤) عن أحمد بن داود المكي ثنا شاذ بن الفياض ثنا أبو هلال عن قتادة عن أبي حسان عن ناجية بن كعب.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) وقال: رواه الطبراني وإسناده جيد. والمناوي في فيض القدير (٣ / ٤٤٩) وقال: قال الذهبي وكذلك جميع من خلقه فليس للرسل أثر في سعادة أحد كما أنه ليس لإبليس أثر في شقاوة أحد لتميز أهل القبضتين ثم الحق قبل بعثة الرسل لا يزيدون ولا ينقصون اه ومذهب أهل الحق أن الإيمان لا ينفع ثم الغرغرة ولا ثم معاينة عذاب الاستئصال وأخذ علماء الأمة الذين عليهم المعول من ذلك إجماعهم على موت فرعون على كفره وأنه لم ينفعه قوله حين أدركه الغرق ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٩٠) وأما ما صرح به القاضي عبد الصمد الحنفي من أهل القرن الخامس أن مذهب الصوفية أن الإيمان ينتفع به ولو كان بعد معاينة العذاب فلا التفات له لمخالفته لما حكي عليه الإجماع وكذا ما جزم به في الفتوحات من صحة الإيمان ثم الاضطرار وأن فرعون مؤمن فلا التفات لذلك وإن كنا نعتقد جلالة قائله فإن العصمة ليست إلا للأنبياء وفيه رد لقول بعض الفرق إن الكفر والإيمان مكتسبان مخلوقين ولقول البعض الكفر مخلوق دون الإيمان. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٩٠.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨ / ٣٢٠) عن معاذ قال: ثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشي قال: ثنا حماد ابن زيد ثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين.. به، والصغير (٢ / ٥٦) بإسناده، وقال: لم يروه عن هشام إلا حماد تفرد به عبد الرحمن. والعجلوني في كشف الخفاء (١ / ٥٤٨) وقال: وسنده صحيح وأخرجه الطبراني في الصغير مقتصرا على السعيد من سعد في بطن أمه وروي من وجهين آخرين فيهما ضعيفان ولذا قال ابن الجوزي في أمثاله أنه لا يثبت كذلك مرفوعا لكن فيه أن الحافظ ابن حجر قال انه صحيح وسبقه لذلك شيخه العراقي. وقال المناوي في فيض القدير (٤ / ١٤٠) في تعليقه على الحديث: أي السعيد مقدر سعادته وهو في بطن أمه والشقي مقدر شقاوته وهو في بطن أمه وتقدير الشقاوة له قبل أن يولد لا يخرجه عن قابلية السعادة وكذا تقدير السعادة له قبل أن يولد لا يدخله في حيز ضرورة السعادة وقد دل على ذلك الحديث الآتي كل مولود يولد على الفطرة ثم أبواه يهودانه الخ، وسره أن التقدير تابع للمقدور كما أن العلم تابع للمعلوم ذكره ابن الكمال طص وكذا البزار والديلمي كلهم عن أبي هريرة قال ابن حجر: سنده صحيح، وقال السخاوي: سبقه لذلك شيخه العراقي، وقال في الدرر: سنده صحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٩١.

- وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « فـرغ الله إلى كل عبد من خمس من أجله ورزقه وأثره ومضجعه وشقي أو سعيد »(١).

- وعن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: « فـرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »(٢).

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كـتب الله تعالى

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٩٧) عن زيد بن يحيى الدمشقي حدثنا خالد بن صبيح المري قاضي البلقاء حدثنا إسماعيل بن عبيد الله أنه سمع أم الدرداء تحدث.. به، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٢٧٢) بإسناده.ومعنى الحديث: فرغ الله عز وجل إلى كل عبد أي انتهى تقديره في الأزل من تلك الأمور إلى تدبير الأمر بإبدائها أو إلى بمعنى اللام من خمس متعلق بفرغ من أجله أي عمره ورزقه وأثره بفتح المثلثة هي أثر مشيه في الأرض لقوله تعالى ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ (يس:١٢) ومضجعه بفتح الجيم يعني سكونه وحركته ومحل موته ومدفنه ومن ثم جمع بينهما ليشمل جميع أحواله من الحركات والسكنات وشقي هو أو سعيد فالسعادة والشقاوة من الكليات التي لا تقبل التغير قال أبو البقاء وشقي أم سعيد لا يجوز فيه إلا الرفع على تقدير وهو ولو جر عطفا على ما قبله لم يجز لأنه لو قلت فرغ من شقي أم سعيد لم يكن له معنى اه وقال الغزالي من ذلك أنه سبحانه لما قسم العباد قسمين وقدر لكل قسم ما ذكر وقدر أحدهما على اليقين أن يكون من أهل الجنة والآخر من أهل النار أعطانى تعيينا لا يقبل التغيير والتبديل فقد فرغ من أمرهم ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الشورى:٧) والرزق لا يزيد بالطلب ولا ينقص بتركه فإنه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر مؤقت ولا تبديل لحكم الله ولا تغير لقسمته وكنايته لكن ما في اللوح قسمان قسم مكتوب مطلقا وقسم معلق. بفعل العبد قال ابن عطاء الله سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك.٤٩٢.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في القدر (٢٦٥٣) عن أبي الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن سرح حدثنا ابن وهب أخبرني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:.. به. وقد علق المناوي في فيض القدير (٤ / ٤٥٨) بقوله: كتب الله تعالى مقادير الخلائق: أي أجرى القلم على اللوح أو غيره بتحصيل مقاديرها على وفق ما تعلق به وإرادته وليس المراد هنا أصل التقدير؛ لأنه أزلي لا ابتداء له، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة: معناه طول الأمد وتكثير ما بين الخلق والتقدير من المدد لا التحديد إذ لم يكن قبل السموات والأرض سنة ولا شهر فلا تدافع بينه وبين خبر الألفين الإشارة. قال البيضاوي: أو تقديره ببرهة من الدهر الذي يوم فيه كألف سنة مما تعدون أو من الزمان نفسه قال: فإن قلت: كيف يحمل على الزمان وهو على المشهور مقدار حركة الفلك الذي لم أصحهما حينئذ قلت فيه كلام وإن سلم فمن زعم ذلك قال بأنه مقدار الفلك الأعظم الذي هو عرش الرحمن وكان موجودا حينئذ بدليل قوله فيما بعده ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (هود:٧) وعرشه على الماء أي قبل خلق السموات، قال بعض أهل التحقيق: ذلك الماء هو العلم. قال بعضهم: وفيه صراحة بأن أول المخلوقات العرش ظاهرا والله أعلم بأيهما سبق الآخر ومن وهم أن هذا الخبر يدل على أن أولها العرش فحسب فقد وهم ثم إن ما ذكر من الأولية يعارضه خبر الترمذي أول ما خلق القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد وادعى بعضهم أن أول ما خلق الله الماء ثم أوجد منه سائر الأجرام تارة بالتلطيف وأخرى بالتكثيف. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٩٥.

مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء »[١].

– وعن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما أرسلني في حاجة قط فلم تهيأ إلا قال: « لـو قضي كان »[٢].

– وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « لـيس أحد منكم بأكسب من أحد. قد كتب الله المصيبة والأجل، وقسم المعيشة والعمل، فالناس يجرون فيها إلى منتهى »[٣].

– وعن حبة وسواء ابني خالد قال: دخلنا على النبي ﷺ وهو يصلح شيئا فأعناه فقال: « لا تيئسا من الرزق ما تهززت رءوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله عز وجل »[٤].

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في القدر (٢٦٥٣) عن أبي الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن سرح حدثنا ابن وهب أخبرني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٩٨.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه المقدسي في الأحاديث المختارة (٥ / ٢٠٦) عن زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي بأصبهان أن الحسين بن عبد الملك الأديب أخبرهم ابنا إبراهيم بن منصور ابنا أبو بكر بن المقرئ ابنا أبويعلى الموصلي ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن عزرة بن ثابت عن ثمامة.. به. وباختلاف يسر في اللفظ: أحمد في مسنده (٣ / ٢٣١) ولفظه: حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر حدثنا عمران البصري القصير عن أنس بن مالك قال خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني فإن لامني أحد من أهل بيته إلا قال دعوه فلو قدر أو قال لو قضي أن يكون كان. والعجلوني في كشف الخفاء (٢ / ٢٠٧) بإسناده، وقال: رواه الدارقطني في الإفراد وأبو نعيم عن أنس. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٠٢.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦ / ١١١) عن عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا أحمد بن محمد بن عمر ثنا عبد الله محمد بن عبيد عن الخطاب بن عثمان ثنا يوسف بن السفر عن الأوزاعي عن عبدة عن شقيق بن سلمة.. به، والمناوي في فيض القدير (٥ / ٣٦٢) وقال: ليس أحد منكم بأكسب من أحد: قد كتب الله المصيبة والأجل وقسم المعيشة والعمل فالناس يجرون فيها إلى منتهى أي يستديمون السعي المتواصل في ذلك إلى نهاية أعمارهم فاعتمد أيها العاقل على التقدير السابق واشهد مجرى الأحكام في العقل اللاحق وانظر بعين البصيرة ترى حكم العالم بأسره في يد الواحد زائد قسم الآجال والأرزاق بحكمته وقدرها بمشيئته سمع بعضهم هاتفا يقول نحن قسمنا الأرزاق بين الورى فأدب النفس ولا تعترض وسلم الأمر لأحكامنا فكل عبد رزقه قد فرض فانشق عبير نسمات اللفظ أنسا وطب به سبحانه حياة ويقينا ونفسا واعلم بأن الرزق لا يأتي بحيلة وتدبير وإنما يأتي بقسمة الواحد القدير ولو كانت الأرزاق تأتي بحيلة هلكن إذا من جهلهن البهائم. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٠٣.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٤٦٩) عن أبي معاوية قال: حدثنا الأعمش عن سلام بن شرحبيل.. به، وابن ماجه في الزهد (٤١٦٥) بإسناده، وقال صاحب مصباح الزجاجة: (٤ / ٢٢٦): ليس لحبة وسواء ابني خالد ابن ماجه سوى هذا الحديث وليس لهما رواية في شيء من الكتب الخمسة وإسناد حديثهما صحيح >

– وعن أبي الزبير المكي أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود يقولا الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره فأتى رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال: وكيف يشقى رجل بغير عمل فقال له الرجل أتعجب من ذلك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها، ثم قال يا رب أذكر أم أنثى، فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده ولا يزيد على ما أمر ولا ينقص »[1].

– وعن عكرمة بن خالد حدثه أن أبا الطفيل حدثه قال: دخلت على أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري فقال: سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول: « إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك الذي يخلقها فيقول يا رب أذكر أم أنثى، فيجعله الله ذكرا أو أنثى، ثم يقول يا رب أسوي أم غير سوي فيجعله الله سويا أو غير سوي، ثم يقول يا رب ما رزقه ما أجله ما خلقه ثم يجعله الله شقيا أو سعيدا »[2].

> رجاله ثقات رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده بهذا الإسناد، وابن حبان (موارد ١ / ٢٦٧) بإسناده، وقال المناوي في فيض القدير (٦ / ٤٢٣) قال ابن الأثير المراد بالقشر اللباس ومنه خبر إن الملك يقول للصبي المنفوس خرجت إلى الدنيا وليس عليك قشر اه وقد مرة أن الله ضمن الرزق لعباده فاليأس من ذلك الضمان من ضعف الاستيقان قال الغزالي البلية الكبرى لعامة هذا الخلق أمر الرزق وتدبيره أتعبت نفوسهم وأشغلت قلوبهم وأكثرت غمومهم وضاعفت همومهم وضيعت أعمارهم وأعظمت تبعتهم وأوزارهم وعدلت بهم عن باب الله وخدمته إلى رحمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا في غفلة وظلمة وتعب ونصب ومهانة وذل وقدموا الآخرة مفاليس بين أيديهم الحساب والعذاب إن لم يرحمهم الله بفضله وانظر كم من آية أنزل الله في ذلك وكم من ذكر من وعده وضمانه وقسمه على ذلك ولم تزل الأنبياء والعلماء يعظون الناس ويبينون لهم الطريق ويصنفون لهم الكتب ويضربون لهم الأمثال وهم مع ذلك لا يهتدون ولا يتقون ولا يطهرون بل هم في غمرة فإنا لله وإنا إليه راجعون وأصل ذلك كله قلة التدبر لآيات الله والتفكر في صنائعه وترك التذكر لكلام الله وكلام رسول الله والتأمل لأقوال السلف والإصغاء إلى كلام الجاهلين والاغترار بعبادات الغافلين حتى تمكن الشيطان منهم ورسخت العادات في قلوبهم فأداهم ذلك إلى ضعف القلب ورقة اليقين. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٠٦.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٥) عن أبي الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير المكي . به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٢٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٥) عن محمد بن أحمد بن أبي خلف حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا زهير أبو خيثمة حدثني >

- وعن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي ﷺ قال: « يدخل الملك على النطفة بعد ماتستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول يا رب ماذا أشقي أم سعيد أذكر أم أنثى فيقول الله فيكتبان ويكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه وأجله ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد على مافيها ولا ينقص »(١).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله إني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فقال النبي ﷺ: « يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر »(٢).

- عن عمرو بن واثلة قال: سمعت بن مسعود يحدث الناس في مسجد الكوفة يقول الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره فأتيت حذيفة بن أسيد فقلت أتعجب من بن مسعود يحدث أن الشقي من شقي في بطن أمه وإن السعيد من وعظ بغيره فما ذنب هذا العربي فقال حذيفة وما أنكرت من ذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول مرارا ذوات عدد: « إن النطفة إذا استقرت في الرحم فمضى لها أربعون يوما جاء ملك الرحم فصور عظمه ولحمه ودمه وشعره وبشره وسمعه وبصره فيقول: يا رب أذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد، فيقول الله عز وجل ما شاء فيكتب ثم تطوى الصحيفة فلا تنشر إلى يوم القيامة »(٣).

> عبد الله بن عطاء أن..به. وقال النووي في شرحه (١٦ / ١٩٤) يتصور عليها الملك هكذا هو جميع نسخ بلادنا ينصور بالصاد وذكر القاضي يتسور بالسين قال والمراد بيتسور ينزل وهو استعارة من تسورت الدار اذا نزلت فيها من أعلاها ولا يكون التسور الا من فوق فيحتمل أن تكون الصاد الواقعة في نسخ بلادنا مبدلة من السين والله اعلم. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٢١.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٤) عن محمد بن عبد الله بن نمير وزهير بن حرب واللفظ لابن نمير قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن أبي الطفيل.. به، وأحمد في مسنده (٤ / ٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٢٢.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء (٥٠٧٦) عن أصبغ أخبرني ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة.. به، والنسائي في النكاح، (٣٢١٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٤٣.

(٣) حديث حسن بشواهده. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣ / ١٧٦) عن زكريا الساجي ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا عون بن عمارة حدثني عزرة بن ثابت عن يعقوب.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٧٥.

- وعن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله »[(١)].

- وعن ابن عمر أن سائلا سأل النبي ﷺ فإذا بتمرة عائرة فقال: « أما إنك لو لم تأتها لأتتك يعني تمرة »[(٢)].

- وعن عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال: أجلسوني قال: يا بني إنك لن تطعم طعم الإيمان ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قال: قلت يا أبتاه فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أول ما خلق الله

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨ / ٣١) عن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل ببست والحسن بن سفيان الشيباني بنسا ومحمد بن العباس المزني بجرجان وعمر بن محمد بن بحر الهمداني بصغد ومحمد بن المعافى بن أبي حنظلة بصيدا ومحمد بن الحسن بن قتيبة اللخمي بعسقلان وعبد الله بن سلم ببيت المقدس وعمر بن سعيد بن سنان الطائي بمنبج والحسين بن عبد الله بن يزيد القطان بالرقة ومحمد بن أحمد بن عبيد بن فياض بدمشق في آخرين قالوا حدثنا هشام بن خالد الأزرق قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن بن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر.. به، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ١١٧) وقال الشيخ الألباني في تعليقه على الحديث: حديث حسن ورجاله ثقات لكن فيه من يدلس ومن يروج عليه التدليس كما بينته في تخريج المشكاة ٥٣١٢ وإنما قويته بشاهدين له خرجتهما معه في الأحاديث الصحيحة ٩٥٠. وقال المناوي في فيض القدير (٢ / ٣٤٠): ن الرزق ليطلب العبد أي الإنسان أكثر مما يطلبه أجله أي غاية عمره قال البيهقي معناه أن ما قدر من الرزق يأتيه ولا بد فلا يجاوز الحد في طلبه فالاهتمام بشأنه والحرص على استزادته ليس نتيجته إلا شغل القلوب عن رحمة علام الغيوب والعمى عن مرتبة العبودية وسوء الظن بالحضرات الرازقية قال ابن عطاء الله اجتهادك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس بصيرتك ومما عزاه الطوسي رحمه الله وغيره لعلي كرم الله وجهه ورضي عنه وأرضاه حقيق بالتواضع من يموت ويكفي المرء من دنياه قوت صنيع مليكنا حسن جميل وما تفوت فيا هذا سترحل عن قليل إلى قوم كلامهم السكوت وهذا الخبر لا تعارض بينه وبين خبر استنزلوا الرزق بالصدقة لأن ما هنا في المتحتم في العلم الأزلي لما في صحف الملائكة أو اللوح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٩١.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٧١) عن علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد ثنا محمد بن غالب بن حرب ثنا شيبان أبو عوانة عن الأعمش عن عبدالرحمن بن ثروان عن هزيل بن شرحبيل.. به، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ١١٧) وقال: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال شيبان بن فروخ فمن رجال مسلم. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٩٣.

القلم، ثم قال له اكتب فقال وما أكتب قال: اكتب القدر فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة »(١).

- وعن طاوس أنه قال: أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: عن عمر قال: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس(٢).

- وعن عروة أبن محمد السعدي عن أبيه أن رجلا من الأنصار أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أتزوج امرأة فادع لي فأعرض عنه ثلاث مرات كل ذلك يقول ثم التفت إليه فقال: لو دعا لك إسرافيل وجبرائيل وميكائيل وحملة العرش وأنا فيهم ما تزوجت إلا المرأة التي كتبت لك (٣).

- ويجب أيضا الإيمان أن لكل عبد حفظة يحفظونه حتى موعد القدر، وذلك يحقق للمؤمن السكينة وحمايته من خوف التحديات والأخطار.

وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ (الرعد:١١).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٨٢) أبي العلاء الحسن بن سوار حدثنا ليث عن معاوية عن أيوب بن زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة.. به، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٥١) بإسناده، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥ / ٤٨) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٦٨) بإسناده.وأبو يعلى في مسنده (١ / ٨٢) بإسناده.وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٤٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٩٧.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مرفوعا: مسلم في القدر، باب كل شيء بقدر (٢٦٥٥) عن عبد الأعلى بن حماد قال: قرأت على مالك بن أنس ح و حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك فيما قرئ عليه عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٤٩.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٢/ ٣٩٥) عن أبي الفتح يوسف بن عبد الواحد أنبأنا شجاع بن علي أنبأنا أبو عبد الله بن مندة أنبأنا أحمد بن الحسن بن عتبة الرازي حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا عمرو ابن الربيع بن طارق حدثنا مسلمة بن علي عن الأوزاعي عن محمد بن خراشة.. به، وقال الشوكاني في فيض القدير (٥ / ٣٢٠): لو دعي بهذا الدعاء على شيء بين المشرق والمغرب في ساعة من يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه والدعاء المذكور هو لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ويعقبه بذكر حاجته. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٨١.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله»[1].

– وعن أبي بصير قال: قال كنا جلوسا حول الأشعث بن قيس إذ جاء رجل بيده عنزة فلم نعرفه وعرفه فقال: يا أمير المؤمنين قال: نعم قال: تخرج هذه الساعة وأنت رجل محارب قال: إن علي من الله جنة حصينة فإذا جاء القدر لم يغن شيئا إنه ليس من الناس أحد إلا وقد وكل به ملك فلا تريده دابة ولا شيء إلا قال اتقه اتقه فإذا جاء القدر خلي عنه[2].

– وعن أبي مجلز قال: جاء رجل إلى علي وهو يصلي في المسجد فقال احترس فإن ناسا من مراد يريدون قتلك فقال: إن مع الرجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه وإن الأجل جنة حصينة[3].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨/ ٣١) عن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل ببست والحسن بن سفيان الشيباني بنسا ومحمد بن العباس المزني بجرجان وعمر بن محمد بن بحر الهمداني بصغد ومحمد بن المعافى بن أبي حنظلة بصيدا ومحمد بن الحسن بن قتيبة اللخمي بعسقلان وعبد الله بن سلم ببيت المقدس وعمر بن سعيد بن سنان الطائي بمنبج والحسين بن عبد الله بن يزيد القطان بالرقة ومحمد بن أحمد بن عبيد بن فياض بدمشق في آخرين قالوا حدثنا هشام بن خالد الأزرق قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن أم الدرداء.. به، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢٧) وقال الشيخ الألباني في تعليقه على الحديث: حديث حسن ورجاله ثقات لكن فيه من يدلس ومن يروج عليه التدليس كما بينته في تخريج المشكاة ٥٣١٢ وإنما قويته بشاهدين له خرجتهما معه في الأحاديث الصحيحة ٩٥٠. وقال المناوي في فيض القدير (٢/ ٣٤٠): ن الرزق ليطلب العبد أي الإنسان أكثر مما يطلبه أجله أي غاية عمره قال البيهقي معناه أن ما قدر من الرزق يأتيه ولا بد فلا يجاوز الحد في طلبه فالاهتمام بشأنه والحرص على استزادته ليس نتيجته إلا شغل القلوب عن رحمة علام الغيوب والعمى عن مرتبة العبودية وسوء الظن بالحضرات الرازقية قال ابن عطاء الله اجتهادك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس بصيرتك ومما عزاه الطوسي رحمه الله وغيره لعلي كرم الله وجهه ورضي عنه وأرضاه حقيق بالتواضع من يموت ويكفي المرء من دنياه قوت صنيع مليكنا حسن جميل وما تفوت فيا هذا سترحل عن قليل إلى قوم كلامهم السكوت وهذا الخبر لا تعارض بينه وبين خبر استنزلوا الرزق بالصدقة لأن ما هنا في المتحتم في العلم الأزلي لما في صحف الملائكة أو اللوح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٩١.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤٢/ ٥٥١) عن أبي غالب أبضا أنا محمد بن علي أنا أحمد بن إسحاق نا محمد بن أحمد بن يعقوب نا أبو داود تا داود بن أمية نا مالك بن سعير نا الأعمش عن أبي إسحاق.. به، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥١٦) وعزاه إلى أبي داود في القدر:..به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٥٦٣.

(٣) أثر حسن الإسناد.. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣٤) عن إسماعيل بن إبراهيم بن علية عن عمارة بن أبي حفصة:.. به، و ابن عساكر في تاريخه (٤٢/ ٥٥٤) بإسناده. و الطبري في تفسيره (١٣/ ١١٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٦٦.

– ومن أساسيات الإيمان بالقدر يقين المؤمن و تسليمه بحكم الله فى دخول الجنة أو النار و أن علم الله الذي يسع كل شيء علم مسبقا أهل الجنة وأهل النار نتيجة الاستعدادات الروحية لكل منهم.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور:٣٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠١).

وقال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء:٥٤).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي »[١].

– وعن أنس قال رسول الله ﷺ: « إن الله قبض قبضة فقال: هذه إلى الجنة برحمتي، وقبض قبضة فقال: هذه إلى النار ولا أبالي »[٢].

– وعن زهير بن حرب حدثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: توفي صبي فقلت طوبى له عصفور

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١٨٦) عن الحسن بن سوار حدثنا ليث يعني ابن سعد عن معاوية عن راشد بن سعد.. به وقد انفرد أحمد بتخريجه بهذا اللفظ عن الكتب التسعة وهو ليس موجودا عند أبي داود أو الترمذي بهذا اللفظ. وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٨٥) بإسناده وقال: هذا حديث صحيح على الاحتجاج برواته عن آخرهم إلى الصحابة وعبد الرحمن بن قتادة من بني سلمة من الصحابة وقد احتجا جميعا بزهير بن عمرو عن رسول الله ﷺ. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٣٠.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦ / ١٧٢) عن عمرو بن محمد الناقد حدثنا الحكم بن سنان العبدي حدثنا ثابت.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٣١.

من عصافير الجنة فقال رسول الله ﷺ: «أو لا تدرين إن الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا»[1].

– وعن عائشة أم المؤمنين قالت: دُعي النبي ﷺ إلى جنازة غلام من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يدرك الشر ولم يعمله قال: «أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»[2].

– وعن أبي الأسود الدؤلي قال: خاصمت القدرية فأحرجوني فأتيت عمران بن الحصين الخزاعي صاحب رسول الله ﷺ فقلت يا أبا نجيد خاصمت القدرية فأحرجوني فهل من حديث تحدثني لعل الله ينفعني به قال: لعلِّي لو حدثتك حديثا لبست عليه أذنيك كأنك لم تسمعه فقلت إنما جئت لذلك فقال: «لـو أن الله عذب أهل السماء والأرض عذبهم غير ظالم، ولو أدخلهم في رحمته كانت رحمته أوسع من ذنوبهم، ولكنه كما قضى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، فمن عذب فهو الحق، ومن رحم فهو الحق، ولو كان مثل أحد ذهبا تنفقه في سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره»[3].

– وعن عبد الله بن الديلمي قال: ثم دخلت على عبد الله بن عمرو وهو له بالطائف يقال له الوهط وهو مخاصر فتى من قريش يزن يشرب الخمر فقلت بلغني عنك حديث

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٦٢).. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٣٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ٢٠٨) عن وكيع قال: حدثني طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن عمته عائشة بنت طلحة.. به، ومسلم في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٦٢) بإسناده، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر (٨٢) بإسناده، ولم أجده عند أبي داود بهذا اللفظ، وقد ذكره بمعناه في السنة، باب في ذراري المشركين (٤٧١٣) عن محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن طلحة بن يحيى عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت أتي النبي ﷺ بصبي من الأنصار يصلي عليه قالت قلت يا رسول الله طوبى لهذا لم يعمل شرا ولم يدر به فقال أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم». وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٤٤.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٣٢) عن محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا أبو بلال الأشعري ثنا قيس بن الربيع عن عمر بن محمد بن زيد العمري عن عمر بن عبد الله مولى غفرة.. به. والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٩٨) وقال: رواه الطبراني بإسنادين ورجال هذه الطريق ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦١٤.

أن من شرب شربة خمر لم يقبل الله له توبة أربعين صباحا وان الشقي من شقى في بطن أمه وانه من أتى بيت المقدس لا ينهزه الا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق ثم قال عبد الله بن عمرو إني لا أحل لأحد أن يقول علي ما لم أقل سمعت رسول الله ﷺ يقول من شرب من الخمر شربة لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة فإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله »[1].

– وعن عروة بن رويم قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى يقول: أنا أرجف الأرض بعبادي في خير فيافي فمن قبضته فيها من المؤمنين كانت له رحمة وكانت آجالهم التي كتبت عليهم ومن قبضت من الكفار كانت عذابا لهم وكانت آجالهم التي كتبت عليهم »[2].

– وعن عمرو بن دينار أن أبا بكر الصديق قام على المنبر فقال: إن الله خلق الخلق فكانوا قبضتين فقال للتي في يمينه ادخلوا الجنة هنيئا وقال للتي في اليد الأخرى ادخلوا النار ولا أبالي [3].

– وعن ابن الديلمي الذي كان يسكن بيت المقدس قال: سألته هل سمعت يا عبد الله بن عمرو رسول الله ﷺ يذ كر شارب الخمر بشيء قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ١٧٦) عن عبد الله حدثني أبي ثنا معاوية بن عمرو ثنا إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفزاري ثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد.. به. والترمذي في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٢) بإسناده، والطبراني في مسند الشاميين (١ / ٣٠٤) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ٨٤) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة. ووافقه الذهبي. والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٨٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢ / ٦١٠).. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٨٨.

(٣) أثر الإسناد. أخرجه معمر بن راشد في جامعه (١١ / ١٢٣) عن الحسن بن عثمان قال: أخبرنا أحمد بن حمدان قال: ثنا بشر بن موسى قال: ثنا معاوية بن عمرو قال: ثنا أبو إسحاق قال: ثنا فطر عن عبد الرحمن بن سابط قال: قال سفيان بن عيينة في جامعه.. به، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢ / ٤٠٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٤٢.

يقول لا يشرب الخمر أحد من أمتي فيقبل الله منه صلاة أربعين صباحا. قال وسمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله خلق الناس في ظلمة ثم أخذ نورا من نوره فألقاه عليهم فأصاب من شاء وأخطأ من شاء وقد علم من يخطئه ممن يصيبه فمن أصابه من نوره شيء اهتدى ومن أخطأه ضل فعند ذلك أقول إن القلم قد جف [١].

– وعن عبد الرحمن بن قتادة السلمي وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول خلق الله آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي قال قائل يا رسول الله فعلى م نعمل قال: على مواقع القدر [٢].

– ولا يغني الإيمان بالقدر عن الاجتهاد في الأعمال لأن تلك الأعمال هي البرهان الناطق لحقيقة الأقدار فكل ميسر لما خلق له بناء على بناء على العلم الإلهي الأزلي،، فالمسلم يعمل على مواقع القدر الذي حدد سلفا بناء على نوعية البشر واستعدادهم لتقبل أنوار الحق، ولأن درجات الجنة بناء على أعمال العباد. على أن تكون الأعمال نابعة من صدق اليقين بالله حتى تكون برهاناً على صدق ماعاهد المؤمن الله عليه.. وهكذا فإن الإيمان بالقدر، والعمل بالتشريع هما دعامتا الإيمان، و هما جناحا المؤمن للتحليق في الجنان، و هما الأساس للحفاظ على قوة الأمة الإسلامية و هيبتها و إعلاء شأنها بين الأمم. قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:١٣٢).

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (الليل:٥-١٠).

وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ (المؤمنون:١٠٦).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٩٧) عن عبد الله حدثني أبي ثنا أبو المغيرة ثنا محمد بن مهاجر أخبرني عروة بن رويم.. به، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٤٠٣) بإسناده، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٧٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٨٥) عن بي العباس محمد بن يعقوب ثنا الربيع بن سليم ثنا عبد الله بن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي وكان من أصحاب النبي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:.. به، وقال: حديث صحيح على الاحتجاج برواته عن آخرهم إلى الصحابة وعبد الرحمن بن قتادة من بني سلمة من الصحابة وقد احتجا جميعا بزهير بن عمرو عن رسول الله ﷺ وليس له أبي عثمان النهدي وكذلك احتج البخاري بحديث أبي سعيد بن المعلى وليس له حفص بن عاصم، ووافقه الذهبي. وابن حبان في صحيحه (٢/ ٥٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٨٠.

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة:١٠٥).

وقال تعالى: ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (الحج:٢٤).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠١).

وقال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (الإسراء:١٨-٢٠).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (الروم:٥٣).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عمران بن حصين قال: ثم قال: رجل يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار قال: نعم قال: ففيم يعمل العاملون قال: « اعملوا فكل ميسر لما يهدى له من القول »[١].

- وعن أبي الدرداء قالوا يا رسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم أمر نستأنفه قال: بل أمر قد فرغ منه قالوا فكيف بالعمل يا رسول الله قال: « كل امرئ مهيأ لما خلق له »[٢].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٦٥) عن زكريا بن يحيى الساجي وسليمان بن حسن العطار وحكيم بن يحيى المتوثي قالوا أنا عبيد الله بن معاذ ثنا أبي ثنا سليم بن حيان عن يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله.. به.والمناوي في فيض القدير (٢/ ٣) وقال: اعملوا فكل ميسر لما يهدى يرشد له من القول الذي اقتضاه الله تعالى وقدره في الأزل وهو قوله تعالى ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الشورى:٧) فالعمل بحسب ما سبق في الأزل من التقدير كما دل عليه خبر القبضتين وقد سبق أن التوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد والخذلان ضده ولله كلية الخلق هدى وإضلالا إظهارا لكلمته الجامعة الشاملة لمتقابلات الازدواج التي منتهاها قسمة إلى الدارين دار نور رحماني من اسمه العزيز الحليم ودار نار انتقامي من اسمه الجبار المنتقم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥١٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤٤١) عن هيثم قال: أخبرنا أبو الربيع عن يونس عن أبي إدريس.. به، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. >

- وعن عمران بن حصين قال: قال رجل يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار قال: نعم قال: فيم يعمل العاملون قال: « كـل ميسر لما خلق له »[١].

- وعن عمران بن حصين أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال: ثم أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم أو مضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم واتخذت عليهم الحجة قال: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم قال: فلم يعملون إذا فقال رسول الله ﷺ : « مـن خلقه الله لواحدة من المنزلتين وفقه لعملها »[٢].

- وعن أبي الحباب يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : « مـن يرد الله به خيرا يصب منه »[٣].

> ولم أجده عند الطبراني في المعجم الكبير. ومعنى الحديث: كل امرىء مصروف مسهل لما خلق له إن خيرا فخير وإن شرا فشر وفيه إيماء إلى أن المآل محجوب عن المكلف فعليه أن يجتهد في عمل ما أمر به فإن عمله أمارة إلى ما يؤول إليه أمره غالبا وإن كان بعضهم قد يختم له بغير ذلك لكن لا اطلاع لنا عليه فعلى المكلف بخاصة نفسه ولا يكلها إلى ما يؤول إليه أمره فيلام. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥١٥.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٤٣١) عن حدثنا إسماعيل حدثنا يزيد يعني الرشك عن مطرف بن الشخير.. به، وأبو داود في السنة، باب في القدر (٤٧٠٩) بإسناده، والترمذي في تفسير القرآن، (٣١١١) عن حدثنا بندار حدثنا أبو عامر العقدي هو عبد الملك بن عمرو حدثنا سليمان بن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال لما نزلت هذه الآية (فمنهم شقي وسعيد) سألت رسول الله ﷺ فقلت يا نبي الله فعلى ما نعمل على شيء قد فرغ منه أو على شيء لم يفرغ منه قال بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر ولكن:.. به، وأحمد في مسنده (١ / ٢٩) عن علي بن عياش قال حدثنا العطاف بن خالد قال حدثني رجل من أهل البصرة عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال سمعت أبي يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله العمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف قال بل على أمر قد فرغ منه قال قلت ففيم العمل يا رسول الله قال:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥١٦.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨ / ٢٢٣) عن إدريس بن جعفر العطار ثنا عثمان بن عمر ثنا عزرة بن ثابت ح وحدثنا زكريا بن يحيى الساجي ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا عون بن عمارة ثنا عزرة بن ثابت عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي.. به، والمناوي في فيض القدير (٦ / ١٢٤) وقال: فمن خلقه الله للسعادة أقدره على أعمالها حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ (الأنعام:١٢٥) ومن خلقه للشقاوة منعه الألطاف حتى تكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشده ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا الأنعام. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥١٧.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في المرضى، (٥٦٤٥) عن عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه قال: سمعت سعيد بن يسار أبا الحباب.. به، وأحمد في مسنده (٢ / ٢٣٧) بإسناده، ومعنى الحديث: من يرد الله به خيرا: أي جميع الخيرات أو خيرا غزيرا يصب منه بكسر الصاد ثم الأكثر والفاعل الله وروي بفتحها واستحسنه ابن الجوزي ورجحه الطيبي بأنه أليق بالأدب لآية ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (الشعراء:٨٠)، والضمير في قوله: منه، على التقديرين للخير. قال الزمخشري: >

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا ويؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أوسعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة »[١].

- وعن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: « إن الرجل ليعمل عمل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة »[٢].

> أي ينل منه بالمصائب ويبتليه بها ليثيبه عليها. وقال القاضي: أي يوصل إليه المصائب ليطهره من الذنوب ويرفع درجته وهي اسم لكل مكروه وذلك لأن الابتلاء بالمصاسب طب إلهي يداوى به الإنسان من أمراض الذنوب المهلكة ويصح عود الضمير في يصب إلى من وفي منه إلى الله وإلى الخير والمعنى أن الخير لا يحصل للإنسان إلا بإرادة الله تعالى وعليه فلا شاهد فيه وإنما تركه لوضوحه لأن الخير الذي هو مراد لمن يحصل له مختار مرضي به إذا كان بإرادة من الغير لا من نفسه فلأن يكون ما يحصل بغير إرادة ورضا أولى. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥١٨.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في التوحيد، باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (٧٤٥٤) عن آدم حدثنا شعبة حدثنا الأعمش سمعت زيد بن وهب سمعت عبد الله بن مسعود.. به، ومسلم في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٣) وأبو داود في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٧٠٨) عن حفص بن عمر النمري ثنا شعبة ح وثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان المعنى واحد والإخبار في حديث سفيان عن الأعمش قال ثنا زيد بن وهب ثنا عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق:.. به، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر (٧٦) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (٧ / ٤٢١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٢٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه بلفظه مسلم في القدر، (١١٢) عن قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب يعني ابن عبد الرحمن القاري عن أبي حازم.. به، ومعنى الحديث: إن الرجل: المراد المكلف رجلا أم امرأة إنسيا أم جنيا وكذا يقال فيما بعده، ليعمل عمل أهل الجنة: من الطاعات، فيما يبدو للناس: أي فيما يظهر لهم، قال الزركشي: وهذه زيادة حسنة ترفع الإشكال من الحديث وهو من أهل النار بسبب دسيسة باطنة لا يطلع الناس عليها، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار: من المعاصي، فيما يبدو: أي يظهر للناس، وهو من أهل الجنة: لخصلة خير خفية تغلب عليه آخر أثر عمره فتوجب حسن الخاتمة، أما باعتبار ما في نفس الأمر فالأول لم يصح له عمل قط لأنه كافر باطنا، وأما الثاني: فعمله الذي لا يحتاج لنية صحيح وما يحتاجها باطل من حيث عدم وجودها قال النووي: فيه التحذير من الاغترار. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٢٥.

– وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: « أتدرون ماهذا الكتابان، هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولاينقص منهم أبدا، وهذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولاينقص منهم أبدا، سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل، فرغ من العباد، فريق في الجنة وفريق في السعير »[1].

– وعن هشام بن حكيم بن حزام أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: ثم يا رسول الله أنبتديء الأعمال أم قد قضى القضاء فقال رسول الله ﷺ : « إن الله آخذ ذرية آدم من ظهره ثم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، ثم أفاض بهم في كفيه فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار »[2].

– وعن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ فقال: عمر بن الخطاب سمعت

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٦٧) عن هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثني أبو قبيل المعافري عن شفي الأصبحي.. به، والنسائي في السنن الكبرى (١١٤٧٣) بإسناده، والترمذي في القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار (٢١٤١) بإسناده. وقال الشوكاني في فيض القدير (٢/ ٣٣١) في شرحه للحديث: إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار أي يعمل عمل أهل النار في آخر عمره فيدخلها قال الأكمل والزمن الطويل هو مدة العمر وهو سيما على الظرفية وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم عمله بعمل أهل الجنة أي يعمل عمل أهل الجنة في آخر عمره فيدخلها واقتصر هنا على ذين مع أن الأقسام أربعة لظهور حكم القسمين الآخرين من عمل بعمل أهل الجنة والنار من أول عمره إلى آخره وقد اختلف السلف فمنهم من راعى حكم السابقة وجعلها نصب عينه ومنهم من راعى حكم الخاتمة وجعلها نصب عينه قيل والأول أولى لأنه تعالى سبق في عمله الأزلي سعيد العالم وشقيه ثم رتب على هذا السبق الخاتمة ثم الموت بحسب صلاح العمل وفساده عندها وعلى الخاتمة سعادة الأخرة وشقاوتها. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٢٦.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١٦٨) عن بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي.. به، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٣) بإسناده.وقال: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات وقد صرح فيه بقية بالتحديث والحديث أخرجه الأجري ص ١٧٢ عن الفريابي حدثنا عمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي حدثنا بقية به.. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٢٨.

رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون، إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار»[1].

- وعن يحيى بن يعمر وحميد بن عبدالرحمن قالا لقينا عبد الله بن عمر فذكرنا له شأن القدر وما يقولون فيه فقال «إن أهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وإن أهل النار ميسرون لعمل أهل النار»[2].

- وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال. أخذ بيدي علي رضي الله عنه فانطلقنا نمشي حتى جلسنا على شط الفرات فقال علي رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «ما من نفس منفوسة

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجامع (١٦٦١) عن يحيى عن مالك عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه أخبره.. به، وأحمد في مسنده (١ / ٤٤) بإسناده، وأبو داود في السنة، باب في القدر (٤٧٠٣) بإسناده، والترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف (٣٠٧٦) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ٨٠) وقال: هذا حديث سحيح على شرطهما ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. قال الزرقاني في شرحه (٤ / ٣٠٦) قال الباجي أجمع أهل السنة على أن يده صفة وليست بجارحة كجوارح المخلوقين لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقال ابن العربي عبر بالمسح عن تعلق القدرة بظهر آدم وكل معنى يتعلق به قدرة الخالق ويعبر عنه بفعل المخلوق ما لم يكن دناءة وقال عياض اختلف في اليد وما في معناها من الجوارح التي وردت ويستحيل نسبتها إلى الله تعالى فذهب كثير من السلف إلى أنه يجب صرفها عن ظاهرها المحال ولا تتأول ويصرف علمها إلى الله وهي من المتشابه وتأولها الأشعري وناس من أصحابه على أنها صفات لا نعلمها وتأولها قوم على ما تقتضيه اللغة واليد في اللغة تطلق على القدرة والنعمة فكذلك هنا فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وهم السعداء وحرمتها على غيرهم وبعمل أهل الجنة أي الطاعات يعملون أي أنه تعالى ييسر لهم أعمال الطاعات ويهونها عليهم ثم مسح ظهره فاستخرج أي أخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء الأشقياء للنار وبعمل أهل النار يعملون لأنهم ميسرون لذلك وجعل كليهما معا في دار الدنيا فوقع الابتلاء والامتحان بسبب الاختلاط وجعلها دار تكليف فبعث إليهم الرسل لبيان ما كلفهم به من الأقوال والأفعال والأخلاق وأمرهم بجهاد الأشقياء فقامت الحرب على ساق فإذا كان يوم المعاد ميز الله الخبيث من الطيب فجعل الطيب وأهله في دارهم والخبيث وأهله في دارهم فينعم هؤلاء بطيبهم ويعذب هؤلاء بخبثهم لانكشاف الحقائق. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٢٩.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن منده في الإيمان (١ / ١٣٩) عن مسدد بن مسرهد ثنا يحيى بن القطان ثنا عثمان بن غياث عن عبد الله بن بريدة... فذكر حديثا طويلا ذكر فيه لفظ هذا الحديث. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٣٥.

إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة قيل أفلا نتكل؟ قال: لا اعملوا ولا تتكلوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة »[١].

– وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له بعمل أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم عمله بعمل أهل الجنه »[٢].

– وعن علي رضي الله عنه قال: ثم كنا مع جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ والحاصل وجلسنا حوله ومعه مخصرة ينكت بها ثم رفع بصره فقال: « ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أوالنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة قيل أفلا نتكل قال: لا اعملوا ولا تتكلوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ الآية »[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ١٥٧) عن محمد بن عبيد حدثنا هاشم يعني ابن البريد عن إسماعيل الحنفي عن مسلم البطين.. به، والبخاري في الجنائز (١٣٦٢ ٩ بإسناده، ومسلم في فضائل الصحابة، (٢٥٣٨) بإسناده، والترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة والليل إذا يغشى (٣٣٤٤) بإسناده، وأبو داود في السنة، باب في القدر (٤٦٩٤) بإسناده. وقوله: « نفس منفوسة » أي مولودة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٣٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٥١) عن قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن العلاء عن أبيه.. به.وقال الشوكاني في فيض القدير (٢ / ٣٣١) في تعليقه على الأحاديث: قال الأكمل والزمن الطويل هو مدة العمر وهو سيما على الظرفية وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم عمله بعمل أهل الجنة أي يعمل عمل أهل الجنة في آخر عمره فيدخلها واقتصر هنا على ذين مع أن الأقسام أربعة لظهور حكم القسمين الآخرين من عمل بعمل أهل الجنة والنار من اول عمره إلى آخره وقد اختلف السلف فمنهم من راعى حكم السابقة وجعلها نصب عينه ومنهم من راعى حكم الخاتمة وجعلها نصب عينه قيل والأول أولى لأنه تعالى سبق في عمله الأزلي سعيد العالم وشقيه ثم رتب على هذا السبق الخاتمة ثم الموت بحسب صلاح العمل وفساده عندها وعلى الخاتمة سعادة الآخرة وشقاوتها. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٤٥.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ١٢٩) عن عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرحمن بن زائدة عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن.. به، والبخاري في الجنائز، باب موعظة المحدث ثم القبر وقعود أصحابه حوله (١٣٦٢) بإسناده،، وأبو داود في السنة، باب في القدر (٤٦٩٤) بإسناده، والترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة والليل إذا يغشى (٣٣٤٤) بإسناده، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر (٧٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٨٠.

– وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل النار فإذا كان قبل موته بحول فعمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل الجنة فإذا كان قبل موته بحول فيعمل بعمل أهل الجنة فمات فدخلها »[1].

– وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: « لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بما يختم له فإن العامل يعمل زمانا من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملا سيئا وإن العبد ليعمل البرهة بعمل سيء لو مات عليه لدخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قبل موته قالوا يا رسول الله كيف يستعمله قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه »[2].

– وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ : « إن العبد ليعمل عمل أهل الجنة فيما يرى الناس وإنه لمن أهل النار وإنه ليعمل عمل النار فيما يرى الناس وإنه لمن أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم »[3].

– وعن سالم بن عبد الله يحدث عن أبيه قال: قال عمر يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أمر مبتدع أو مبتدأ أو فيما قد فرغ منه فقال: « فيما قد فرغ منه يا ابن الخطاب وكل ميسر أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فإنه يعمل للشقاوة »[4].

– وعن أبي الأسود الديلي قال: غدوت على عمران بن حصين يوما من الأيام فقال: يا أبا الأسود فذكر الحديث أن رجلا من جهينة أو من مزينة أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ١٠٧) عن سريج وعفان قال: حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه.. به. والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢١١) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى بأسانيد وبعض أسانيدهما رجاله رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٨١.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ١٢٠) عن يزيد بن هارون أخبرنا حميد.. به. وعبد بن حميد في مسنده (١ / ٤١٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٨٩.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٣٣٥) عن يزيد حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف عن أبي حازم.. به. والبخاري في القدر، باب ما يتقى من محقرات الذنوب (٦٦٠٧) بإسناده. والطبراني في المعجم الكبير (٦ / ١٤٣) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٩٠.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه بلفظه الترمذي في القدر (٢١٣٥) عن بندار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال: سمعت سالم.. به. وقال: وهذا حديث حسن صحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٠٤.

أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضي عليهم أو مضى عليهم في قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ واتخذت عليهم به الحجة قال: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم قال: فلم يعملون إذا يا رسول الله قال: « من كان الله خلقه لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها »[1].

- وعن علي قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فجلس وجلسنا حوله ومعه مخصرة ينكت بها ثم رفع بصره فقال: ما منكم من نفس منفوسة إلا وقد كتب مقعدها من الجنة والنار إلا قد كتبت شقية أو سعيدة فقال القوم يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى الشقاوة فقال رسول الله ﷺ بل اعملوا فكل ميسر، أما من كان من أهل الشقاوة فإنه ميسر لعمل أهل الشقاوة وأما من كان من أهل السعادة فإنه ميسر لعمل أهل السعادة ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[2].

- وعن علي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فلما انتهينا إلى بقيع الغرقد قعد رسول الله ﷺ وقعدنا حوله فأخذ عودا فنكت به في الأرض ثم رفع رأسه فقال: « والله ما من نفس منفوسة إلا قد كتب لها من الله شقاء أو سعادة فقام رجل فقال يا رسول الله ففيم إذا العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[3].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٤٣٨) عن صفوان بن عيسى أخبرنا عزرة بن ثابت عن يحيى بن عقيل عن ابن يعمر.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦١٧.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١ / ٢٢) عن سلام عن منصور عن سعد بن عبيد عن أبي عبد الرحمن السلمي.. به، وأحمد في مسنده (١ / ١٢٩) بإسناده، والبخاري في تفسير القرآن، باب قوله وكذب بالحسنى (٤٩٤٨) بإسناده، ومسلم في القدر، اب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٣٤٧)بإسناده، وأبو داود في السنة، باب في القدر (٤٦٩٤) بإسناده، والترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة والليل إذا يغشى (٣١٣٨) بإسناده، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر (٧٨) بإسناده، وأبو يعلى في مسنده (١ / ٤٣٧) بإسناده، وابن حبان في صحيحه (٢ / ٤٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٥٢.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١ / ٧٥) عن أبي بكر بن أبي شيبة ثنا ابو الأحوص عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن.. به، وقال الشيخ الألباني محقق الكتاب: إسناده صحيح على شرط الشيخين والحديث أخرجه مسلم ٨ ٤٧ بإسناد المصنف هذا وعن هناد بن السري قالا حدثنا أبو الأحوص به وأخرجه هو والبخاري (١ / ٣٤٢)و (٣ / ٣٧٧) وغيرهما من طرق أخرى عن منصور به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٥٥.

– وعن ابن عمر عن عمر قال: لما نزلت هذه الآية فمنهم شقي وسعيد سألت النبي ﷺ فقلت: « عـن أبي الدرداء أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أو شيء نستأنفه قال: أمر قد فرغ منه قال: فكيف العمل بعد القضاء فقال رسول الله ﷺ إن كل امرئ مهيأ لما خلق له »[1].

– وعن عمران بن حصين قال: قال: قال رجل يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار قال نعم قال ففيم العمل قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[2].

– وعـن ذي اللحية اسمه [3] الكلابي قال: سألت النبي ﷺ العمل في أمر مستأنف أو أمر قد فرغ منه قال: بل في أمر قد فرغ منه قلت: ففيم العمل قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له » [4].

– وبناء على ما سبق فإنه ليس لنفس حجة على الله، حيث أرسل الرسل وبين طريق الحق والضلال، فإذا عذب الله العباد فذلك عدله، وإذا غفر لهم فتلك رحمته.

إن الإيمان بالقدر يحمي المؤمنين من الجدال وإلقاء تقصير النفس على أحد أو اتهامه بالتراخي عن القيام بواجبات الحق. قال تعالى: وقال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأنعام:١٤٩).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبري في تفسيره (١٢ / ١١٧) عن أبي هشام الرفاعي ومحمد بن معمر البحراني ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالوا ثنا أبو عامر قال: ثنا سليمان بن سفيان قال: ثنا عبد الله بن دينار.. به، وأحمد في مسنده (٦ / ٤٤١) عن عبد الله حدثني أبي ثنا هيثم وسمعته أنا من هيثم قال أنا أبو الربيع عن يونس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء قالوا ثم يا رسول الله ﷺ : عبد الله حدثني أبي ثنا هيثم وسمعته أنا من هيثم قال أنا أبو الربيع عن يونس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء قالوا ثم يا رسول الله:.. به، والحاكم في المستدرك (٢ / ٥٠٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٨٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣١/ ٣٢٧) عن حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا حماد بن زيد عن يزيد الضبعي حدثنا مطرف..به، والنسائي في السنن الكبرى (١١٦٧٨) بإسناده، و مسلم في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٩).. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٩٢.

(٣) اسمه شريح كما في تقريب التهذيب.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٦٧) عن عبد الله حدثنا يحيى بن معين قال: حدثنا أبو عبيدة يعني الحداد قال: حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي منصور.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٤ / ٢٣٧) بإسناده. والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٤) وقال: رواه ابن أحمد والطبراني ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٩٥.

وقال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (الشورى:١٥).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: إن موسى قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله آدم فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم نعم قال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك قال: نعم قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال: له آدم ومن أنت؟ قال: أنا موسى قال: أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال: نعم قال: فما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق قال: نعم قال: فبم تلومني في شيء سبق فيه القضاء قبلي؟ قال رسول الله ﷺ عند ذلك فحج آدم موسى [1].

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء:١٦٥).

﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٦).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي هريرة يقول قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى فقال: موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته أخرجت

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في السنة، (٤٧٠٢) عن أحمد بن صالح قال: حدثنا ابن وهب قال: أخبرني هشام بن سعد.. به، الترمذي (٢ / ١٩) بإسناد المصنف وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وتابعه زائدة عن الأعمش به أخرجه أحمد (٢ / ٣٩٨) وتابعه أبو عوانة (٤ / ١٩٣) عن الأعمش به، وتابعه أبو معاوية عن الأعمش به إلا أنه قال عن أبي هريرة أو أبي سعيد عن النبي ﷺ، وابن منده في الإيمان (١ / : ١٤١) بإسناده، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٦٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٥٠.

الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم، قال: يا موسى أنت اصطفاك الله برسالته وكلامه وأنزل عليك التوراة أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني فحج آدم موسى »[١].

– وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: « إن موسى قال يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله آدم فقال: أنت أبونا آدم فقال: له آدم نعم قال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك قال: نعم قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال: له آدم ومن أنت قال: أنا موسى قال: أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه قال: نعم قال: فما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق قال: نعم قال: فبم تلومني في شيء سبق من الله فيه القضاء قبلي، فحج آدم موسى فحج آدم موسى »[٢].

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لـقي آدم موسى فقال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته ثم فعلت ما فعلت فأخرجت ذريتك من الجنة قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك وقربك نجيا قال: نعم قال: فأنا أقدم أما الذِكر قال: بل الذِكر فحج آدم موسى فحج آدم موسى »[٣].

– وعن أبي الأسود الدؤلي أنه أتى إلى عمران بن حصين فقال: إني خاصمت أهل القدر حتى أخرجوني، فهل عندك من حديث لعل الله أن ينفعني به؟ قال: لعلي إن حدثتك حديثا تيأس عليه أذنك صار كأنك لم تسمعه قال: ما جئت لذلك قال: فإن الله تبارك وتعالى لو عذب

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٢٦٤) سفيان عن عمرو سمع طاوسا سمع أبا هريرة.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (١ / ٤٤) بإسناده، والترمذي في القدر، باب ما جاء في حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢١٣٤) بإسناده، وأبو داود في السنة، باب في القدر (٤٧٠١) بإسناده، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر (٨٠) بإسناده. وقمعنى قوله: حج: أي غلبه بالحجة والبينة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٤٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في السنة، (٤٧٠٢) عن أحمد بن صالح قال: حدثنا ابن وهب قال: أخبرني هشام بن سعد.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٤٩.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في الكبير (٢ / ١٦٠) عن علي بن عبد العزيز وأبو مسلم الكشي قال: ثنا حجاج بن المنهال ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن جندب ح وحدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار.. به، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٦٦) وقال: إسناده صحيح إن كان الحسن سمعه من جندب وبعضهم أدخل بينهما أنسا محفوظ كما بينته في الصحيحة ٩٠٦ من طريق أحمد والطبراني. وأبو يعلى في مسنده (٣ / ٩٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦١١.

أهل السموات السبع، وأهل الأرضين السبع عذبهم وهو غير ظالم لهم ولو أدخلهم في رحمته لكانت رحمته أوسع من ذنوبهم كما قال: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُ ﴾، فمن عذب فهو الحق ومن رحم فهو الحق ولو كانت الجبال ذهبا أو ورقا فأنفقها في سبيل الله ولم يؤمن بالقدر خيره وشره لم ينفعك واخرج فاسأل قال: فخرجت إلى المسجد فإذا بعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب فسألتهما فقال عبد الله بن مسعود يا أبي أخبره قال أبي: بل أنت يا أبا عبد الرحمن أخبره فجاء بمثل حديث عمران بن حصين لم يزد قليلا ولا كثيرا كأنه يسمع قوله ثم قال: يا أبي أكذلك تقول قال: نعم [(١)].

- إن المنافقين لا يصدقون الله فى نياتهم وأعمالهم لأنهم لايؤمنون بالقدر ومذبذبين في عقيدتهم، لذلك أعد الله لهم عذابا شديدا.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ (التوبة:٦٨).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أكثم بن أبي الجون قال: قلنا ثم يا رسول الله فلان يجري في القتال قال هو في النار قال: قلنا يا رسول الله إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فأين نحن قال: إنما ذلك إخبات النفاق وهو في النار قال: كنا نتحفظ عليه في القتال كان لا يمر به فارس ولا راجل إلا وثب عليه فكثر عليه جراحه فأتينا النبي ﷺ فقلنا يا رسول الله استشهد فلان قال: هو في النار فلما اشتد به ألم الجراح أخذ سيفه فوضعه بين ثدييه ثم اتكأ عليه حتى خرج من ظهره فأتيت النبي ﷺ فقلت أشهد أنك رسول الله فقال رسول الله ﷺ: « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمن أهل الجنة، تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها »[(٢)].

---

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٣٢) عن محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا أبو بلال الأشعري ثنا قيس بن الربيع عن عمر بن محمد بن زيد العمري عن عمر بن عبد الله مولى غفرة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٦٩.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٦) عن علي بن سعيد الرازي ثنا محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري ثنا ضمرة بن ربيعة عن عبد الله بن شوذب عن أبي نهيك عن شبل بن خليد المزني.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١٤) وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن. ولم أجده عند أبو نعيم في الحلية. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٨٢.

- وعن أكثم بن أبي الجون قال: قلنا يا رسول الله فلان لجريء في القتال قال: هو من أهل النار قلنا يا رسول الله إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فأين نحن؟ قال: إنما ذلك إخبات النفاق وهو في النار قال: كنا نتحفظ عليه في القتال كان لا يمر به فارس ولا راجل إلا وثب عليه فكثر عليه جراحه فأتينا النبي ﷺ فقلنا يا رسول الله استشهد فلان قال هو في النار فلما اشتد ألم جراحه أخذ سيفه فوضعه بين ثدييه ثم اتكأ عليه حتى خرج من ظهره فأتيت النبي ﷺ فقلت أشهد أنك رسول الله فقال لي رسول الله ﷺ إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمن أهل الجنة تدركه الشقوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها »[1].

- وعن سهل بن سعد الساعدي أن رجلا كان من أعظم المسلمين غناءعن المسلمين في غزاة غزاها مع رسول الله ﷺ فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت فجعل ذباب سيفه بين ثدييه حتى خرج من كتفيه فأقبل الرجل الذي كان معه إلى النبي ﷺ مسرعا فقال: أشهد أنك رسول الله فقال له رسول الله ﷺ : ما ذاك قال: قلت من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين فقلت إنه لا يموت على ذلك فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه فقال النبي ﷺ إن العبد ليعمل عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار ويعمل عمل أهل النار وإنه لمن أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم [2].

- نتيجة لما سبق من أهمية الإيمان بالقدر كركيزة أساسية و علامة بارزة من علامات المؤمنين لذا فقد فرض التشريع الإسلامي عقابا وبيلا لمن يكذبون بالقدر لأن هؤلاء يشوشون أمر الأمة، حيث يدخلونها في متاهات من الجدال الذي يبعد عن أساسيات العقيدة والعمل

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٦) عن علي بن سعيد الرازي ثنا محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري ثنا ضمرة بن ربيعة عن عبد الله بن شوذب عن أبي نهيك عن شبل بن خليد المزني.. به. والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١٤) وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن. والمقدسي في الأحاديث المختارة (٤ / ٣٣٣) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٧٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الرقاق، باب العمل بالخواتيم (٦٤٩٣) عن علي بن عياش الألهاني الحمصي حدثنا أبو غسان قال: حدثني أبو حازم.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٧٤.

بالشريعة مما يفتت وحدة الأمة النابعة عن وحدة الرأي و الهدف اللذين تبعثهما قوة العقيدة. وكذلك القدرية والمرجئة والخوارج الذين يكذبون بالقدر يعتبروا مجوس الأمة وغلاة في الدين كما غلت اليهود والنصارى. وهؤلاء يجب تجنبهم لضررهم على الأمة علاوة على ما ينتظرهم من عذاب الله. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (آل عمران:٧).

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الأنعام:٢١).

وقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر:٦٠).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ (آل عمران:١٥٦).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (آل عمران:١٦٨).

ونرى ذلك واضحا في الأحاديث التالية:

- عن نافع قال: كان لابن عمر صديق من أهل الشأم يكاتبه فكتب إليه مرة عبد الله بن عمر إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر فإياك أن تكتب إلي فإني سمعت رسول الله ﷺ: « سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر »[1].

(١) حديث صحيح الإسناد ز أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٩٠) عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد يعني ابن أبي أيوب حدثني أبو صخر.. به. وقال المناوي في فيض القدير (٤/ ١٣٣): قوام يكذبون بالقدر أي لا يصدقون بأنه تعالى خلق أفعال عباده كلها من خير وشر وكفر وإيمان. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٥٧.

- وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « صنفان من أمتي لا يردان علي الحوض ولا يدخلان الجنة: القدرية والمرجئة »(١).

- وعن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم »(٢).

- وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « لكل أمة مجوس وإن هؤلاء القدرية مجوس أمتي فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم »(٣).

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما يقول قال رسول الله ﷺ: « لا يزال هذا الأمر مقاربا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر »(٤).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في الأوسط (٤ / ٢٨١) عن علي بن عبد الله الفرغاني قال: نا هارون بن موسى الفروي قال: نا ابو ضمرة يروي بن عياض عن حميد.. به. والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٦) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال هرون بن موسى الفروي وهو ثقة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٦٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٣٠) عن أبي عبد الرحمن حدثني سعيد بن أبي أيوب حدثني عطاء بن دينار عن حكيم بن شريك الهذلي عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن ربيعة الجرشي.. به، وأبو داود في السنة (٤٧١٠) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ١٥٩) بإسناده، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.وقال المناوي في فيض القدير (٦ / ٣٨٩): لا تجالسوا أهل القدر: بالتحريك أي فإنه لا يؤمن أن يغمسوكم في ضلالهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون، ولا تفاتحوهم: أي لا تحاكموهم أو لا تبدؤوهم بالسلام أو لا تبدؤوهم بالمجادلة والمناظرة في الاعتقاديات لئلا يقع أحدكم في شك فإن لهم قدرة على المجادلة بغير حق والأول أظهر. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٦٤.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٨٦) عن أنس بن عياض حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة.. به، وقال المناوي في فيض القدير (٢ / ٥٢٠): إن مجوس هذه الأمة أي الجماعة المحمدية المكذبون: أي القوم المكذبون بأقدار الله، إن مرضوا فلا تعودوهم: أي لا تزوروهم في مرضهم. فإذا كانوا مجوس هذه الأمة فينبغي معاملتهم بالجفاء وترك المؤاخاة والصفاء وحينئذ وإن ماتوا فلا تشهدوهم أي لا تحضرون جنائزهم وإن لقيتموهم في نحو طريق فلا تسلموا عليهم: قال الطيبي: لفظه هذا إشارة إلى تعظيم المشار إليه وإلى النعي على القدرية والتعجب منهم أي انظروا إلى هؤلاء كيف امتازوا من هذه الأمة بهذه الصفة الشنيعة حيث نزلوا من أوج تلك المناصب الرفيعة إلى حضيض السفالة والرذيلة جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس القائلين بالأصلين النور والظلمة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٤٧.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٨٨)عن أبي بكر أحمد بن سلمان الفقيه ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ثنا سليم بن حرب وشيبان بن أبي شيبة قال: ثنا جرير وأخبرني أبو بكر بن عبد الله ثنا الحسن بن سفيان ثنا يزيد بن صالح ومحمد بن أبان قال: ثنا جرير بن حازم قال: سمعت أبا رجاء العطاردي يقول سمعت ابن عباس.. به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا نعلم له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٢) وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٦٦.

الفصل السابع

في صفات المؤمنين

إن توضيح صفات المؤمنين يعتبر من الأهمية بمكان لأنها ترجمة واقعية لحقيقة الإيمان فالرجال هم المرآة التي تعكس تنفيذ أوامر الحق، ولذلك فقد اهتم القرآن اهتماما بالغا في آيات متعددة تبين مواصفات عباد الرحمن الذين تشربوا من نبع الرسالة العذب، فصاروا برهانا ساطعا وآيات متجلية على قدرة تلك الرسالة في تغيير الإنسان وصنع الرجال الذين يستحقون بجدارة الاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (المؤمنون:١-٩).

وقال تعالى: ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (الشورى:٣٦-٤٣).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر:٩).

وقد أجمل الرسول ﷺ تلك المعاني السابقة في حديث جامع شامل يدل على أنه أوتي جوامع الكلم حقا ﷺ الحديث التالي:

– عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: من لم يحفظ هذا الحديث كان نقصا من مروءته وعقله قلنا وما ذاك يا أبا سعيد قال: فبكى وأنشأ يحدثنا فقال: لو أن رجلا من المهاجرين الأولين يتحقق من باب مسجدكم هذا ما أدرك شيئا مما كانوا عليه ما أنتم عليه إلا قبلتكم هذه ثم قال: هلك الناس ثلاثا قول ولا فعل ومعرفة ولا صبر ونفس ولا صدق ما لي أرى رجالا ولا أرى عقولا وأرى أجسادا ولا أرى قلوبا دخلوا في الدين ثم خرجوا وحرموا ثم استحلوا وعرفوا ثم أنكروا وإنما دين أحدهم على لسانه ولئن سألته هل تؤمن بيوم الحساب قال: نعم كذب ومالك يوم الدين: « إن من أخلاق المؤمن قوة في دين وحزم في لين وإيمانا في يقين وحرصا في علم وشفقة في مقت وحلما في علم وقصدا في غنى وتجملا في فاقة وتحرجا عن طمع وكسبا في حلال وبرا في استقامة ونشاطا في هدى ونهيا عن شهوة ورحمة للمجهود وإن المؤمن من عباد الله لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، ولا يضيع ما استودع، ولا يحسد ولا يطعن ولا يلعن، ويعترف بالحق، وإن لم يشهد عليه ولا يتنابز بالألقاب، في الصلاة متخشعا، إلى الزكاة مسرعا، في الزلازل وقورا، في الرخاء شكورا قانعا بالذي له لا يدعي ما ليس له، ولا يجمع في الغيظ ولا يغلبه الشح عن معروف يريده، يخالط الناس كي يعلم، ويناطق الناس كي يفهم، وإن ظلم وبغي عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذي ينتصر له »[1].

---

(١) أثر صحيح المعنى. أخرجه الحكيم الترمذي في نوادره (٤ / ٢).. به، وقتال في نهايته: « قال الحسن وعظني بهذا الحديث جندب بن عبد الله وقال جندب وعظني بهذا الحديث رسول الله ﷺ وقال حق على كل مسلم حفظه وتعلمه » وقال المناوي في فيض القدير (٢ / ٥٢٩): إن من أخلاق المؤمن: أي الكامل، قوة في دين: أي طاقة عليه وقياما بحقه، وحزما في لين: أي سهولة؛ فإذا جاءت المعرفة بأنوارها انجلت الكثافة وزالت الفظاظة وذلك لأن الحزم هو اجتماع الأمور وإنما تجتمع وتستحكم باللين فإن الغصن الصلب إذا مددته انكسر بائن واللين إذا مددته انقاد وبلغت به المراد، وإيمانا في يقين: لأن العبد وإن كان موحدا لكن قد يدخله النقص. في نوره المشرق في صدره فيحجب عن الله ويقف مع الأسباب فيحتاج إلى يقين يزيل حجابه ويطلق عنانه وحرصا في علم أي اجتهادا فيه ودواما عليه لأن العلم بحر لا ساحل له ولا منتهى فمن دخله احتاج إلى حرص يعينه عليه ويذهب بملاله ويبعثه في كل وقت إليه، وشفقة: أي خوفا ومحبة وعطفا في مقة بالقاف بضبط المصنف لكن رواية الحكيم معه بالعين مشتقة من المعة أمعاء البطن فالشفقة تحنن الرأفة والإكباب على من يشفق عليه وإنما يصير مكبا بشدة الرأفة فإذا كانت الشفقة بغير معة انتشرت فأفسدت وإذا كانت في معة كانت في حصن فلم تنتشر ولم تفسد لأن هنا حدا يحويها وحلما في علم >

ثم فصل الرسول ﷺ صفات المؤمنين حيث تشمل تلك الصفات ناحيتين أساسيتين في المؤمن:

الناحية الأولى: هي صفات المؤمن الروحية التي تمثل علامات بارزة في شخصيته الإيمانية.

الناحية الثانية: هي صفات المؤمن الروحية التي تمثل تفاعله الإيجابي مع مجتمعه الإيماني.

ونعرض فيما يلي صفات المؤمن في كل من ذلك المجالين الرئيسيين:

أولا: صفات المؤمن الروحية التي تمثل شخصيته الإيمانية و معراجه الروحى:

- المؤمن لم يقتصر على أن يجاهد هواه فقط ولكن يجاهد دائما لقهر شيطانه الذي يعوقه عن المجاهدة في سبيل نصرة الدين وإعلاء مبادئ الحق التي جاء بها الرسول الأمين ﷺ قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (الحجر:٤٢).

- المؤمن يتوق إلى العلم دائما، لأن العلم هو مفتاح كشف أسرار الأرض بها يحقق التقدم للأمة الإسلامية وهو مفتاح العروج في عالم الروح أي أن العلم مفتاح لكل خير.. ولذلك قال الحق جل شأنه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه:١١٤)

وقال تعالى:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة:١١).

> لأن الحلم سعة الأخلاق فإذا توسع المرء في أخلاقه ولم يكن له علم فقد الهدى وإن كان ثم علم لا حلم ساء خلقه وتكبر بعلمه لأن للعلم حلاوة ولكل حلاوة شرة وقصدا في غنى فلا يتوسع في الإنفاق فيقع في الإسراف بل يكون وسطا فإنما هو رزق الله وتجملا في فاقة أي فقر بأن لا يلقي بيديه إلى التهلكة ويصبر على القلة ويرضى بالذلة ولكنه يأخذ شعره ويقلم ظفره ويغسل ثوبه ويتنظف ويتطيب على قدر حاله فإن الله جميل يحب الجمال، وتحرجا: أي كفا عن طمع لأن الطمع فيما في أيدي الخلق انقطاع عن الله ومن انقطع عنه خذل وخسر، وكسبا: أي سعيا في طلب الحلال فإن كل نفس فرغ ربها من رزقها فما فائدة الطلب حل، وبرا: أي إحسانا، في استقامة: بأن لا يمازجه هوى أو جور بل يكون صلابة في العدل حتى بين العيال والأطفال، ونشاطا في هدى: أي لا في ضلالة فإذا انبسطت نفسه ألجمها بلجام الشرع حتى لا تتعدى للفساد حال الانبساط ونهيا عن شهوة فإن النفس ذات شهوات فإذا أطعتها في واحدة طمعت في أخرى وهكذا حتى تشرد على صاحبها شراد البعير للمجهود في عبادة أو معاش أو بلاء. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٦٩.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: « لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة »[١].

- وعن أنس قال: قال النبي ﷺ: « أتدرون من المؤمن المؤمن من لا يموت حتى يملأ مسامعه مما يحب، هل تدرون من الفاجر الذي لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يكره ولو أن عبد الله اتقى الله جوف بيته إلى سبعين على كل بيت باب من حديد ألبسه الله رداء عمله حتى يتحدث الناس بها ويزيدون »[٢].

- المؤمن يتعرض للخير والشر ابتلاء من الله تمحيصا لإيمانه، وعلوا لدرجاته إذا تقبل كل ما يطرأ على ظروف حياته من خير أو شر بقبول حسن، حيث يعلم أن كلا منهما من عند الله.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٥).

وقال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت:٢).

وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٧٧).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في الزهد، (٢٣٥٠) عن عمر بن حفص الشيباني البصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم.. به، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (٣ / ١٨٥) بإسناده. قال المناوي في فيض القدير (٥ / ٣٠٢): لن يشبع المؤمن من خير أي علم وقد جاء تسميته خيرا في عدة أخبار يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة أي حتى يموت فيدخل الجنة قال الطيبي شبه استلذاذه بالمسموع بالتذاذه بالمطعوم لأنه أرغب وأشهى وأكثر اتباعا لتحصيله وحتى للتدريج في استماع الخير والترقي في استلذاذه والعمل به إلى أن يوصله الجنة ويبلغه إياها لأن سماع الخير سبب العمل والعمل سبب دخول الجنة ظاهرا ولما كان قوله يشبع فعلا مضارعا يكون فيه دلالة على الاستمرار تعلق به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٢١.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في الزهد (٢ / ٣٠٦) عن عبد السلام بن مطهر عن سليمان بن المغيرة عن ثابت.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٩٩.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن ابن عباس قال: لما حضرت بنت لرسول الله ﷺ صغيرة فأخذها رسول الله ﷺ فضمها إلى صدره ثم وضع يده عليها فقضت وهي بين يدي رسول الله ﷺ فبكت أم أيمن فقال لها رسول الله ﷺ يا أم أيمن أتبكين ورسول الله ﷺ عندك فقالت: ما لي لا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي فقال رسول الله ﷺ إني لست أبكي ولكنها رحمة ثم قال رسول الله ﷺ: « المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله »[١].

- وعن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر وكان خير له إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له »[٢].

- وعن سلمة بن كهيل قال: « لو كان المؤمن على قصبة في البحر لقيض الله له من يؤذيه »[٣].

- وعن ثابت قال: سمعت عبدالرحمن بن أبي ليلى يحدث عن صهيب الخير قال: صلينا مع رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي فلما انصرف أقبل إلينا بوجهه ضاحكا فقال: « ألا تسألوني مم ضحكت عجبت من قضاء الله للعبد المسلم إن كل ما قضى الله له خير وليس كل أحد قضى الله له خيرا إلا العبد المسلم »[٤].

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه النسائي في الجنائز (١٨٤٣) عن هناد بن السري قال: حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن عكرمة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٨٢.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣٣٢) عن بهز وحجاج قال: ثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.. به، ومسلم في الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٢٩٩٩) بإسناده. قال المناوي في فيض القدير (٤ / ٣٠٤): إن أصابته ضراء صبر وإن أصابته سراء شكر فإنه إن كان موسرا فلا يقال فيه وإن كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بما قسم وأما الفاجر فأمره بالعكس إن كان معسرا فلا إشكال وإن كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧١٠.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ١٩٢) عن الفضل بن دكين عن موسى بن قيس.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧١٨.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١ / ١٥٤) عن أبي أسحاق إبراهيم بن محمد بن حمزة حدثني محمد بن يحيى الطلحي ثنا عمار بن خالد ثنا عبدالحكيم بن منصور عن يونس بن عبيد.. به، والبزار في مسنده (٦ / ١٥) بإسناده، وقال: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن يونس إلا عبد الحكيم بن منصور الواسطي وقد رواه سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٨٧.

- وعن صهيب قال: ثم صليت مع رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشاء فلما انصرف أقبل إلينا بوجهه ضاحكا فقال: ألا تسألوني مم ضحكت قالوا الله ورسوله أعلم قال: « عجيب من قضاء الله للمسلم، كله خير إن أصابته سراء فشكر آجره الله عز وجل وإن أصابته ضراء فصبر آجره الله عز وجل وكل قضاء قضاه الله للمسلمين خير »[1].

- وعن عمر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « عجبت من قضاء الله للمؤمن، إن أصابه خير حمد ربه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر، ويؤجر المؤمن في كل شيء، حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته »[2].

- المؤمن يشفق من السيئة ويرجو الحسنة لأنه يرجو رحمة الله ويخشى عذابه.

قال تعالى:

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران:١٩٣).

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (الأنبياء:٩٠).

وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (الإسراء:٥٧).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ (المؤمنون:٦٠).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨ / : ٤٠) عن محمد بن أبان الأصبهاني ثنا عمار بن خالد الواسطي ثنا عبد الحكيم بن منصور عن يونس بن عبيد عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٨٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ١٧٣) عن عبد الرحمن وعبد الرزاق المعنى قال: أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن العيزار بن حريث.. به، وعبد بن حميد فس مسنده (١ / ٧٧) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٣٧٥) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٩) وقال: رواه أحمد بأسانيد ورجالها كلها رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٨٩.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن زيد بن سلام عن جده قال: سمعت أبا أمامة يقول سأل رجل النبي ﷺ فقال: ما الإثم فقال: إذا حك في نفسك شيء فدعه قال: فما الإيمان قال: « إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن »[١].

- وعن أبي رزين العقيلي قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى قال: أما مررت بأرض من أرضك مجدبة ثم مررت بها مخصبة قال: نعم قال: كذلك النشور قال يا رسول الله وما الإيمان قال: أن تشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما وأن تحرق بالنار أحب إليك من أن تشرك بالله وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله عز وجل فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ قلت يا رسول الله كيف لي بأن أعلم أني مؤمن قال: » ما من أمتي عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن الله عز وجل يجازيه بها خيرا ولا يعمل سيئة فيعلم أنها سيئة ويستغفر الله عز وجل منها ويعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو إلا هو مؤمن »[٢].

- وعن السائب أن عمر لما دخل الشام قال: إن النبي ﷺ قام فينا فأمر بالصلاة وتقوى الله وصلاح ذات البين: « مـن أشفق من سيئة ورجا حسنة فهو أمارة المؤمن »[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٢) عن إبراهيم بن خالد حدثنا رباح عن معمر عن يحيى بن أبي كثير.. به، وابن حبان في صحيحه (١ / ٥٦ موارد) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١١٧) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ٥٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٥٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٩٩.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسند (٤ / ١١) عن علي بن إسحاق قال: أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك قال: أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليمان بن موسى.. به، والطبراني في مسند الشاميين (١ / ١٨٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٠٠.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ١٥٥) عن السائب بن هجان الشامي من أهل إيلياء أدرك أصحاب النبي ﷺ قال: ** ه لي يحيى عن عبد الله بن وهب عن بر أبي العمياء.. به، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٨٨) عن أبي عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا عباس بن محمد الدوري ثنا هارون بن معروف ثنا عبد الله بن وهب حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء ١ عن السائب بن مهجان من أهل الشام من أهل إيلياء وكان قد أدرك أصحاب رسول الله ﷺ في حديث ذكره قال لما دخل عمر رضي الله عنه الشام حمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال إن رسول الله ﷺ قام فينا خطيبا كقيامي فيكم فأمر >

- وعن أبي أمامة قال: قال رجل ما الإثم يا رسول الله قال: ما حاك في صدرك فدعه قال: فما الإيمان قال: « من ساءته سيئة وسرته حسنة فهو مؤمن »(١).

- وعن أبي موسى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من عمل سيئة فكرهها حين عمل بها وعمل حسنة فسر بها فهو مؤمن »(٢)..

- وعن يروي بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « المؤمن أشعث أغبر مغبر ذو طمرين لو أقسم على الله لأبره »(٣).

- المؤمن يعمر قلبه بنور الإيمان الذي يجعله يغير على انتهاك حرمات الله، فيندفع إلى نصرة الحق لا يخاف في الله لومة لائم. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « المؤمن يغار والله أشد غيرة »(٤).

> بتقوى الله وصلة الرحم وصلاح ذات البين وقال عليكم بالجماعة فإن يد الله عليا الجماعة وإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ومن سادته:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٠٢.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١١٧) عن إسحاق بن إبراهيم الدبري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن أبي سلام.. به، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٩) بإسناده، وقال: هذه الأحاديث كلها صحيحة متصلة على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وتمام في فوائده (١/ ٧٥) بإسناده، وأبو يعلى في مسنده (١/ ١٧٩) عن إبراهيم بن الحجاج السامي حدثنا حماد عن عبد الله بن المختار عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٠٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٩٨) عن قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عمرو يعني ابن أبي عمرو عن المطلب.. به، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٨) بإسناده، احتجا برواة هذا الحديث عن آخرهم وهو صحيح على شرطهما ولم يخرجا إنما خرجا في خطبة عمر بن الخطاب ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وله شاهد بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي. والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٩٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٠٦.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١/ ٢٥) عن عبد الله حدثنا ابن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر عن ثابت وعلي بن زيد.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٠٧.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش (٢٧٦١) عن قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن العلاء عن أبيه.. به، قال المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٥٣): <

- المؤمن هين لين مسالم يمتاز بحسن النية والطوية وبالتالي فإن مجتمع المؤمنين لا يشيع فيه الإرهاب، لأن المؤمن ينشد الحق والسلام مصداقا لقول الحق: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ (الفرقان:٦٣).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعاه جميعا قال: قال رسول الله ﷺ: « المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم »[1].

- وعن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: « المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ »[2].

- ورغم أن المؤمن طيب القلب إلا أنه كيس فطن حذر، لأن تعاليم الإيمان تجعله على حذر من المكر والخديعة والعدوان. قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (المائدة:٩٢).

> فالمؤمن الذي يغار في محل الغيرة قد وافق ربه في صفة من صفاته ومن وافقه في صفة منها قادته تلك الصفة بزمامه وأدخلته عليه وأدنته منه وقربته من رحمته ومن الغيرة غيرة العلماء لمقام الوراثة وهو مقام العلم وعليه يحمل ما وقع لكثير من العظماء. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٨٠.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في الأدب، باب في حسن العشرة (٤٧٩٠) عن نصر بن علي قال: أخبرني أبو أحمد حدثنا سفيان عن الحجاج بن فرافصة عن رجل عن أبي سلمة عن أبي هريرة ح و حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني حدثنا عبد الرزاق أخبرنا بشر بن رافع عن يحيى بن أبي كثير.. به، والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في البخيل (١٩٦٤) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٣) بإسناده، وقال: تابعه بن شهاب عبد ربه بن نافع الحناط ويحيى بن الضريس عن الثوري في إقامته هذا الإسناد فأما حديث أبي شهاب. ووافقه الذهبي. ومعنى الحديث: المؤمن غر: أي يغره كل أحد ويغره كل شيء ولا يعرف الشر وليس بذي مكر ولا فطنة للشر فهو ينخدع لسلامة صدره وحسن ظنه وينخدع لانقياده ولينه،وقوله: كريم: أي شريف الأخلاق، وقوله: والفاجر: أي الفاسق، وقوله: خب لئيم: أي جريء فيسعى في الأرض بالفساد؛ فالمؤمن المحمود من كان طبعه الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه وليس ذلك منه جهلا والفاجر من عادته الخبث والدهاء والتوغل في معرفة الشر وليس ذا منه عقلا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٨١.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٣٠) عن أبي عمر بن حيوية وأبو بكر الوراق قال: أخبرنا يحيى قال: حدثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا سعيد بن عبدالعزيز.. به، مرسلا، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٧٢) بإسناده، وقال: هذا مرسل. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٩٣.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (النساء:٨٣).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »[١].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »[٢].

- ومن مظاهر تكريم الله للمؤمن أنه يغفر له ذنوبه. قال تعالى: ﴿ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴾ (الانشقاق:٨).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾ (محمد:٢).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٧٩) عن عن عبد الله حدثني أبي حدثنا قتيبة حدثنا ليث يعني بن سعد عن عقيل عن الزهري عن بن المسيب.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (٦ / ٣٢٠) بإسناده، وأبو داود في، باب في الحذر من الناس (٤ / ٢٦٦) بإسناده، وابن ماجه في الفتن، باب العزلة (٣٩٨٢) بإسناده، وأحمد في مسنده (٢ / ١١٥) عن الفضل بن دكين حدثنا زمعة عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:.. به، وابن ماجه في الفتن، (٣٩٨٣) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٢٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٦١٣٣) عن قتيبة حدثنا الليث عن عقيل عن الزهري عن ابن المسيب.. به، ومسلم في الزهد، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٢٩٩٨) بإسناده، وأبو داود في الأدب، باب في الحذر من الناس (٤٨٦٢) بإسناده، وابن ماجه في الفتن، باب العزلة (٣٩٨٢) بإسناده. والعقيلي في الضعفاء (١ / ٧٤) عن ابن إبراهيم القرشي يقال حمصي في حديثه وهم حدثني أحمد بن عمرو قال حدثنا يحيى بن أبي عمر قال حدثنا يوسف بن خالد قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم الحمصي عن الزهري عن جابر بن عبد الله أن النبي عليه السلام قال:.. به، وقال وهذا الحديث رواه يونس وعقيل وسعيد بن عبد العزيز وابن أخي الزهري وأسامة بن زيد ويزيد بن أبي حبيب عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ورواه زمعة بن صالح عن الزهري عن سالم عن أبي عمر ورواه معاوية بن يحيى الصدفي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وأحمد في مسنده (٢ / ١١٥) عن عبد الله حدثني أبي ثنا الفضل بن دكين ثنا زمعة عن بن شهاب عن سالم عن بن عمر أن رسول الله ﷺ قال:.. به، والطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٢٨٧) بإسناده، وابن ماجه في الفتن، باب العزلة (٢٩٨٣) بإسناده، والحكيم الترمذي في نوادره (١ / ٢٧٨) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (١٧ / ٢٠) عن محمد بن علي بن حبيب الطرائفي الرقي ثنا محمد بن سالم المسبحي ثنا إسحاق بن إبراهيم الحسيني عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٣٠.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول ثم اللهم حاسبني حسابا يسيرا قال: فقلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال: أن ينظر في سيئاته ويتجاوز له عنها أنه من نوقش الحساب يومئذ هلك وكلما يصيب المؤمن يكفر الله عنه من سيئاته حتى الشوكة تشوكه »[1].

- ومن مظاهر تكريم الله للمؤمنين أنه يستجيب لهم دعاءهم.

قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (آل عمران:١٩٥).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « للمؤمن في كل يوم دعوة مستجابة »[2].

- ومن مظاهر التكريم أيضا أن المؤمن يجد سلاما عند الموت وهذا يتضح من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت:٣٠).

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (الفجر: ٢٧-٣٠).

---

(١) حديث صحيح الإسناد.، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٢٣) عن أبي جعفر محمد بن علي الشيباني بالكوفة ثنا أحمد بن حازم الغفاري ثنا يعلى بن عبيد ثنا محمد بن إسحاق عن عبد الواحد بن حمزة عن عباد بن عبد الله بن الزبير.. به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٨٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه تمام في الفوائد (٢/ ٥١) عن أبي زرعة وأبو بكر محمد وأحمد أبنا عبد الله النصري قال: ثنا أبو الحسن محمد بن نوح الجنديسأبوري ثنا أبو الربيع عبيد الله بن محمد الحارثي ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك أنبا نافع بن أبي نعيم القارئ عن أبي الزناد عن الأعرج.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٢٥.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه عاد أخا له فرأى جبينه يعرق فقال الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ يقول أو قال رسول الله ﷺ - قال أبو داود في حديثه سمعت رسول الله ﷺ يقول-: « المؤمن يموت بعرق الجبين »[١].

- ومن صفات المؤمن أنه يتميز بحسن الخلق وحسن السمت لأنه تأدب بأدب الحق، فصار عنوانا لكل القيم النبيلة والأخلاق السامية. قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ (لقمان١٧: ١٩).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن ابن عمر أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاءه رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ ثم قال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال: أحسنهم خلقا »[٢].

- ومن حسن الخلق أن المؤمن لا يكذب لأنه يعرف أمانة الكلمة ومسئوليتها وأن الله مدح الصادقين في كتابه الكريم: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾ (مريم:٥٤).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٦٠) عن يحيى بن سعيد عن المثنى بن سعيد وأبو داود حدثنا المثنى بن سعيد يعني الضبعي عن قتادة.. به، والترمذي في الجنائز، باب ما جاء في المؤمن يموت بعرق الجبين (٩٨٢) بإسناده، والنسائي في الجنائز، باب علامة موت المؤمن (١٨٢٩) بإسناده، وابن ماجه في الجنائز، (١٤٥٢) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ٥١٣) بإسناده، وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.قال المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٥٣): المؤمن يموت بعرق الجبين: أي عرق جبينه حال موته علامة إيمانه لأنه إذا جاءته البشرى مع قبيح ما جاء به خجل واستحيى فعرق جبينه لأن أسافله ماتت وقوة الحياة فيما علا والحياء في العينين وذلك وقت البشرى وانكشاف الغطاء والكافر في عمى عن ذلك. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم .٦٧٧

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن ماجه في الزهد، (٤٢٥٩) عن الزبير بن بكار حدثنا أنس بن عياض حدثنا نافع بن عبد الله عن فروة بن قيس عن عطاء بن أبي رباح.. به، والحاكم في المستدرك (٤ / ٢٨٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. ومعنى الحديث: أفضل المؤمنين أي أكثرهم ثوابا أو أرفعهم درجة يعني من أفضلهم في ذلك أحسنهم خلقا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٠٣.

وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب:٢٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (العنكبوت:٣).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: يـطبع المؤمن على كل خلة ليس الخيانة والكذب »[١].

– ومن حسن الخلق أن المؤمن ليس بطعان ولا فحاش لأن قلبه تسربل بقول الحق.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الحجرات:١١).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « ليـس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء[٢].

– ومن حسن الخلق أن المؤمن غير عدواني لأن إيمانه يحجزه عن الفتك بالآخرين تنفيذا لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٥).

---

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩ / ١٨٤) عن علي بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن منصور عن مالك بن الحارث.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٣٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٤٠٤) عن محمد بن سابق حدثنا إسرائيل عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة.. به. وابن حبان في صحيحه (١ / ٤٢١) بإسناده، والبخاري في الأدب المفرد (١ / ١٢٢) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ٥٧) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بهؤلاء الرواة عن آخرهم ثم لم يخرجاه وأكثر ما يمكن أن يقال فيه أنه لا يوجد ثم أصحاب الأعمش وإسرائيل بن يونس السبيعي كبيرهم وسيدهم وقد شارك الأعمش في جماعة من شيوخه فلا ينكر له التفرد عنه بهذا الحديث وللحديث شاهد آخر على شرطهما ومعنى: الطعان: العياب للناس، والفاحش: البذيء المتصف بسوء الخلق. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٢٠.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « **الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن** »[1].

– أن المؤمن قنوع في طعامه وشرابه واستهلاكه عموما لأن هدفه ليس إشباع الشهوات، ولكن إعلاء كلمة الحق، وهو يخضع لقول الله عزَّ وجلَّ:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٧).

وهذا نراه واضحا في الأحاديث التالية:

– عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: « المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء »[2].

– وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف وهو كافر فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم أخرى فشربه ثم أخرى فشربه حتى شرب حلاب سبع شياه ثم إنه

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤٠٣) عن إسماعيل بن موسى وعلي حدثنا إسحاق بن منصور السلولي سمع أسباط عن السدي عن أبيه.. به، وأبو داود في الجهاد (٢٧٦٩) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٢) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. قال المناوي في فيض القدير (٣/ ١٨٦): الإيمان قيد الفتك أي يمنع من الفتك الذي هو القتل بعد اختلفا عذرا كما يمنع القيد من التصرف بمنع الإيمان من الغدر لا يفتك مؤمن خبر بمعنى النهي لأنه متضمن للمكر والخديعة أو هو نهي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٩٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢١) عن يحيى عن عبيد الله أخبرني نافع.. به، والترمذي في الأطعمة، باب ما جاء أن المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (١٨١٨) بإسناده، ومسلم في الأشربة، باب المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (٢٠٦٠) بإسناده، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٣٣) عن روح حدثنا ابن جريج أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول إنه سمع النبي ﷺ يقول:.. به، ومسلم في الأشربة، باب المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (٢٠٦٢) بإسناده عن جابر، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٧) عن عفان حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:.. به، وابن ماجه في الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (٣٢٥٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٧٠.

أصبح فأسلم فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فشرب حلابها ثم أمر بأخرى فلم يستتمها فقال رسول الله ﷺ: « المؤمن يشرب في معى واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء »[1].

- وعن معن بن نضلة عن جده، أنه لقي رسول الله ﷺ بمران ومعه شق إبل فحلب لرسول الله ﷺ في إناء فشرب رسول الله ﷺ ثم شرب من إناء واحد ثم قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق إن كنت لأ شرب سبعة فلا أشبع ولا أمتلئ – فقال رسول الله ﷺ إن المؤمن يشرب في معى واحد وإن الكافر يشرب في سبعة أمعاء »[2].

- ومن حسن الخلق أن المؤمن إذا سأله أحد الإحسان لم يمنعه، وإذا احتاج يتعفف وذلك نبعا من قول الحق: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران:١٨٠).

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٧٣).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الأشربه، باب المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (٢٠٦٣) عن محمد بن رافع حدثنا إسحق بن عيسى أخبرنا مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه.. به، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٥) بإسناده، والترمذي في الأطعمة، باب ما جاء أن المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (١٨١٩) بإسناده. وقال المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٥١) ليست حقيقة العدد مرادة بل المراد التكثير وأن من شأن المؤمن التقلل من الأكل والشرب لشغله بأسباب العبادة وعلمه بأن مقصود الشرع من الأكل والشرب ما يمسك الرمق ويعين على التعبد والكافر لا يقف مع مقصود الشرع بل هو تابع لشهوته مسترسل في خائف من تبعات الحرام فلذلك صار أكل المؤمن إذا نسب إلى أكل الكافر وشربه بقدر السبع منه ولا يلزم منه الاطراد فقد يوجد مؤمن يأكل ويشرب كثيرا لعارض مرض أو نحوه ويكون في الكفار من يأكل قليلا لمراعاة الصحة على رأي الاطباء أو الرياضة على رأي الرهبان أو لعارض كضعف معدة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٧١.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه بهذا اللفظ كاملا ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٦/ ١٧) عن أم المجتبى بنت ناصر قالت: قرىء على إبراهيم بن منصور أنا أبو بكر ابن المقرئ قال: أنا أبو يعلى الموصلي نا أبو موسى إسحاق بن موسى الأنصاري زاد ابن المقرىء في نسبه ابن عبد الله بن موسى بن يزيد من ولد عبد الله بن يزيد نا محمد بن معن حدثني جدي محمد بن معن.. ثم ذكره كاملا، وقد أخرج لفظ النبي ﷺ البخاري وغيره. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٠٨.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « أفضل المؤمنين إيمانا الذي إذا سأل أعطي، وإذا لم يعط استغنى »[١].

- ونتيجة لكل ما سبق من الصفات، تضاف صفة من الصفات القلبية للمؤمن وهي أنه إذا مدح المؤمن في وجهه زاد الإيمان في قلبه، كما يلين له قلب الرسول ﷺ تعاطفا مع ما يعمر قلبه من أنوار. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (التوبة:١٢٤).

ثانيا: صفات المؤمن في تفاعله الإيجابي مع المجتمع الإيماني

حرص الرسول ﷺ أن يتحول الإيمان في قلوب الرجال إلى طاقة فعالة تحقق التكافل والتساند بين المؤمنين جميعا، مما يرسم سمات واضحة لملامح الأمة الإسلامية تحقق لها القوة المعنوية والمادية معا.. ولذلك فقد بين الرسول ﷺ صفات المؤمن في تفاعله مع المؤمنين فيما يلي:

- المؤمن أخو المؤمن يحبه ويرعاه ويكون له سندا في كل المواقف والظروف وذلك نبعا من قول الحق عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات:١٠).

وذلك نجده في الأحاديث التالية:

- عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[٢].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (١ / ٣١١) عن أبي عبد الله الحسين بن جعفر بن محمد السلماسي وأبو الحسن أحمد بن أبي جعفر القطيعي قال: أنبانا علي بن عمر الحربي قال: نبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن أبي داود الحراني واسم أبي داود سالم مولى عبد الملك بن مروان سنة ثمان وثلاثمائة قدم علينا للحج قال: نبأنا عمي سليمان بن عبد الله قال: حدثني جدي عن أبيه عن عبد الكريم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٨٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦ / ٩٤) عن أبي عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قال: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أبو جعفر أحمد بن عبد ثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة.. به، والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم (١٩٢٨) بإسناده، والنسائي في الزكاة، باب أجر الخازن إذا تصدق بإذن مولاه (٢٥٦٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٧٤.

– وعن سويد بن حنظلة قال: خرجنا نريد رسول الله ﷺ ومعنا وائل بن حجر فأخذه عدو له فتحرج الناس أن يحلفوا وحلفت أنه أخي فخلى عنه فأتينا رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: أنت كنت أبرهم وأصدقهم صدقت: « صدقت المسلم أخو المسلم »[١].

– وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن من حيث لقيه يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه »[٢].

– تنرض تلك الأخوة الألفة والمحبة بين المؤمنين ولا خير في مجتمع لا تسود فيه تلك المشاعر النبيلة بين الناس التي تحقق الأخوة الإيمانية في أجلى صورها. قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٣)

﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ (الأنفال:٦٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ (التوبة:٦٧).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٧٩) عن يزيد بن هارون قال: أخبرنا إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الأعلى عن جدته عن أبيها سويد.. ثم ذكره، وابن ماجه في الكفارات، باب من روى في يمينه (٢١١٩) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٤ / ٣٣٣) بإسناده، وقال: لمسلم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٤٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو داود في الأدب، في الظن (٤٩١٨) عن الربيع بن سليمان المؤذن حدثنا ابن وهب عن سليمان يعني ابن بلال عن كثير بن زيد عن الوليد ابن رباح.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (٨ / ١٦٧) بإسناده، قال المناوي في فيض القدير ج٦/ ص٢٥٢ المؤمن مرآة المؤمن فأنت مرآة لأخيك يبصر حاله فيك وهو مرآة لك تبصر حالك فيه فإن شهدت في أخيك خيرا فهو لك وإن شهدت غيره فهو لك وكل إنسان مشهده عائد عليه ومن ثم قالوا من مشهدك يأتيك روح مددك والمؤمن أخو المؤمن أي بينه وبينه أخوة ثابته بسبب الإيمان ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ (الحجرات: ١٠) يكف عليه ضيعته أي يجمع عليه معيشته ويضمها له وضيعة الرجل ما منه معاشه ويحوطه من ورائه أي يحفظه ويصونه ويذب عنه ويدفع عنه من يغتابه أو يلحق به ضررا ويعامله بالإحسان بقدر الطاقة والشفقة والنصيحة وغير ذلك. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٦٧.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « المؤمن يألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف »[١].

- وعن سهل بن سعد الساعدي يحدث عن النبي ﷺ: « المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس »[٢].

- وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: « المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »[٣].

- وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: « المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله وإن اشتكى عينه اشتكى كله »[٤].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٠٠) عن هارون بن معروف قال عبد الله وسمعته أنا من هارون قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: أخبرني أبو صخر عن أبي حازم عن أبي صالح.. به.وقال المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٥٣): المؤمن يألف لحسن أخلاقه وسهولة طباعه ولين جانبه وفي رواية ألف مألوف والألف اللازم للشيء فالمؤمن يألف الخير وأهله ويألفونه بمناسبة الإيمان قال الطيبي وقوله المؤمن ألف يحتمل كونه مصدرا على سبيل المبالغة كرجل عدل أو اسم كان أي يكون مكان الألفة ومنتهاها ومنه إنشاؤها وإليه مرجعها ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف لضعف إيمانه وعسر أخلاقه وسوء طباعه والألفة سبب للاعتصام بالله وبحبله وبه يحصل الإجماع بين المسلمين وبضده تحصل النفرة بينهم وإنما تحصل الألفة بتوفيق إلهي لقوله سبحانه ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ (آل عمران:١٠٣) إلى قوله ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (آل عمران:١٠٣). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٧٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٠) عن أحمد بن الحجاج حدثنا عبد الله أخبرنا مصعب بن ثابت حدثني أبو حازم قال: سمعت سهل بن سعد الساعدي.. به، قال المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٣٤) الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد: لأن الصبر يدخل في كل باب بل في كل مسألة من مسائل الدين فكان من الإيمان بمنزلة الرأس من الإنسان قال علي كرم الله وجهه فإذا قطع الرأس مات الجسد ثم رفع صوته قائلا أما إنه لا إيمان لمن لا صبر له أي وإن كان فإيمان قليل وصاحبه ممن يعبد الله على حرف ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ (الحج ١١). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٨٣.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في البر والصلة، (٢٥٨٦) عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبو سعيد الأشج قال: حدثنا وكيع عن الأعمش عن الشعبي.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٩٤.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٧٦) عن وكيع حدثنا الأعمش عن الشعبي.. به، و مسلم في البر والصلة، (٢٥٨٦) بإسناده. قال المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٥٩): أفاد تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والتعاضد إثم ولا مكروه ونصرتهم والذب عنهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم وغير ذلك وفيه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق بهم بسبب حتى الهرة والدجاجة ذكره الزمخشري. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٩٥.

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: « إن روحي المؤمنين تلتقي على مسيرة يوم وليلة وما رأى واحد منهما وجه صاحبه »[١].

- وعن النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[٢].

- وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: « مثل المؤمن من أهل الإيمان مثل الرأس في الجسد يألم مما يصيب أهل الإيمان كما يألم الرأس مما يصيب الجسد »[٣].

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١ / ١٠١) عن أحمد بن عاصم قال: حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثني ابن وهب عن حيوة بن شريح عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفي.. به، وأحمد في مسنده (٢ / ١٧٥) بإسناده، وقال المناوي في فيض القدير (٢ / ٤٥١): إن روحي المؤمنين تثنية مؤمن تلتقي كذا هو بخط المصنف لكن لفظ رواية الطبراني ليلتقيان على مسيرة يوم وليلة أي على مسافتها وما رأى والحال أنه ما رأى واحد منهما وجه صاحبه في الدنيا أي ذاته فإن الأرواح إذا خلصت من كدورات النفس وخلعت ملابس اللذات والشهوات وترحلت إلى ما منه بدت وانفكت من هذه القيود بالموت تصير ذات سطوع في الجو فتجول وتحول إلى حيث شاءت على أقدارهم من السعي إلى الله أيام الحياة فإذا تردت هكذا سمعت وأبصرت أحوال الدنيا والملائكة فإذا ورد عليهم خبر ميت من الأحياء تلقاه من بينه وبينه تعارف بالمناسبة وإن لم يره في الدنيا في ذلك الفضاء على تلك المسافات وأكثر وتحدث معه وسأله عن الأخبار فسبحان الواحد القهار قال في علم الهدى الاجتماع في عالم الأرواح أبلغ بلا نهاية له من الاجتماع في عالم الأجسام وخرج بالمؤمنين الكافران لأنهما مشغولان بالعذاب بل جعل ابن القيم الكلام في الأرواح المنعمة قال أما المعذبة ولو من المؤمنين فهم في شغل بما هم فيه عن التلاقي فالمنعمة المحبوسة هي التي تتلاقى وتزاور وتتذكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا ويكون كل ذي روح مع رفيقها الذي على مثل عملها، وعزاه إلى البخاري في الأدب المفرد، والطبراني، وقال: عن ابن عمرو بن العاص. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٢٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٢٧٠) عن يحيى بن سعيد عن زكريا قال: حدثنا عامر قال: سمعت النعمان بن بشير.. به، ومسلم في البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦) بإسناده. ومعنى الحديث: مثل المؤمنين: الكاملين في الإيمان، في توادهم: بشد الدال مصدر تواد أي تحاب، وتراحمهم: أي تلاطفهم وتعاطفهم، قال ابن أبي جمرة: الثلاثة وإن تفاوت معناها بينها فرق لطيف؛ فالمراد بالتراحم: أن يرحم بعضهم بعضا لأخوة الإيمان لا لشيء آخر، وبالتواد التواصل الجالب للمحبة كالتهادي، وبالتعاطف: إعانة بعضهم بعضا، مثل الجسد الواحد: بالنسبة لجميع أعضائه، وجه الشبه فيه: التوافق في التعب والراحة. إذا اشتكى: أي مرض، منه عضو تداعى: من الدعوة، له سائر الجسد: أي باقيه، بالسهر: ترك النوم، والحمى: حرارة غريبة تشتعل في القلب فتنبث به في جميع البدن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٣٧.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥ / ٦٩) عن أبي زرعة قال: حدثنا سوار بن عمارة الرملي قال: حدثنا زهير بن محمد عن ابى حازم.. به، والكبير (٦ / ١٣١) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٨٧) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٦١.

– وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « المؤمن مؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف »[(١)].

– وتفرض الأخوة الإيمانية أن يكون المؤمن أمينا على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم، وذلك لقول الحق جلَّ وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٧).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ (المعارج: ٣٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ (النساء: ٥٨).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (البقرة: ٢٨٣).

ونجد ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمهاجر من هجر الخطايا و الذنوب »[(٢)].

– وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم »[(٣)].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٤٠٠) عن هارون بن معروف قال: عبد الله وسمعته أنا من هارون قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: أخبرني أبو صخر عن أبي حازم عن أبي صالح.. به. قال المناوي في فيض القدير (٦ / ٢٥٣): المؤمن يألف لحسن أخلاقه وسهولة طباعه ولين جانبه فالمؤمن يألف الخير وأهله ويألفونه بمناسبة الإيمان ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف لضعف إيمانه وعسر أخلاقه وسوء طباعه والألفة سبب للاعتصام بالله وبحبله وبه يحصل الإجماع بين المسلمين وبضده تحصل النفرة بينهم. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٧١.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن ماجه في الفتن، (٣٩٣٤) عن الربيع بن سليمان المؤذن حدثنا ابن وهب عن سليمان يعني ابن بلال عن كثير بن زيد عن الوليد ابن رباح.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٢٦٨) وقال: روى ابن ماجة منه المؤمن من أمنه الناس والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب فقط رواه البزار والطبراني في الكبير باختصار ورجال البزار ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٧٦.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٧٩) عن قتيبة حدثنا ليث بن سعد عن ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح.. به، والترمذي في الإيمان، (٢٦٢٧) بإسناده، والنسائي في السنن الكبرى (١١٧٢٦) >

– وعن عامر قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »[(١)].

– وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، وأشار إلى القلب، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »[(٢)].

– وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « المؤمن من آمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوايقه » [(٣)].

– وعن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: « ألا أخبركم بالمؤمن، من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب »[(٤)].

> بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ٥٤) بإسناده، وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٣٩.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ١٦٣) عن يحيى عن إسماعيل حدثنا عامر.. به، وأبو داود في الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت (٢٤٨١) بإسناده، والنسائي في الإيمان وشرائعه، باب صفة المؤمن (٤٩٩٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٤٠.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الترمذي في البر والصلة، (١٩٢٧) عن عبيد بن أسباط بن محمد القرشي حدثني أبي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح.. به، وقال: هذا حديث حسن غريب وفي الباب عن علي وأبي أيوب. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٤٧.

(٣) حديث صحيح الإسناد ز أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٢٠٦) عن قتيبة حدثنا ليث بن سعد عن ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح.. به، وابن حبان في صحيحه (١ / ٤٠٦) بإسناده، والنسائي في الإيمان وشرائعه، (٤٩٩٥) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ٥٥) بإسناده، وصححه. ووافقه الذهبي. وأبو يعلى في مسنده (١ / ٢٠٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٤٨.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١١ / ٢٠٤) عن محمد بن عبد الله بن الجنيد قال: أخبرنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله قال: أخبرنا الليث بن سعد قال: حدثني أبو هانئ الخولاني عن عمرو بن مالك الجنبي قال: حدثني فضالة.. به، والطبراني في المعجم الكبير (١٨ / ٣٠٩) بإسناده، وا لحاكم في المستدرك (١ / ٥٤) بإسناده، وصححه على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. ومعنى الحديث: المسلم الكامل في الإسلام من سلم المسلمون وغيرهم من أهل الذمة من لسانه ويده؛ وقد خصا بالذكر لأن الأذى بهما أغلب، وقدم اللسان؛ لأكثرية الأذى به، ولكونه المعبر عما في الضمير، وعبر به دون القول؛ ليشمل من أخرج لسانه استهزاء، وباليد دون بقية الجوارح؛ ليدخل اليد المعنوية كالاستيلاء على حق الغير ظلما، وأما إقامة الحد والتعزير فبالنظر إلى المقصود الشرعي >

- وعن جابر قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله أي الصلاة أفضل قال: طول القنوت قال: يا رسول الله وأي الجهاد أفضل قال: من عقر جواده وأريق دمه قال: يا رسول الله أي الهجرة أفضل قال: من هجر ما كره الله عز وجل قال: يا رسول الله فأي المسلمين أفضل قال: « أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده »(١).

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ: « لقد شرفك الله وعظمك والمؤمن أعظم حرمة منك يعني الكعبة »(٢).

- وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: « المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي أشرف له طمع تركه لله عز وجل »(٣).

> إصلاح ولو مآلا لا أبدا وفيه من أنواع البديع جناس الاشتقاق، والمهاجر: أي هجرة تامة فاضلة، من هجر أي ترك ما نهى الله عنه؛ أي ليس المهاجر حقيقة من هاجر من بلاد الكفر بل من هجر نفسه وأكرهها على الطاعة وحملها تجنب المنهي؛ لأن النفس أشد عداوة من الكافر لقربها وملازمتها وحرصها على منع الخير، فالمجاهد الحقيقي من جاهد نفسه واتبع سنة نبيه واقتفى طريقه في أقواله وأفعاله على اختلاف أحواله بحيث لا يكون له حركة ولا سكون إلا على السنة، وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٤٩.

(١) حديث صحيح الإسناد ز أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٩١) عن حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة حدثنا ابن أبي ليلى عن أبي الزبير.. به، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٢٤) بإسناده، والخرائطي في مكارم الأخلاق (١/ ٨٩) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٤٩) عن يحيى بن عثمان بن صالح ثنا عمرو بن خالد الحراني ثنا محمد بن سلمة الحراني عن بكر بن خنيس عن أبي بدر عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال ثم كانت في نفسي مسألة قد احزنتني لم اسأل رسول الله ﷺ عنها ولم اسمع أحدا يسأله عنها فكنت أتحينه فدخلت ذات يوم وهو يتوضأ فوافقته على حالين كنت أحب أن أوافقه عليهما وجدته فارغا طيب النفس فقلت يا رسول الله ائذن لي فأسألك قال نعم سل عما بدا لك قلت يا رسول الله ما الإيمان قال السماح والصبر قلت ونصف المؤمنين افضلهم إيمانا قال احسنهم خلقا قلت فأي المسلمين أفضل إسلاما قال:..به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٥٠.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٣٦) عن محمد بن عبد الله الحضرمي قال: ثنا القاسم بن دينار قال: ثنا إسحاق بن منصور قال: ثنا خالد العبد عن عبد الكريم الجزري.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨١٧.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٨) عن عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى بن غيلان ثنا رشدين قال: ثنا عمرو بن الحرث عن أبي السمح عن أبي الهيثم.. به، والحكيم الترمذي في نوادره (٣/ ١٧٢) بإسناده، وقال: فهذه ثلاثة منازل للإيمان المنزلة الأولى نزلها صنف آمنوا بالله إيمان طمأنينة لا ريب فيه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله بأداء الفرائض واجتناب المحارم إلا أن الرغبة فيهم باقية ومن كانت الرغبة فيهم باقية فالخيانة فيهم كائنة فإن الله تعالى أعطى الخلق الأرواح بما فيها من الحياة عارية <

- ومن حق الأخوة الإيمانية التناصح والتكافل لأن هذا يضع قواعد متينة لأساسيات الشورى والسلام الاجتماعى بما يحقق للأمة حفظ مواردها في جميع المجالات، لأن الشورى هي محصلة الآراء والخبرات، مما يوفر الوقت والجهد ومصادر الثروة الاقتصادية كما أن السلام الاجتماعى يساعد الأمة على مواجهة كل التحديات.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٧١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى:٣٨).

> وأعطاهم الدنيا عارية ووضعها ممرا للعباد ومتزودا فمن اشتغل قلبه بالتمتع صيره كالمستقر وإنما جعلها للزوال والانتقال عنها فمن تشبث بالحياة ولا يريد مفارقتها وفر من الموت فقد خان لأن العارية إذا امتنع صاحبها من الخروج منها إلى مالكها قهر وسلب وسمي بامتناعه خائنا فكذا الدنيا وضعت ممرا ومتزودا فمن صيرها مستقرا سلب يوم الخروج منها وهو خائن وهو مع هذه الخيانة يقوم بأداء الفرائض بلا توفير وباجتناب المحارم بلا تقوى وصيانة إنما التقوى إذا خرجت شهوة تلك الأشياء من قلبه وإنما اجتنب من خوف العقاب غدا من غير أن يلتفت إلى صيانة المعرفة التي في قلوبهم فإن قال له علام الغيوب غدا إن معرفتي كانت خلعتي على قلبك فاجتنب محارمي شفقة على جلدك ولحمك ولم تلتفت إلى خلعتي فتخاف عليها الدنس والغبار وقد عظم عندك شأن جسدك وجل قدره فباليت به واجتنبت المحارم توقيا عليه لا على خلعتي التي بها طاب جسدك فماذا يقول هذا العبد فهذا من دناءة المنزلة. المنزلة الثانية من الإيمان صنف زالت عنهم رغبتهم فاشتاقوا إلى دار الله فاطمأنت نفوسهم وطابت أروحهم فأمنهم الخلق على أموالهم وأنفسهم ولم يأمنوا على أديانهم فلا تقبل القلوب منهم مواعظهم وإشارتهم إلى الله وإنما أمنهم الناس للأمانة التي في جوف إيمانهم ولأن أرواح يتعارفون بما تضمنه من روح الإيمان فإذا عاينوا الحق في فعل عامل به إستنارت له قلوبهم وعرفوا أنه الحق فأمنت قلوب الخلق واطمأنت نفوسهم إلى ما عندهم قد أمنوا على النفوس والأموال ولم يأمنوا منه على الدين والمنزلة الثالثة من الإيمان فهم قوم بلغوا ذروة الإيمان وسماه ﷺ ذروة لأنه شبه الإيمان بالجبل والنفس كريشة طياشة تهب بها الريح فكلما كان الجبل أثقل كانت الريشة أسكن حتى إذا بلغ العبد ذروة الإيمان كان كأنه على قلة جبل والنفس تحته مضغوطة لا يقدر على التحرك فلا يزال كذلك تحت أثقال المعرفة حتى تصفو من عصارتها وتسيل منها تلك الفضول وتيبس عن رطوبة الشهوات كما يبس الكسب الذي قد عصر تحت الأثقال حتى سال دهنه وبقي ثفله يابسا فعند ذلك تجدها قد ماتت شهواتها وخمدت نيرانها خمودا افتقد حرها. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٢٤.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « المؤمن مرآة المؤمن »(١).

– وعن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال: « المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه »(٢).

– وعن صفية ودحيبة ابنتا عليبة وكانتا ربيبتي قيلة بنت مخرمة وكانت جدة أبيهما أنها أخبرتهما قالت: قدمنا على رسول الله ﷺ قالت: تقدم صاحبي تعني حريث بن حسان وافد بكر بن وائل فبايعه على الإسلام عليه وعلى قومه ثم قال: يا رسول الله اكتب بيننا وبين بني تميم بالدهناء أن لا يجاوزها إلينا منهم أحد إلا مسافر أو مجاور فقال: اكتب له يا غلام بالدهناء فلما رأيته قد أمر له بها شخص بي وهي وطني وداري فقلت يا رسول الله إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك إنما هي هذه الدهناء عندك مقيد الجمل ومرعى الغنم ونساء بني تميم وأبناؤها وراء ذلك فقال: أمسك يا غلام صدقت المسكينة: « المسلم أخو المسلم يسعهما الماء والشجر ويتعاونان على الفتان »(٣).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه المعجم الأوسط (٢/ ٣٢٥) عن أحمد قال: نا العباس بن محمد بن حاتم قال: نا عثمان بن محمد بن عثمان العثماني قال: نا محمد بن عمار بن سعد المؤذن قال: نا شريك ابن عبد الله بن أبي نمر.. به، والشهاب المقدسي في مسنده (١/ ١٠٦) بإسناده. وقال المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٥١) المؤمن مرآة المؤمن: أي يبصر من نفسه بما لا يراه بدونه ولا ينظر الإنسان في المرآة إلا وجهه ونفسه ولو أنه جهد كل الجهد أن يرى جرم المرآة لا يراه لأن صورة نفسه حاجبة له وقال الطيبي إن المؤمن في إراءة عيب أخيه إليه كالمرآة المجلوة التي تحكي كل ما ارتسم فيها من الصور ولو كان أدنى شيء فالمؤمن إذا نظر إلى أخيه يستشف من وراء حاله تعريفات وتلويحات فإذا ظهر له منه عيب قادح كافحه فإن رجع صادقه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٦٧٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٩٣) عن إبراهيم بن حمزة قال: حدثنا بن أبى حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح.. به، وأبو داود في الأدب، (٤٩١٨) عن الربيع بن سليمان المؤذن حدثنا ابن وهب عن سليمان يعني ابن بلال عن كثير بن زيد عن الوليد ابن رباح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ :... به. قال المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٥٢): يكف عليه ضيعته: أي يجمع عليه معيشته ويضمها له وضيعة الرجل ما منه معاشه ويحوطه من ورائه أي يحفظه ويصونه ويذب عنه ويدفع عنه من يغتابه أو يلحق به ضررا ويعامله بالإحسان بقدر الطاقة والشفقة والنصيحة وغير ذلك قال بعض العارفين كن رداء وقميصا لأخيك المؤمن وحطه من ورائه واحفظه في نفسه وعرضه وأهله فإنك يتحقق بالنص القرآني فاجعله مرآة ترى فيها يزيل عنك كل أذى تكشفه لك المرآة فأنزل عنه كل أذى به عن نفسه.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة، باب في إقطاع الأرضين (٣٠٧٠) عن حفص بن عمر وموسى بن إسمعيل المعنى واحد قال: حدثنا عبد الله بن حسان العنبري حدثتني جدتاي صفية ودحيبة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٤٦.

- وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: « إن المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم »[1].

- ومن حق الأخوة الإيمانية أن يكون المؤمن سهلا في البيع والشراء والاقتضاء لتحقيق المرونة في المعاملات، وتلك المرونة هي أساس تيسير الإجراءات التي تحقق التقدم في جميع المجالات. قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف:٨٥).

ونجد ذلك في الحديث التالي:

- عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: « أفضل المؤمنين رجل سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء سمح الاقتضاء »[2].

- وفي ختام صفات المؤمنين نجد أن الرسول ﷺ قد شبه المؤمنين بتشبيهات طيبة كثيرة وتلك التشبيهات نابعة من تشبيهات الحق لهم في آيات متعددة نذكر منها قوله تعالى:

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٢٧) عن أبي زكريا بن أبي إسحاق أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب نا محمد بن عبدالوهاب نا عمارة بن عبدالجبار عن شعبة حدثني الأعمش عن يحيى بن وثاب.. به، قال المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٥٥): وقال الذهبي في الزهد مخالطة الناس إذا كانت شرعية فهي من العبادة وغاية ما في العزلة التعبد فمن خالطهم بحيث اشتغل بهم عن الله وعن السنن الشرعية فذا بطال فليفر منهم واستدل به البعض على أن حج التطوع أفضل من صدقة النفل لأن الحج يحتاج لمخالطة الناس قال حجة الإسلام وللناس في العزلة والمخالطة أيهما أفضل مع أن كلا منهما لا ينفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وميل الشافعي وأحمد إلى مقابله واستدل كل لمذهبه بما المطلوب والإنصاف أن الترجيح باختلاف الناس فقد تكون العزلة لشخص أفضل والمخالطة لآخر أفضل فالقلب المستعد للإقبال على الله المنتهي لاستغراقه في شهود الحضرة العزلة له أولى والعالم بدقائق الحلال والحرام مخالطته للناس ليعلمهم وينصحهم في دينهم أولى وهكذا ألا ترى إلى تولية النبي ﷺ لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما من أمرائه وقوله لأبي ذر إني أراك رجلا ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تتأمر على اثنين الحديث. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٦٩.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢٩٧) عن محمد بن إبراهيم ثنا الشاذكوني ثنا سلم بن قتيبة نا عبد الله ابن الهدادي وكان ثقة عن أبي العلاء سمع أبا سعيد الخدري.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ٧٥) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٠٥.

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح:٢٩).

ونجد ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي رزين إذنه أن رسول الله ﷺ قال: « المؤمن كمثل النحلة لا تأكل إلا طيبا ولا تضع إلا طيبا »(١).

- وعن أبي بن كعب أنه دخل رجل على النبي ﷺ فقال: متى عهدك بأم ملدم وهو حر بين الجلد واللحم قال: إن ذلك لوجع ما أصابني قط قال رسول الله ﷺ: « مثل المؤمن مثل الخامة تحمر مرة وتصفر أخرى، والكافر كالأرزة »(٢).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء »(٣).

- وعن أنس بن مالك أن أبا موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: « مثل المؤمن الذي يقرأ القرأن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩ / ٢٠٤) عن أبي مسلم الكشي ثنا حجاج بن نصير ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال: سمعت وكيع بن عدس يحدث عن عمه.. به، وابن حبان في صحيحه (١ / ٤٨٢) بإسناده، وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٢٩.

(٢) حديث صحيح الإسناد. (أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٤٥٤) عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أمية عمن حدثه عن أم ولد أبي بن كعب.. به. قال المناوي في فيض القدير (٥ / ٥١٢): مثل المؤمن مثل الخامة وهي الطاقة الغضة اللينة من النبات التي لم تشتد بعد وقيل ما لها ساق واحد وألفها منقلبة عن واو تحمر مرة وتصفر أخرى والكافر كالأرزة بفتح الراء شجرة الأرز وبسكونها الصنوبر. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٣١.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في المرضى، (٥٦٤٤) عن إبراهيم بن المنذر قال: حدثني محمد بن فليح قال: حدثني أبي عن هلال بن علي من بني عامر بن لؤي عن عطاء بن يسار.. به. قال المناوي في فيض القدير (٢ / ٥١٣): والمعنى أن المؤمن كثير الآلام في بدنه وأهله وماله وذا مكفر لسيئاته رافع لدرجاته والكافر قليلها وإن حل به شيء لم يكفر بل يأتي بها تامة يوم القيامة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٣٣.

كمثل التمر لا ريح لها وطعمها حلو و مثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر »(١).

- وعن أبي سبرة الهذلي سمع عبد الله بن عمرو يقول عن النبي ﷺ قال: « مثل المؤمن كمثل النحلة، إن أكلت أكلت طيبا، وإن وضعت وضعت طيبا، وإن وقعت على عود نخر لم تكسره، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب، إن نفخت عليها احمرت وإن وزنت لم تنقص »(٢).

- وعن محارب بن دثار قال: سمعت ابن عمر يحدث عن النبي ﷺ انه قال: « مثل الرجل المسلم مثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات هي النخلة »(٣).

- وعن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: « مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا ووضعت طيبا ووقعت فلم تفسد ولم تكسر، ومثل العبد المؤمن مثل القطعة الجيدة من الذهب نفخ عليها فخرجت طيبة ووزنت فلم تنقص »(٤).

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٩٧) عن روح حدثنا سعيد عن قتادة قال: ثنا أنس بن مالك.. به، والبخاري في الأطعمة، أب فضل القرآن على سائر الكلام (٥٤٢٧) بإسناده، ومسلم في صلاة المسافرين [باب فضيلة حافظ القرآن (٧٩٧) بإسناده، وأبو داود في الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (٤٨٢٩) بإسناده، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه (٢١٤) بإسناده. والبيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٣٣٧) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٣٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥ / ٥٨) عن سلام بن سليمان عن شعبة أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عمرو الدقاق ثنا محمد بن عيسى المدايني ثنا سلام بن سليمان عن أبي عبد الله الحافظ أنا أبو عمرو الدقاق ثنا محمد بن عيسى المداين ثنا سلام بن سليمان ثنا شعبة فذكره بإسناده مرفوعا ورواه عبد الله بن بريدة عن الحصين كذا وجدته.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٣٥.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٧/ ٤٥٤) عن أبي بكر البرقاني حدثني أبو بكر محمد بن إسماعيل الوراق حدثنا أبي وأبو عيسى الحسن بن يحيى بن زهير المقرىء قال: حدثنا العباس بن محمد بن حاتم حدثنا عيسى بن يزيد الواسطي صاحب البوادي حدثنا شعبة مثل حديث قبله.. به، وباختلاف يسير في اللفظ: البخاري في تفسير القرآن، باب ما لا يستحيا من الحق للتفقه في الدين (٤٦٩٨) بإسناده.وقوله: يتحات: أي يتساقط. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٩١.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه الرامهرمزي في الأمثال (١ / ٦٧) عن موسى بن زكريا ثنا أزهر بن مروان ثنا داود بن الزبرقان ثنا مطر الوراق عن عبد الله بن بريدة الأسلمي عن يحيى بن يعمر أن أبا سبرة قال: لعبيد الله ابن زياد حدثني عمرو بن العاص..به، والحاكم في المستدرك (١ / ١٤٧) عن أبي العباس محمد بن يعقوب ثنا أبو البختري عبد الله بن محمد بن شاكر ثنا أبو أسامة حدثني الحسين المعلم وأخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي واللفظ له ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا بن أبي عدي عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة قال ثم ذكر لي أن أبا سبرة بن سلمة الهذلي سمع بن زياد يسأل عن الحوض حوض محمد ﷺ فقال حقا بعدما سأل أبا برزة الأسلمي والبراء بن عازب وعائد بن عمرو فقال ما أصدق هؤلاء فقال أبو سبرة ألا أحدثك بحديث شفاء بعثني أبوك بمال إلى معاوية >

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: « والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن كمثل القطعة من الذهب ينفخ عليها صاحبها لم تتغير ولم تنقص والذي نفسي بيده إن مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا وضعت طيبا لم تكسر ولم تفسد »[١]..

- وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « مثل المؤمن القوي كمثل النخلة ومثل المؤمن الضعيف كمثل خامة الزرع »[٢].

> فلقيت عبد الله بن عمرو فحدثني بفيه وكتبته بقلمي ما سمعه من رسول الله ﷺ فلم أزد حرفا ولم أنقص حدثني أن رسول الله ﷺ قال إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة ويخون الأمين ويؤتمن الخائن ومثل المؤمن:.. به، وقال: هذا حديث صحيح فقد اتفق الشيخان على الاحتجاج بجميع أبي سبرة الهذلي وهو تابعي كبير مبين ذكره في المسانيد مطعون فيه وله شاهد من حديث قتادة عن أبي بريدة، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (٥ / ٥٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٩٢.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥ / ٥٨) عن أبي عبد الله الحافظ أخبرني عبدالرحمن بن الحسن الهمداني ثنا إبراهيم بن الحسين ثنا آدم ثنا شعبة ثنا يعلى بن عطاء قال: سمعت أبي يحدث.. به، وقال الشيخ هذا هو المحفوظ بهذا الإسناد موقوف وقد رفعه سلام بن سليمان عن شعبة أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عمرو الدقاق ثنا محمد بن عيسى المدايني ثنا سلام بن سليمان عن أبي عبد الله الحافظ أنا أبو عمرو الدقاق ثنا محمد بن عيسى المداين ثنا سلام بن سليمان ثنا شعبة فذكره بإسناده مرفوعا ورواه عبد الله بن بريدة عن الحصين كذا وجدته عن أبي سبرة الهذلي سمع عبد الله بن عمرو يقول عن النبي ﷺ قال:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٩٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الرامهرمزي في الأمثال (١ / ٧٩) عن عبد الله بن أحمد بن موسى ثنا سليمان بن أيوب ثنا حماد بن زيد عن علي بن سويد بن منجوف عن أبي رافع.. به. وقوله: خامة الزرع أي الطاقة الطرية اللينة أو الغضة وهي بخاء معجمة وتخفيف الميم أول ما ينبت على ساق ونقل ابن التين عن القزاز أنها بمهملة وقاف وفسرها بالطاقة من الزرع وذكر ابن الأثير أنها خاقة بخاء معجمة وقاف قال الحافظ ما لان وضعف من الزرع الغض ولحوق الهاء على تأويل السنبلة من حيث أتتها الريح كفتها بتسهيل الهمزة والمعنى أمالتها وفي رواية كفأتها وفي رواية تفيئها الرياح أي تحركها الأبوية يمنة ويسرة وأصل التفيئة إلقاء الفيء على الشيء وهو الظل فالريح إذا أمالتها إلى جانب ألقت ظلها عليه.، والديلمي في مسند الفردوس (٤ / ١٣١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٧٩٥.

الفصل الثامن

في صفات المنافقين

من أخطر الأمراض الاجتماعية وأشدها فتكا بأي أمة هو مرض النفاق الاجتماعي، لأنه يؤدي إلى خلل واضطراب في المنظومة الخلقية والقيمية للمجتمع، كما يؤدي إلى شيوع وانتشار صور الثنائية والازدواجية، والتناقض بين الأقوال والأفعال، وهو ما حذر منه المولى عزَّ وجلَّ أشد تحذير.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف ٢-٣).

إن النفاق يؤدي إلى حالة انفصام بين المفروض والواقع مما يؤدي إلى تهوين شأن المبادئ وفقدان الثقة في الآخرين، وضياع المعالم الإيمانية للأمة الإسلامية، لذلك حرصت الشريعة أشد الحرص على معالجة ذلك المرض الخطير الذي يؤدي إلى تقويض بنيان الأمة فالنفاق ليس قضية أخلاقية فردية كما يظن البعض، بل هو قضية تتعلق بمصير الأمة جمعاء ولذلك فقد جعل المولى جل شأنه مصير المنافقين أسوأ مصير فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (النساء:١٤٥).

ووضع الرسول ﷺ صفات للمنافقين لتكون علامات على الطريق تساعد البعض على تخلصهم من أي صفة من صفات النفاق، ليصحح مساره على طريق الإيمان، وفي نفس الوقت تحذر الآخرين من المنافقين، حتى لا تتعرض الأمة إلى انهيار دعائم الحق والعدل.

ونعرض صفات المنافقين في هذا الفصل فيما يلي:

- من صفات المنافقين، الكذب في الحديث، والكذب في الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور عند الخصام، وهذا ضد المبادئ الإيمانية من الصدق في الحديث القائم على أمانة الكلمة ومسئوليتها، ومن الوفاء بالعهود، وأداء الأمانات إلى أصحابها، ومن العفو عند المقدرة وكل مبادئ الإسلام السامية.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون:١-٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة:٨-١٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (البقرة:٢٠٤-٢٠٦).

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء:٨١).

وقال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (النساء:١٠٨).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان »[١].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦ / ٨٥) عن عن أبي عبد الله الحافظ أنبأ أبو بكر بن إسحاق الفقيه ثنا يوسف بن يعقوب ثنا أبو الربيع ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا نافع بن مالك بن أبي عامر أبو سهيل عن أبيه.. به، والنسائي في السنن الكبرى (١١١٢٧) بإسناده، والترمذي في الإيمان، باب ما جاء في علامة المنافق (٢٦٣١) بإسناده. قال المناوي في فيض القدير (١ / ٦٣): آية المنافق: أي علامته ثلاث من الخصال، أخبر عن آية بثلاث باعتبار إرادة الجنس أي كل واحد منها أو لأن مجموع الثلاث هو الآية، الأولى: إذا حدث كذب: أي أخبر بخلاف الواقع، و الثانية: إذا وعد – أحدا بخير في المستقبل – أخلف: أي جعل الوعد خلافا بأن لا يفي به لكن لو كان عازما على الوفاء فعرض مانع فلا إثم عليه كما يجيء في خبر أما الشر فيندب إخلافه بل قد يجب ما لم يترتب على ترك إخلافه مفسدة، و الثالثة: إذا ائتمن – بصيغة المجهول أي جعل أمينا، وفي رواية بتشديد التاء بقلب الهمزة الثانية >

– وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر »[١].

– وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر »[٢].

– وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وقال إني مؤمن إذا حدث كذب وإذا ائتمن خان وإذا وعد أخلف »[٣].

> واوا وإبدال الواو تاء والإدغام المطلوب في أمانته أي تصرفه فيها على خلاف الشرع ونقص ما ائتمن عليه ولم يؤده كما هو وصح عطف الوعد على ما قبله لأن إخلاف الوعد قد يكون بالفعل الكذب الذي هو لازم التحديث فتغايرا أو جعل الوعد حقيقة أخرى خارجة عن التحديث على وجه الادعاء لزيادة قبحه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٨٢.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ١٨٩) عن محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان وابن نمير قال أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٢٣٠) بإسناده، والبخاري في الإيمان، باب علامة المنافق (٣٤) بإسناده، ومسلم في الإيمان، باب بيان خصال المنافق (٥٨) بإسناده، والترمذي في الإيمان، باب ما جاء في علامة المنافق (٢٦٣٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٤٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٧٤) عن أبي عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري ثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٤٩.

(٣) حديث حسن. أخرجه ابن منده في الإيمان (٢ / ٦٠٦) عن خيثمة بن سليمان ثنا أبو قلابة عبدالملك بن محمد الرقاشي وأنبأ محمد بن سعد وأحمد بن إسحاق قال: ثنا محمد بن أيوب ثنا أبو سلمة وعلي بن عثمان ح وأنبأ أحمد بن عبيد الحمصي ثنا أحمد بن علي بن سعيد ثنا عبدالأعلى بن حماد قالوا ثنا حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب.. به، وقال: اسناده صحيح. قال المناوي في فيض القدير (٣/ ٣٠٨): ثلاث من كن فيه فهو منافق أي حاله يشبه حال المنافق، وإن صام رمضان وصلى الصلوات المفروضة وحج البيت واعتمر: أي وإن عمل أعمال المسلمين من صلاة وصوم وحج واعتمار وغيرها من العبادات، وهذا الشرط اعتراضي وأراده للمبالغة، وقال إني مسلم: إذا حدث كذب في حديثه، وإذا وعد أخلف فيما وعد، وإذا ائتمن المطلوب فيما جعل أمينا عليه. وقد عزاه المناوي ألى رسته في كتاب الإيمان وأبو الشيخ في كتاب التوبيخ كلاهما عن أنس بن مالك ورواه عنه أيضا أبو يعلى باللفظ المزبور لكن بدون حج واعتمر والباقي سواء فلو عزاه له ثم قال وزاد فلان وحج واعتمر لكان أقعد وأجود. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٦٥.

- ومن علامات المنافقين القول بدون الفعل وهذا أخطر المعاول التي تهدم الأمة الإسلامية ولذلك حذر منه المولى تحذيرا بالغا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف:٢-٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة:٨-٩).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي يحيى قال: سئل حذيفة من المنافق، قال: الرجل يتكلم الإسلام ولا يعمل به [١].

- وعن أبي يحيى قال: سئل حذيفة من المنافق قال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به [٢].

- ومن سمات من دخل النفاق قلبه التهاون في أداء شعائر الإسلام: ولذلك لا يقبل الله صلاته ولا زكاته ولا جهاده، لأن كل هذا رياء لا يصحبه صدق النية والعزيمة. قال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (النساء:١٠٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ (النساء:١٤٢-١٤٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (آل عمران:١٦٧-١٦٨).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الفريابي في صفة المنافق (١ / ٦٦) عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن الأعمش وسفيان عن أبي المقدام ثابت بن هرمز.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦١٣.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٨٤) عن وكيع قال: حدثنا الأعمش عن ثابت بن هرمز أبي المقدام.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦١٤.

ونرى هذا في الحديث التالي:

- عن معاوية الهذلي وكان من أصحاب النبي ﷺ، قال إن المنافق ليصلي فيكذبه الله ويتصدق فيكذبه الله ويقاتل فيقتل فيجعل في النار[1].

- ومن صفات المنافقين أنهم لا يعرفون الصراط المستقيم، لأنهم ليس لهم طريق واضح ينبع من الإيمان الراسخ بالحق، بل عندهم ازدواج في الشخصية ناتج من زيغ العقيدة في قلوبهم. فالمنافقون لا يعلمون شيئا حقيقيا عن الدين لأن الزيغ الذي في قلوبهم يبعدهم عن طريق الحق، فلو علموا لاستجابوا، ولكنهم يدَّعون المعرفة مع أمراض قلوبهم.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون: ٣).

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (الروم: ٧) ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (النور: ٤٧-٥٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة لا تدري أيهما تتبع»[2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الفريابي في صفات المنافقين (١ / ٥٩) عن ميم بن المنتصر حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حريز بن عثمان أخبرنا عن سليم بن عامر.. به، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧ / ٤٢٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٢٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٤٧) عن عبد الله قال: وجدت في كتاب أبي حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا عبيد الله عن نافع.. به، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٨٤) بإسناده، والنسائي في الإيمان وشرائعه، باب مثل المنافق (٥٠٣٧) بإسناده. قال المناوي فيض القدير (٥ / ٥١٥): مثل المنافق كمثل الشاة العائرة: بعين مهملة المترددة المتحيرة، قال التوربشتي وأكثر استعماله في الناقة وهي التي تخرج من إبل إلى أخرى ليضربها الفحل ثم اتسع في المواشي بين الغنمين أي القطيعين من الغنم قال الطيبي: شبه تردده بين المؤمنين والكافرين تبعا لهواه وقصدا لأغراضه الفاسدة كتردد الشاة الطالبة للفحل فلا تستقر على حال ولذلك وصفوا في التنزيل ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (النساء ١٤٣). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٥٢.

– وعن عائشة قالت: قال النبي ﷺ ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا قال الليث كانا رجلين من المنافقين حدثنا يحيى ابن بكير حدثنا الليث بهذا وقالت: دخل علي النبي ﷺ يوما وقال: «ما أظن فلانا وفلانا يعلمان من ديننا شيئا»[١].

– ومن الفروق الفاصلة بين المؤمنين والمنافقين هي مدى الاهتمام بصلاة العشاء والصبح في جماعة، حيث تلك الأوقات لها قدسيتها الشرعية، ومدح الله بها عباده المؤمنين، الذين يذكرون الله في تلك الأوقات ويسبحونه، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ (النور:٣٦).

وقال تعالى:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنعام:٥٢).

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (الكهف:٢٨).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن عبد الرحمن بن حرملة ثم أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح لا يستطيعونها»[٢].

– ومن صفات المنافقين المعاندين الذين لا يرجى منهم الخير، حيث طبع النفاق في قلوبهم، أنه لا أمل لهم في دخول جنة الله حتى يدخل الجمل في سم الخياط حيث حرمها الله عليهم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٤٠).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الأدب، (٦٠٦٨) عن سعيد بن عفير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٥٩.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الشافعي في مسنده (١/ ٥٢) عن مالك.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٦٨.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن قيس بن عباد قال: قلت لعمار أرأيت قتالكم رأيا رأيتموه قال حجاج أرأيت هذا الأمر يعني قتالهم رأيا رأيتموه فإن الرأي يخطئ ويصيب أو عهد عهده إليكم رسول الله ﷺ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس كافة وقال إن رسول الله ﷺ قال: إن في أمتي قال: شعبة ويحسبه قال: حدثني حذيفة: « إن في أصحابي اثني عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط »[1].

- وعن قيس قال: قلت لعمار أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي أرأيا رأيتموه أو شيئا عهده إليكم رسول الله ﷺ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس كافة ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « إن في أمتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم »[2].

- ولا يعني استغفار الرسول ﷺ لبعض منهم أنهم يدخلون الجنة، ولكنه الرحمة المهداة إلى البشرية جمعاء. قال تعالى:

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ (التوبة:٨٠).

وهذا نجده في الحديث التالي:

- عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا وكذا كذا وكذا يعد أيامه قال:

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣١٩) عن محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحجاج قال: حدثني شعبة قال: سمعت قتادة يحدث عن أبي نضرة قال حجاج سمعت أبا نضرة.. به، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٧٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٥٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في صفات المنافقين (٢٧٧٩) عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا أسود بن عامر حدثنا شعبة بن الحجاج عن قتادة عن أبي نضرة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٥٧.

ورسول الله ﷺ يتبسم حتى إذا أكثرت عليه قال: « أخر عني يا عمر إني خيرت بين أمرين فاخترت، قد قيل لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لو أني أعلم لو زدت على السبعين غفر لهم لزدت »[١].

– ونتيجة لما سبق من صفات المنافقين، ومدى ضررهم على الأمة جمعاء، فقد حرمت الشريعة حبهم أو احترامهم لأن هذا يضيع مهابة الدين في النفوس، ويزلزل المبادئ في قلوب ضعفاء الإيمان.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران:١١٨-١٢٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:.

– عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن نبي الله ﷺ قال: « لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم »[٢].

– وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :.. به « إذا قال الرجل للمنافق يا سيدنا فقد أغضب ربه »[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة (٢٧٧٤) عن عبد بن حميد حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن إسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة.. به، والنسائي في الجنائز، باب الصلاة على المنافقين (١٩٦٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٥٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٦) عن عفان حدثني معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة.. به، وأبو داود في الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي (٤٩٧٧) بإسناده، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٠٧٣) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٦٠.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٧) عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عمرويه البزاز ببغداد ثنا محمد بن إسحاق ثنا الحسن بن موسى الأشيب ثنا عقبة بن عبد ثنا عبد الله بن بريدة.. به، وقال: >

ولذلك يجب التعامل بحذر مع هؤلاء المنافقين حسب درجة نفاقهم:

فالمنافقون الذين يعلنون نفاقهم هم أشد الدرجات فيجب ألا يستغفر لهم المؤمنون ولا يحضرون جنازتهم ولا قبورهم.

قال تعالى:

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة:٨٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (التوبة:٨٤).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن حذيفة قال: المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ إن أولئك كانوا يسرون نفاقهم وإن هؤلاء أعلنوه »[1].

أما المنافقون الذين يسرون نفاقهم فيعاملوا بمعاملة الإسلام الحسنة حتى لا يشيع التفكك في الأمة حيث يجب توافر سعة الصدور في قلوب المؤمنين و ليعلموا أن وجود المنافقين في الأمة لا يعتبر شراً محضاً، بل وجودهم يعتبر تمحيص لعزائم المؤمنين ودفعا لهم إلى جهاد النفس وبالتالي الانتصار على العدو. و ذلك نبعاً من قول الحق جلّ شأنه:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٩٩).

وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ (النساء:٦٣).

> هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ٢٣٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٦١.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٤٨٢) عن وكيع قال: حدثنا الأعمش عن شقيق.. به، و الفريابي في صفة المنافق (١ / ٦٢) عن أبي بكر وعثمان ابنا أبي شيبة قالا حدثنا وكيع بن الجراح عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦١٥.

وقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران:١١٩-١٢٠).

ونرى ذلك في الحديث التالى:

- عن أبي البحتري قال: قال رجل اللهم أهلك المنافقين قال حذيفة: لو هلكوا ما انتصفتم من عدوكم [١].

(١) أثر صحيح الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٨١) عن وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مرة.. به، والفريابي في صفة المنافقين (٧/ ٤٨١). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦١٦.

الباب الثاني

في الاعتصام بالكتاب والسنة

كمنابع للتجديد الفقهي المعاصر

ويشتمل على أربعة فصول وهي:

الفـصـل الأول: فـي الصفات

الفـصـل الثانـي: في قلة الإسلام وغربته

الفـصـل الثالث: في خطرات القلب وتقلبه

الفـصـل الرابع: في الشيطان ووسوسته

الفصل الخامس: في ذم أخلاق الجاهلية والتفاخر بالآباء

الفصل السادس: في المتفرقات



تقديم

إن هذا الباب يتضمن الرد على قضايا عصرية متعددة أدى التهاون في الاهتمام بها على الوجه الصحيح إلى تخلف الأمة الإسلامية وضياع مكانتها في الخيرية العالمية.

ومن القضايا التي يتناولها هذا الباب:

- أهمية الاعتصام بكتاب الله عقيدة ومنهاجا وكيفية التعامل مع المتشابه من الآيات.

- أهمية اتباع السنة الشريفة التي هي الترجمان الحي للقرآن الكريم، ومواجهة الدعوى الهادمة بالاقتصار على القرآن فقط كمصدر للتشريع والاتباع.

- دور سيدنا محمد ﷺ في إنقاذ البشرية من طريق الضلالة، وكيف يستمر هذا الدور إلى يوم الدين.

- كيف تتوحد الأمة الإسلامية لتستعيد مكانتها اللائقة بها ؟

- كيف نتعامل مع التيارات الثقافية المعاصرة ؟

كل هذه القضايا وغيرها تدخل تحت هذا الباب، لأن الاعتصام بالكتاب والسنة هما أساس التقدم والحضارة للأمة الإسلامية، لأنهما مصدر إشعاع نوراني تعجز كل القوانين والمبادئ عن الارتقاء إليهما.. وبقدر التفريط فيهما، أو الزيغ عن مبادئهما القيمة، بقدر تصدع أركان الأمة وتفرقها، وبالتالي تخلفها وضياع ما تتميز به من الخيرية والعزة الإيمانية.

ونتناول فيما يلي النقاط التي يتناولها هذا الباب:

- **أهمية الاعتصام بكتاب الله:** وتنبع تلك الأهمية من قدرته على تحرير الأمة الإسلامية من التشتت بين التيارات الثقافية المعاصرة، فهو يحفظ لها كيانها المتميز وهويتها الإيمانية:

- فالقرآن كتاب لا ريب فيه، فيه تبيان كل شيء، وهدى وبشرى ورحمة لمن يتدبر آياته: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:٢). ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل:٨٩).

- والقرآن يخرج الناس من ظلمات الجاهلية الناتجة عن اتباع الأهواء والشهوات، إلى نور الحق المبين، ويعلمهم الطريق القويم وحكمة الحياة بأبعادها السامية:

قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم:١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ (الجن:١-٢).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة:٢).

- والقرآن يعلو على الكتب السماوية السابقة لأنه يبين لهم ما اختلفوا فيه نتيجة ما اندثر منها، ويحل الأغلال والأثقال التي كانت عليهم:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة:١٥).

- والقرآن يحقق أعلى درجات الفلاح لمن يتدبر آيات الله القرآنية والكونية من أولي الألباب:

قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص:٢٩).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف:٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٧).

و نرى أهمية القرآن العظيم في الأحاديث التالية:

- عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال إني الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود: « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض »(١).

- وعن زيد بن أرقم قال دخلنا عليه فقلنا له قد رأيت خيرا صحبت رسول الله ﷺ وصليت خلفه فقال نعم وإنه خطبنا فقال: « إني تارك فيكم كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة »(٢).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إني قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما ما أخذتم بهما أوعملتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض »(٣).

- وعن زيد بن أرقم قال ثم خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى انتهينا إلى غدير خم أمر بدوح فكسح في يوم ما أتى علينا يوم كان أشد حرا منه فحمد الله وأثنى عليه وقال: « يا أيها الناس إنه لم يبعث نبي قط إلا عاش نصف ما عاش الذي قبله وإني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم ما لن تضلوا بعده كتاب الله »(٤).

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٣٣) ولفظه: زكريا قال حدثنا عطية.. ثم ذكر بقية الحديث، وابن جرير في تفسيره (٤ / ٣١) عن سعيد بن يحيى قال ثنا أسباط بن محمد عن عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ :.. به. قال المناوي في فيض القدير (٤ / ٥٤٨): كتاب الله: أي القرآن، هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض: أي هو الوصلة التي يوثق عليها فيستمسك بها من أراد الرقي والعروج إلى معارج القدس وجوار الحق؛ كأنه قيل: ما السبب الموصل إلى الله الذي في السماء سلطانه ؟ فقال: هو التمسك بالقرآن والسبب في أصل اللغة هو الحبل، وقد عزاه المناوي إلى ابن أبي شيبة وابن جرير الطبري عن أبي سعيد الخدري رمز المصنف لحسنه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٢٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٣٣) عن عفان قال حدثنا حسان بن إبراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان.. به، وابن حبان في صحيحه (١ / ٣٣٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٤٢.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١١٤). عن أبي الحسين بن بشران العدل ببغداد أنبأ أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس ثنا عبد الكريم بن الهيثم أنبأ العباس بن الهيثم ثنا صالح بن موسى الطلحي عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٤٩.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥ / ١٧٨) عن علي بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا كامل أبو العلاء قال سمعت حبيب بن أبي ثابت يحدث عن يحيى بن جعدة.. به. والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٣) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٥٩.

- وعن علي قال قيل يا رسول الله إن أمتك ستفتتن من بعدك: عن علي قال: قيل لرسول الله ﷺ إن أمتك ستفتن من بعدك، فسأل رسول الله ﷺ وسئل ما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[١].

- وعن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أتاني جبريل فقال: يا محمد إن أمتك مختلفة بعدك، قلت: فأين المخرج يا جبريل؟ فقال: كتاب الله به يقصم كل جبار، ومن اعتصم به نجا، ومن تركه هلك، قول فصل ليس بالهزل[٢].

وقد حرص الخلفاء الراشدون حرصا شديدا على أن يكون كتاب الله هو المصدر الأول للتشريع وذلك لأهمية القرآن في حياة الأمة، وتلك الأهمية تنبع من عظمة القرآن وقدرته على الوفاء باحتياجات البشرية حتى قيام الساعة. قال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سبأ:٦).

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (الأنعام:١١٤).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عبيد الله بن أبي زيد قال: كان ابن عباس إذا سئل عن الأمر فإن كان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به، فإن لم يكن في القرآن ولا عن رسول الله ﷺ، وكان عن أبي بكر أو عمر أخبر به، وإن لم يكن في شيء من ذلك اجتهد برأيه[٣].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الدارمي في فضائل القرآن، (٣٣٣٢) .. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٤٧.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٩٥) عن يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق قال وذكر محمد بن كعب القرظي عن الحارث بن عبد الله الأعور قال قلت لآتين أمير المؤمنين فلأسألنه عما سمعت العشية قال فجئته بعد العشاء فدخلت عليه فذكر الحديث قال ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:.. به، والسيوطي في الدر المنثور (٨ / ٤٧٧) وعزاه إلى ابن مردويه عن علي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أتاني جبريل فقال:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٥٣.

(٣) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢ / ٣٦٦) عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال كان بن عباس إذا سئل عن الأمر.. ثم ذكره، والدارمي في المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة (١٦٦) عن عبد الله بن محمد حدثنا ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال كان ابن عباس:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٢٣.

- وعن أبي جحيفة قال: سألت عليا هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء بعد القرآن؟ فقال: ولا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إلا فهم يؤتيه الله رجلا في القرآن أو ما في هذه الصحيفة. قلت : وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر [١].

- وعن عبد الله بن الحسن قال: قال علي في الحكمين: أحكمكما على أن تحكما بكتاب الله، وكتاب الله كله لي. فإن لم تحكما بكتاب الله فلا حكومة لكما[٢].

وينبع من أهمية الاعتصام بكتاب الله، الاهتمام بهدي آل رسول الله رضوان الله عليهم أجمعين، حيث في بيوتهم كان ينزل الذكر الحكيم، وكانوا يشربون من معين النبوة العذب، حيث كان ﷺ قرآنا يمشي على الأرض فهم استقوا روح القرآن و نهجه التطبيقي من الرسول الأمين الذى بلّغ القرآن العظيم عن رب العالمين، و هذا ينبع من قول الحق جل شأنه في مخاطبته لنساء النبي ﷺ ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب:٣٤).

ولذلك نرى الأحاديث الشريفة تقرن بين القرآن وآل البيت كسياج منيع يحمي الأمة من عوامل الهدم.

وتلك الأحاديث هي:

- عن جابر بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: « أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي »[٣].

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في الديات، باب ما جاء لا يقتل مسلم بكافر (١٤١٢) عن أحمد بن منيع حدثنا هشيم أنبأنا مطرف عن الشعبي حدثنا.. به، والبخاري في العلم، باب كتابة العلم (١١١) بإسناده، والنسائي في القسامة، باب سقوط القود من المسلم للكافر (٤٧٤٤) بإسناده، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ١٩٢) بإسناده، وأبو يعلى في مسنده (١ / ٣٥٠) بإسناده. والمنتقى لابن الجارود (١ / ٢٠٠). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٣٥.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣٢/ ٩٥) عن عبد الله بن الحسن قال: عن أبي البركات أيضا أنا ثابت أنا أبو العلاء أنا أبو بكر أنا الاحوص قال ونا أبي نا الحارث بن منصور نا الحسن بن صالح.. به، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥٤٩) عن الفضل بن دكين عن حسن بن صالح عن عبد الله بن الحسن قال سمعته قال قال علي:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٤٨.

(٣) حديث حسن الإسناد.. أخرجه الترمذي في المناقب، (٣٧٨٦) عن نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحسن هو الأنماطي عن جعفر بن محمد عن أبيه.. به، وقال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه قال >

– وعن زيد بن أرقم رضي اللهم عنهما قالا قال رسول الله ﷺ : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما »(١).

– وعن يزيد بن حيان التيمي قال انطلقت أنا وحصين ابن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه لقد رأيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفونيه ثم قال قام رسول الله ﷺ يوما خطيبا فينا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: « أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي »(٢).

> وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٧١.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ (٣٧٨٨) عن علي بن المنذر الكوفي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الأعمش عن عطية عن أبي سعيد والأعمش عن حبيب بن أبي ثابت.. به، وقال: هذا حديث حسن غريب. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٧٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣٦٦) عن إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان التيمي حدثني يزيد بن حيان التيمي.. به، وعبد بن حميد في مسنده (١ / ١١٤) بإسناده، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٨) بإسناده. قال المناوي في فيض القدير (٢ / ١٧٤): إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي: يعني ملك الموت، فأجيب: أي أموت، كنى عنه بالإجابة إشارة إلى أنه ينبغي تلقيه بالقبول كأنه مجيب إليه باختياره، وأنا ثقلين: سميا به لعظم شأنهما وشرفهما، أولهما: كتاب الله، قدمه لأحقيته بالتقدم فيه الهدى من الضلال والنور، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضل؛ أي أخطأ طريق السعادة، وهلك في ميادين الحيرة والشقاوة، فخذوا بكتاب الله تعالى، واستمسكوا به؛ فإنه السبب الموصل إلى المقامات العلية والسعادة الأبدية، وأهل بيتي: وثانيهما أهل بيته؛ وهم من حرمت عليهم الصدقة من أقربائه. قال الحكيم: حض على التمسك بهم لأن الأمر لهم معاينة؛ فهم أبعد عن المحنة، وهذا عام أريد به خاص وهم العلماء العاملون منهم فخرج الجاهل والفاسق وهم بشر لم يعروا عن شهوات الآدميين ولا عصموا عصمة النبيين وكما أن كتاب الله منه ناسخ ومنسوخ فارتفع الحكم بالمنسوخ هكذا ارتفعت القدرة بغير علمائهم الصلحاء وحث على الوصية بهم لما علم مما سيصيبهم بعده من البلايا والرزايا انتهى أذكركم الله في أهل بيتي أي في الوصية بهم واحترامهم وكرره ثلاثا للتأكيد. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٩٨.

– وعن ابن عباس ثم أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيكم إن كل مسلم أخو المسلم المسلمون أخوة، ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس ولا تظلموا ولا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »[1].

– وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ: « إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير خبرني أنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما »[2].

– وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ: « إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض »[3].

– وعن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: « أيها الناس إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي أمرين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض »[4].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ١٧١) عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أنبأ العباس بن الفضل الأسفاطي ثنا إسماعيل بن أبي أويس وأخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني ثنا جدي ثنا بن أبي أويس حدثني أبي عن ثور بن زيد الديلي عن عكرمة.. به، وقال: وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة واحتج مسلم بأبي أويس وسائر رواته متفق عليهم وهذا الحديث لخطبة النبي ﷺ متفق على إخراجه في الصحيح، ووافقه الذهبي.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦ / ٣٠٩) عن عمر بن سعد ابو داود الحفري عن شريك عن الركين عن القاسم بن حسان.. به، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢ / ١٩٤) بإسناده، وأحمد في مسنده (٣ / ١٧) بإسناده، وأبو يعلى في مسنده (٢ / ٢٩٧) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٤٤.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٨١) عن حدثنا الأسود بن عامر حدثنا شريك عن الركين عن القاسم بن حسان.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٣ / ٦٥) عن أبي سعيد. والطبراني في المعجم الكبير (٣ / ٦٦) عن محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا جعفر بن حميد حدثنا عبد الله بن بكير الغنوي عن حكيم بن حبير عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :.. به.والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٧٠) بإسناده عن زيد بن ثابت، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، و (٩ / ٦٣) وقال: رواه أحمد وإسناده جيد. و (٩ / ١٦٥) عن زيد بن أرقم، وقال: رواه الطبراني وفيه زيد بن الحسن الأنماطي قال أبو حاتم منكر الحديث ووثقه ابن حبان وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٤٧.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢ / ٣٠٣) عن أبي بكر حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا حدثني >

– وعن ابن واثلة أنه سمع زيد بن أرقم رضي الله عنه يقول نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة ثم شجرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت الشجرات ثم راح رسول الله ﷺ عشية فصلى ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول ثم قال: « أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم من كنت مولاه فعلي مولاه »[1].

كيف نحقق الاعتصام بكتاب الله ؟

للإجابة على هذا السؤال هناك عدة اتجاهات:

أولاً: حفظ أحكامه وحدوده، والعمل بحلاله والانتهاء عن حرامه كما جاءت الأوامر واضحة صريحة في القرآن، والبعد عن التلاعب أو التهاون بها والاهتمام بغبرها، بل يجب إنزال أوامر القرآن ونواهيه المنزلة الجديرة بهما. قال تعالى مندداً بمن أهمل العمل بالقرآن، واتخذ أوامره منهاجا تطبيقيا في الحياة: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ (الأنعام: ٧٠).

وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠).

> عطية.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٦٥) عن محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا منجاب بن الحارث ثنا علي بن مسهر عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ :.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٥٠.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١١٨) عن أبي بكر بن إسحاق ودعلج بن أحمد السجزي قالا أنبأ محمد بن أيوب ثنا الأزرق بن علي ثنا حسان بن إبراهيم الكرماني ثنا محمد بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الطفيل.. به، وقال: وحديث بريدة الأسلمي صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي ن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٥١.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن مخرمة عن أبيه قال سمعت محمود بن لبيد قال أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا فقام غضبانا ثم قال: « أيتلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم »(١).

– عن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : « إن بني إسرائيل كتبوا كتابا فاتبعوه وتركوا التوراة »(٢).

– وعن أبي أيوب الأنصاري عن عوف بن مالك ثم قال خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة وهو مرعوب فقال: « أطيعوني ما كنت بين أظهركم وعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه »(٣).

– وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ وحماد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « ذروني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم فما أمرتكم به من شيء فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه ما استطعتم »(٤).

– وعن أبي ثعلبة قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوا عنها »(٥).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. لم أجده عند مسلم، وأخرجه بلفظه وإسناده النسائي في الطلاق، باب الثلاث المجموعة وما فيه من التغليظ (٣٤٠١).. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٨٣.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٣٥٩) عن عمرو عن عبدالملك بن عمير عن أبي بردة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ :..به. والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٠) عن أبي موسى، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة وهو ثقة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٩٣.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨ / ٣٨) عن أحمد بن المعلى الدمشقي ثنا سليمان بن عبد الرحمن ثنا معاوية بن صالح الأزدي عن محمد بن حرب عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن نعيم بن همار عن المقدام بن معدي كرب.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٠) وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٠٦.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١٣٥) عن إبراهيم قال حدثنا علي بن عثمان اللاحقي قال حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين.. به.وقال: لم يروه عن أيوب إلا حماد. والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٨) بإسناده، وقال: قلت هو في الصحيح بعكس هذا رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٧٢.

(٥) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٢٢٢) عن عبيد بن غنام ثنا أبو بكر بن أبي شيبة >

– وعن حذيفة قال قلت يا رسول الله أبعد هذا الخير الذي نحن فيه من شر نحذره قال: « يا حذيفة عليك بكتاب الله فتعلمه واتبع ما فيه »[1].

ثانيًا: البعد عن الجدال في المتشابه منه حتى لا تزيغ القلوب وتنتشر البدع، وتضيع وحدة الأمة في متاهات الجدل العقيم.. ولذلك يجب رد الأمر إلى العلماء فيما اشتبه من الآيات لوضع قواعد فقهية متينة قادرة على مواجهة تطورات الحياة المتجددة التي تعيشها الأجيال المسلمة. قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر:٩).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران:٧).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء:٧).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن النزال بن سبرة قال سمعت عبد الله يقول سمعت رجلا قرأ آية سمعت من النبي ﷺ خلافها فأخذت بيده فأتيت به رسول الله ﷺ فقال: « لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا »[2].

> ثنا عبد الرحيم بن سليمان عن داود بن أبي هند عن مكحول.. به، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩ / ١٧) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٨٠.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٣٣٧) عن أبي زكريا بن أبي إسحاق أنا والدي أنا محمد بن إسحق الثقفي ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير بن عبدالحميد عن مسعر بن كدام وسفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الصامت.. به. وابن حبان في صحيحه (١ / ٣٢٣) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٠١.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي (٢٤١٠) عن أبي الوليد حدثنا شعبة قال عبدالملك بن ميسرة أخبرني قال سمعت النزال.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٩٤.

- وعن أبي عمران الجوني قال كتب إلي عبد الله بن رباح الأنصاري أن عبد الله بن عمرو قال هجرت إلى رسول الله ﷺ يوما قال فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب فقال: « إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب »[١].

- وعن عبيد الله بن معقل بن يسار المزني عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « اعملوا بكتاب الله فما أشتبه عليكم فاسألوا أهل العلم يخبروكم وآمنوا بالتوراة والانجيل وآمنوا بالفرقان فإن فيه البيان وهو الشافع وهو المشفع والماحل والمصدق »[٢].

- وعن أبي سعيد قال كنا نتذاكر القرآن ثم باب رسول الله ﷺ ينزع هذا بآية وهذا بآية فخرج رسول الله ﷺ كأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال: « أبهذا بعثتم أم بهذا أمرتم ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »[٣].

- وعن الزهري عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع النبي ﷺ قوما يتمارون في القرآن فقال: « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه بعضا وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا ولا يكذب بعضه بعضا ما علمتم فيه فقولوا وما جهلتم فكلوه إلى عالمه »[٤].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في العلم، (٢٦٦٦) عن أبي كامل فضيل بن حسين الجحدري حدثنا حماد بن زيد حدثنا أبو عمران الجوني قال كتب إلي عبد الله بن رباح الأنصاري.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩١٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٦٩) عن أبي النضر الفقيه ثنا عثمان بن سعيد الدارمي وعلي بن عبد العزيز قالا ثنا عبد الله بن رجاء أنبأ عمران القطان.. به. ولم يعلق عليه. قال المناوي في فيض القدير (٤/ ٥٣٥): وقال الزمخشري: الماحل الساعي وهو من المحال وفيه مطاولة وإفراط من التماحل ومنه المحل وهو القحط المتطاول الشديد يعني من اتبعه وعمل بما فيه فهو شافع له مقبول الشفاعة في العفو عن فرطاته ومن ترك العمل به على إساءته وصدق عليه فيما يرفع من مساويه..اه وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٦٤..

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٢٢٥) عن معاذ قال نا عبد الرحمن قال نا سويد أبو حاتم قال قتادة عن أبي نضرة.. به، وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٦٩.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤١٧) عن أبي محمد بن يوسف أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ح وأخبرنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد بن الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادي قالا ثنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهري.. به.والبخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٦٣) بإسناده، وقال: وكل من اشتبه عليه شيء فأولى أن يكله إلى عالمه كما قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ وما أشكل عليكم فكلوه إلى عالمه ولا يدخل في المتشابهات الا ما بين له. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٧٠.

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر قال وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب قال: « ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم »(١).

- وعن عائشة أن النبي ﷺ تلا هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم »(٢).

ثالثًا: أن يكون القرآن هو المصدر الأول للتشريع ويشكل مع السنة المنابع الأصلية للاجتهاد والتجديد الفقهي المعاصر فلا اجتهاد مع وجود نص تشريعي، لأن الإعجاب بالرأي يؤدي إلى انتشار البدع والأهواء، بما لا يحقق للأمة الإسلامية استقامة موازين حياتها ومعالم شخصيتها ـ وينتج عن أهمية اتباع الكتاب والسنة النهي عن اتباع الرأي ويقصد به الرأي الناتج عن الهوى الشخصي، وليس الرأي القائم على الاجتهاد في ضوء الكتاب والسنة، فالرأي الناتج عن الهوى يضل عن سبيل الله و يشيع فى الأمة الفوضى و الفساد.

قال تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ (ص:٢٦). وقال تعالى: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ (الروم:٢٩).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٣).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ١٧٨) عن أبي معاوية حدثنا داود بن أبي هند.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٧٧.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ٢٥٦) عن عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا يزيد بن إبراهيم عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد.. به، والبخاري في تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات (٤٥٤٧) بإسناده، ومسلم في العلم، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (٢٦٦٥) بإسناده، وأبو داود في السنة، (٤٥٩٨) بإسناده. وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر (٤٧) بإسناده، وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٧٩.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن النواس بن سمعان الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال: « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم »(١).

– وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط »(٢).

– وعن جابر قال خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: « أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة »(٣).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١٨٢) عن الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير حدثه عن أبيه.. به. وابن أبي عاصم في السنة (١ / ١٤) بإسناده، وقال محققه الشيخ الألباني: إسناده صحيح رجاله ثقات على ضعف في ابن مصفى ولكنه مقرون والحديث أخرجه الترمذي (٢ ١٤٠) وأحمد (٤ / ١٨٣) وابن نصر عن بقيه به إلا ان الترمذي لم يذكر تحديث بقية وتابعه معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير حدثه عن أبيه به أخرجه احمد (٤ / ١٨٢ ١٨٣) والحاكم (١ / ٧٣) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهو كما قالا، وللحديث شاهد من حديث ابن مسعود مرفوعا وموقوفا فراجعه في المشكاة (١٩١) إن شئت. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٢١.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١ / ١١) عن أحمد بن عمرو والبزار ثنا عمرو بن يحيى بن غفرة البجلي ثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن طاوس.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ٨٦) وقال: رواه البزار بأسانيد ورجال أحدها ثقات، و (٤ / ٢٠٥) وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه عمرو بن يحيى بن عفرة ولم أجد من ترجمه وبقية رجاله ثقات. قال المناوي في فيض القدير (٥ / ٢٢): كل شرط أي اشتراط ليس في كتاب الله أي في حكمه أو ليس فيه جوازه أو وجوبه بواسطته كالنص القرآني، وقال القرطبي: قوله: ليس في كتاب الله: أي ليس مشروعا فيه تأصيلا ولا تفصيلا؛ فإن من الأحكام ما لا يوجد تفصيله في الكتاب كالوضوء، ومنها ما يوجد تأصيله دون تفصيله كالصلاة، ومنها ما أصل أصله كدلالة الكتاب على أصلية السنة والإجماع والقياس، فهو باطل وإن كان مائة شرط: يعني وإن شرط مائة مرة لا يؤثر؛ فذكره للمبالغة لا لقصد عين هذا العدد، قال الطيبي: وهذا من الشرط الذي يتبع به الكلام السابق بلا جزاء للمبالغة وقال القرطبي: هذا خرج مخرج الكثير يعني أن الشروط الغير المشروعة باطلة ويستفاد منه: أن الشروط الشرعية صحيحة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٢٤.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٣١٠) عن مصعب بن سلام حدثنا جعفر عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٦٣.

- وعن عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال: « تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال »[١].

رابعًا: ولكي تتجنب الأمة مخاطر الرأي الناتج عن الهوى فيجب أن يتصدى للرد على الآراء المستحدثة علماء الأمة الراسخون في فهم الكتاب والسنة، فهم أولى الناس بحفظ الشريعة لقربهم من الرسول ﷺ وفهمهم لما جاء به، وذلك حتى لا تتعرض الشريعة للتضارب نتيجة أخذ المتشابه من كتاب الله أو الأحكام. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء:٨٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء:٧).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران:٧).

وقال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة:١٢٢).

- عن عمر بن الأشج أن عمر بن الخطاب قال: سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله [٢].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨ / ٥٠) عن يحيى بن عثمان بن صالح ثنا نعيم بن حماد ثنا عيسى بن يونس عن حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه.. به، و والبزار في مسنده (٧ / ١٨٦) بإسناده، و والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٧٩) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٥٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الدارمي في المقدمة (١١٩) عن عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني يزيد هو ابن أبي حبيب.. به.والسيوطي في مفتاح الجنة (١ / ٥٩) بإسناده. واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١ / ١٢٣) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٣٤.

خامسًا: أن يكون الاجتهاد في استنباط الأحكام من القرآن قائما على التوازنات الميسرة التي ليس فيها تطرف أو شدة ترهق المؤمنين لأن الإسلام دين يسر وتشكل تعليمات القرآن منهاجا قيما طبقه الرسول ﷺ بكل يسر على المؤمنين بما يحقق لهم الكمال والارتقاء في كل المجالات سواء المعنوية أو المادية. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام:١٦١).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:١٤٣).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن ابن عباس قال قيل لرسول الله ﷺ: « أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة »[١].

- وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فما أمرتم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتم عنه فانتهوا وما أخبرتكم به أنه من عند الله فهو لاشك فيه »[٢].

- وعن سمرة بن جندب ثم أن رسول الله ﷺ قال له رجل مرة إذا جاءت الأحزاب حرم على أهل المدينة سقي النخل فقال: « لو أني أحرم عليكم لاحترقتم وإن تحريم الأشياء لا تطيقه الجبال »[٣].

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٢٣٦) عن يزيد قال أخبرنا محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة.. به، والبخاري في الأدب المفرد (٢٨٧) بإسناده عن ابن عباس، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٦٠) وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع. وقوله: الحنيفية السمحة: أي الشريعة المائلة عن كل دين باطل، قال ابن القيم: جمع بين كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل وضد الأمرين الشرك وتحريم الحلال. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٩٩.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١ / ١٩٨) عن الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا إبراهيم بن بشار حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، وسفيان عن ابن عجلان عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٧٤.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧ / ٢٦٧).. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٧٧) وقال: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٧٥.

– وعن عراك بن مالك قال قال أبو ذر إني لأقربكم يوم القيامة من رسول الله ﷺ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أقربكم مني مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته عليه »[1].

سادسًا: أهمية اتباع السنة الشريفة التي هي الترجمان الفعلي للقرآن الكريم: ـ وتحتل السنة المرتبة الثانية بعد القرآن في مصادر التشريع، لأن السنة هي المنهاج التطبيقي لتعاليم القرآن الكريم، وهي المذكرة التفصيلية لما أجمله دستور القرآن.. لذلك فإن اتباعها أوامر ربانية وليست تطوعا حيث لا يكتمل الإيمان إلا بذلك الاتباع حيث لا ينفع رأي ضد سنة. وإن الذين يحاولون الفصل بين القرآن والسنة يقوضون أركان الإيمان في الأمة، حيث القرآن والسنة هما دعامتا الإيمان، ولا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال لأن السنة هي المنهاج الحي للقرآن، فالرسول ﷺ هو الذي بلغ عن رب العزة بلاغا قوليا وفعليا وتفصيليا، حيث سنته الشريفة هي ترجمة لدستور القرآن الكريم المجمل، ولذلك فإن اتباع سنته ضرورة إيمانية يفرضها المولى عزَّ وجلَّ حيث قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران:٣١).

وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (النساء:٨٠).

وقال تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النور: ٥٦).

وقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ (محمد:٣٣).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:٢٤)

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٦٥) عن يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن عراك بن مالك قال.. به، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ١٨٧) بإسناده. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٣٨١) بإسناده. والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٦٨.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر:٧).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النور:٥٤).

هذا علاوة على العديد من الآيات التي لا يتسع المجال هنا لذكرها، والتي تقرن طاعة الله بطاعة رسوله، بما لا يدع مجالا لأدنى شك في أهمية اتباع السنة الشريفة وهذا ما أكده الرسول ﷺ في الأحاديث التالية:

- عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب قلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا قال: « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[1].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض »[2].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦) عن عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية يعني ابن صالح عن ضمرة بن حبيب عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي.. به، وأبو داود في السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧) بإسناده، والترمذي في العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦) بإسناده، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٤) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٤) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح ليس له علة وقد احتج البخاري بعبد الرحمن بن عمرو وثور بن يزيد وروي هذا الحديث في أول كتاب الاعتصام بالسنة والذي عندي أنهما رحمهما الله توهما أنه ليس له راو عن خالد بن ثور بن يزيد وقد رواه محمد بن إبراهيم بن الحارث المخرج حديثه في الصحيحين عن خالد بن معدان، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٧٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. وقد أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧٢) عن أبي بكر بن إسحاق الفقيه أنبأ محمد بن عيسى بن المولأ الواسطي ثنا داود بن عمرو الضبي ثنا صالح بن موسى الطلحي عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح.. به، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٧٦.

– وعن المقدام بن معديكرب الكندي أن رسول الله ﷺ قال: « لا أعرفن ما يحدث أحدكم عني الحديث وهو متكئ على أريكته فيقول اقرأ قرآنا ما قيل من قول حسن فأنا قلته »[1].

– وعن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يغصبهم بمثل قراه »[2].

– وعن العرباض بن سارية السلمي قال نزلنا مع النبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه وكان صاحب خيبر رجلا ماردا منكرا فأقبل إلى النبي ﷺ فقال يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا فغضب يعني النبي ﷺ وقال يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن وأن اجتمعوا للصلاة قال فاجتمعوا ثم صلى بهم النبي ﷺ ثم قام فقال: « أيحسب أحدكم متكئا على أريكته أن الله تعالى لم يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن، ألا وإني والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء، إنها كمثل القرآن أو أكثر وإن الله تعالى لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم »[3].

– وعن الحسن بن جابر قال سمعت المقدام بن معدي كرب يقول حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال: « يوشك أن يقعد الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن ماجه المقدمة، (١٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة قال حدثنا زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثني الحسن بن جابر.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٧٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في السنة (٦٤٠٤) عن عبد الوهاب بن نجدة حدثنا أبو عمرو بن كثير بن دينار عن حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي عوف.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٨٠

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات (٣٠٥٠) عن محمد بن عيسى حدثنا أشعث بن شعبة حدثنا أرطاة بن المنذر قال سمعت حكيم بن عمير أبا الأحوص يحدث.. به. قال المناوي في فيض القدير (٣/ ١٦٤): أيحسب: الهمزة للإنكار أحدكم: فيه حذف تقديره أيظن أحدكم إذا كان يبلغه الحديث عني حال كونه، متكئا على أريكته: أي سريره أو فراشه أو منصته وكل ما يتكؤ عليه فهو أريكة. قال البغوي أراد بهذه الصفة أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت وقعدوا عن طلب العلم، أن الله تعالى لم يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن هذا من تتمة مقولة ذلك الإنسان أي قد يظن بقوله بيننا وبينكم كتاب الله أن الله لم يحرم إلا ما في القرآن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٨١.

فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله »[1].

– وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « ما أمرتكم به فخذوه وما نهيتكم عنه فانتهوا »[2].

– وعن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب قلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا قال: « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد »[3].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١٣٢) عن عبد الرحمن وزيد بن حباب قالا حدثنا معاوية بن صالح عن الحسن بن جابر قال زيد في حديثه حدثني الحسن بن جابر قال..به، وابن ماجه في المقدمه، (١٢) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ١٩١) بإسناده، وقال: صحيح على شرط السيخين، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٨٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن ماجه في المقدمة، (١) عن أبي بكر بن أبي شيبة قال حدثنا شريك عن الأعمش عن أبي صالح.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٨٥.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١٢٦) عن عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية يعني ابن صالح عن ضمرة بن حبيب عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي.. به، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٤) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ١٧٥) بإسناده، وقال: كان أسد بن وداعة يزيد في هذا الحديث فإن المؤمن كالجمل الأنف حيث ما قيد انقاد وقد تابع عبد الرحمن بن عمرو على روايته عن العرباض بن سارية ثلاثة من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام منهم حجر بن حجر الكلاعي، ووافقه الذهبي.

قال المناوي في فيض القدير (٤ / ٥٠٦): البيضاء: هي جادة الطريق مفعلة من الحج القصد والميم زائدة، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا؛ فيه من معجزاته الإخبار بما سيكون بعده من كثرة الاختلاف وغلبة المنكر وقد كان عالما به جملة وتفصيلا لما صح أنه كشف له عما يكون إلى أن يدخل أهل الجنة والنار منازلهم ولم يكن يظهره لأحد بل كان ينذر منه إجمالا ثم يلقي بعض التفصيل إلى بعض الآحاد، فعليكم: الزموا التمسك بما عرفتم من سنتي؛ أي طريقتي وسيرتي القديمة بما أصلته لكم من الأحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة وتفسير السنة بما طلب لازم اصطلاح حادث قصد به تمييزها عن الفرض وسنة أي طريقة الخلفاء الراشدين المهديين والمراد بالخلفاء الأربعة والحسن رضي الله عنهم، عضوا عليها بالنواجذ: أي عضوا عليها بجميع الفم كناية عن شدة التمسك ولزوم الاتباع لهم والنواجذ الأضراس والضواحك والأنياب أو غيرها وعليك بالطاعة أي الزموها وإن كان الأمير عليكم من جهة الإمام عبدا حبشيا فاسمعوا له وأطيعوا؛ فإنما المؤمن كالجمل الأنف أي المأنوف وهو الذي عقر كلاهما فلم يمتنع على قائده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٢٢.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثم أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: « يـا أيها الناس إني تارك فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه »[١].

- وعن عراك بن مالك قال قال أبو ذر إني لأقربكم يوم القيامة من رسول الله ﷺ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أقربكم مني مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته عليه »[٢].

- وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد الله شراد البعير قيل يا رسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى »[٣].

- وعن معاوية عن النبي ﷺ قال: « إن السامع المطيع لا حجة عليه وإن السامع العاصي لا حجة له »[٤].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١٤٤) عن أبي عبد الله الحافظ أخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني ثنا جدي ثنا بن أبي أويس ثنا أبي عن ثور بن زيد الديلي عن عكرمة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٥٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٦٥) عن يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن عراك بن مالك قال.. به، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢ / ١٨٧) بإسناده. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥ / ٣٨١) بإسناده. والبيهقي في السنن الكبرى (٥ / ١٦٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٦٨.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١ / ٢٤٦) عن أحمد بن يحيى الحلواني قال حدثنا سعيد بن سليمان قال حدثنا خلف بن خليفة عن العلاء بن المسيب عن أبيه.. به، وقال: لم يرو هذا الحديث عن العلاء بن المسيب إلا خلف بن خليفة، وابن حبان في صحيحه (١ / ١٩٦) بإسناده. وقال: قال أبو حاتم طاعة رسول الله ﷺ هي الانقياد لسنته بترك الكيفية والكمية فيها مع رفض قول كل من قال شيئا في دين الله جل وعلا بخلاف سنته دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٧٦.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩ / ٣٦٦) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ومحمد بن كامل السراج قالا ثنا محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى صاعقة ثنا روح بن عبادة ثنا حماد بن سلمة عن جبلة بن عطية عن بن محيريز.. به، وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٥٠٣) بإسناده، إسناده جيد رجاله رجال حماد بن سلمة فمن رجال مسلم وجبلة ابن عطية وهو ثقة، والحديث أخرجه أحمد (٤ / ٩٦) ثنا روح به لكنه قال ابنه عبد الله: هذا الحديث في كتاب أبي بخط يده وقد خط عليه فلا أدري أقرأه علي أم لا، وقال الهيثمي (٥ / ٢١٧): رواه الطبراني وأحمد في مسنده ورجالهما رجال الصحيح خلا جبلة بن عطية وهو ثقة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٩٢.

ومن الأفعال التطبيقية للخلفاء الراشدين في أهمية اتباع السنة الشريفة ننقل تلك الأحاديث:

- عن حاجب بن خليف البرجمي قال: عـن عمر بن عبد العزيز أنه قال في خطبته: ألا إن ما سن رسول الله ﷺ وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهي إليه، وما سن سواهما فأنا نرجيه [١].

- وينبع من أهمية الاعتصام بسنة الرسول ﷺ تحقيق الضمانات اللازمة للأحاديث لضمان صحتها وغرس الثقة والاطمئنان في نفوس المؤمنين حتى تأخذ السنة الشريفة مكانتها اللائقة بها في التشريع للإرتقاء بالأمة. وقد تمثلت تلك الضمانات فيما يلي:

- الجهد الذي بذله علماء الأمة في تخريج الأحاديث لإحياء السنة وما فيها من مبادئ راسخة تنشر العلم والإيمان وتقضي على البدع والبهتان. قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب:٢٣).

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١٠٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» [٢].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (١١/ ٣٨٥) عن أبي علي الحداد أنبأنا أبو نعيم الحافظ أنبأنا حبيب بن الحسن نبأنا جعفر بن محمد الفريابي نبأنا قتيبة بن سعيد عن عزعرة بن البرند.. به، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٩٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٢٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في العلم، (٧٩) عن محمد بن العلاء قال حدثنا حماد بن أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبي بردة.. به. وقوله: أجادب: هي الأرض التي لاتنبت ولا تشرب الماء. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٩٧.

- وعن كثير بن عبد الله هو ابن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث اعلم قال ما أعلم يا رسول الله قال اعلم يا بلال قال ما أعلم يا رسول الله قال: « اعلم يا بلال أنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا »[1].

- وعن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي رسول الله ﷺ يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي:.. « مـن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة »[2].

- وضع الرسول ﷺ مؤشرات ساعدت العلماء إلى حد كبير في التفرقة بين الحديث الذي يستحق أن تنبنى عليه العقيدة و المعاملات في جميع المجالات، والحديث الذي يؤخذ بتحفظ حتى ولو كان صحيح السند.. من تلك المؤشرات: أنها تعرض على كتاب الله، وعلى قلوب الراسخين في العلم، فما وافق من الحديث أصول الكتاب وما توافق مع قلوب العلماء الراشدين الذين تشربت قلوبهم نبع التشريع العذب ويعرفون ما يتوافق معه فهو حديث قريب من الرسول ﷺ يستحق أن نأخذ به. قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم:٣-٤).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء:٨٣).

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الترمذي في العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٧) عن عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا محمد بن عيينة عن مروان بن معاوية الفزاري عن كثير بن عبد الله هو ابن عمرو بن عوف.. به. وقال: هذا حديث حسن ومحمد بن عيينة هو مصيصي شامي وكثير بن عبد الله هو ابن عمرو بن عوف المزني. وقوله: قد أميتت بعدي: أي تركت وهجرت، كان له من الأجر مثل أجر كل إنسان مؤمن عمل بها دون أن ينقص من أجورهم شيئا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٠٨.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الترمذي في العلم، (٢٦٧٨) عن مسلم بن حاتم الأنصاري البصري حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد:.. به، وقال: وفي الحديث قصة طويلة قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ومحمد بن عبد الله الأنصاري ثقة وأبوه ثقة وعلي بن زيد صدوق إلا أنه ربما يرفع الشيء الذي يوقفه غيره قال و سمعت محمد بن بشار يقول قال أبو الوليد قال شعبة حدثنا علي بن زيد وكان رفاعا ولا نعرف لسعيد بن المسيب عن أنس رواية إلا هذا الحديث بطوله.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن أبي أسيد أن النبي ﷺ قال: « إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه بعيد منكم فأنا أبعدكم منه »(1).

– حذر الرسول ﷺ تحذيرا شديدا من الافتراء عليه في وضع الأحاديث أوذلك ليحمي السنة بسياج منيع من الرقابة على الضمير وترهيب الوضاعين نظراً لأهمية السنة كمصدر أساسي من مصادر التشريع أفالافتراء والكذب يرفضه المولى عزَّ وجلَّ بكل شدة: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الأنعام: ٢١).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أبي موسى الغافقي سمع عقبة بن عامر الجهني يحدث على المنبر عن رسول الله ﷺ أحاديث فقال أبو موسى إن صاحبكم هذا لحافظ أو هالك إن رسول الله ﷺ كان آخر ما عهد إلينا أن قال: « عـليكم بكتاب الله وسترجعون إلى قوم يحبون الحديث عني ومن قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار فمن حفظ شيئا فليحدث به »(2).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٧) عن أبي عامر قال حدثنا سليمان بن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد بن سويد عن أبي حميد.. به. قال المناوي في فيض القدير (١/ ٣٨٢): إذا سمعتم أيها المؤمنون الكاملون الإيمان الذين استضاءت قلوبهم من مشكاة النبوة الحديث عني تعرفه قلوبكم أي تقبله وتشهد بحسنه وتلين له أشعاركم جمع شعر، وأبشاركم جمع بشرة، وترون؛ أي تعلمون أنه منكم قريب؛ أي قريب إلى أفهامكم وأحكام دينكم، ولا يأبى قواعد علومكم أيها المتشرعة فأنا أولاكم به أحق به في القبول المؤدي إلى العمل بمقتضاه لأن ما أفيض على قلبي من المعارف وأنوار اليقين أكثر من بقية الأنبياء فضلا عنكم، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه بعيد منكم فأنا أبعدكم منه لما ذكر؛ ولذلك جزم أئمتنا الشافعية بأن كل حديث أوهم باطلا ولم يقبل التأويل فمكذوب عليه لعصمته أو نقص منه من جهة رواية ما يزيل الوهم الحاصل بالنقص منه وذلك أن الله بعث رسله إلى خلقه لبيان الأمور ومعرفة التدبير وكيف وكم وكنه الأمور عنده مكنون فأفشى منه إلى الرسل ما لا يحتمله عقول غيرهم. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٠٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٣٤) عن قتيبة بن سعيد وكتب به إلي قتيبة حدثنا ليث بن سعد عن عمرو بن الحارث عن يحيى بن ميمون الحضرمي أن أبا موسى الغافقي.. به، والحاكم في المستدرك (١/ ١٩٦) بإسناده، وقال: رواة هذا الحديث عن آخرهم يحتج بهم فأما أبو موسى مالك بن عبادة الغافقي فإنه صحابي سكن مصر وهذا الحديث من جملة ما خرجناه عن الصحابي إذا صح إليه الطريق على أن وداعة الجهني قد روى أيضا عن مالك بن عبادة الغافقي وهذا الحديث قد جمع لفظتين غريبتين إحداهما قوله سترجعون إلى قوم يحبون الحديث >

- كما حذر الرسول ﷺ من إطلاق العنان في تكذيب الأحاديث الشريفة [وذلك لحماية السنة من التهاون بها] وخاصة بعدما بذل فيها من جهد العلماء العاملين المخلصين. قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس:٣٩).

وقال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (آل عمران:١٨٤).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه: « يا أيها الناس لا تعلقوا علي بواحدة ما أحللت إلا ما أحل الله وما حرمت إلا ما حرم الله تعالى »[١].

- وعن ابن أبي مليكة أن عبيد بن عمير الليثي حدثه ثم أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس الصبح وأن أبا بكر كبر فوجد النبي ﷺ بعض الخفة فقام يفرج الصفوف قال وكان أبو بكر لا يلتفت إذا صلى فلما سمع أبو بكر الحس من ورائه عرف أنه لا يتقدم إلى ذلك المقعد إلا رسول الله ﷺ فخنس وراءه إلى الصف فرده رسول الله ﷺ مكانه والحاصل رسول الله ﷺ إلى جنبه وأبو بكر قائم يصلي حتى إذا فرغ أبو بكر قال أي رسول الله أراك أصبحت صالحا وهذا يوم بنت خارجة فرجع أبو بكر إلى أهله فمكث رسول الله ﷺ مكانه وجلس إلى جنب الحجر يحذر الفتن قال: « إني والله لا يمسك الناس علي بشيء، وإني لا أحل إلا ما أحل في كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه »[٢].

> عني والأخرى فمن حفظ شيئا فليحدث به وقد ذهب جماعة من أئمة الإسلام إلى أن ليس للمحدث أن يحدث بما لا يحفظه ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٩٥.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٢٥٦) عن محمد بن عمر حدثني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد.. به، والمناوي في فيض القدير (٣/ ١٦٠) وقال: لا تعلقوا علي بواحدة: لا تأخذوا علي في فعل ولا قول واحد؛ يعني لا تنسبوني فيما أشرعه وأسنه كان وحيا إلهيا وحكما ربانيا أي ما لم يقم دليل على أن ذلك من الخصوصيات. ما أحللت إلا ما أحل الله تعالى وما حرمت إلا ما حرم الله تعالى: أي فإني مأمور في كل ما آتيه أو أذره وقد فرض الله في الوحي اتباع الرسول، فمن قبل عنه فإنما قبل بفرض الله وما آتاكم الرسول فخذوه الحشر ٧، ومن رد فإنما رد على الله. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٣٨.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الشافعي في مسنده (١/ ٢٩) عن عبد الوهاب الثقفي سمعت يحيى بن سعيد يقول حدثني ابن أبي مليكة.. به، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٢١٦) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٨٧.

- وعن جابر قال قال رسول الله ﷺ: «من بلغه عني حديث فكذب به فقد كذب ثلاثة كذب الله ورسوله والذي حدث به»[1].

- كما ينبع من أهمية الاعتصام بالسنة أدور الرسول ﷺ في إنقاذ البشرية من طريق الضلالة وظلمات الجاهلية إلى نور الحق المبين، وسيظل هذا الدور قائما إلى يوم الدين أبما يتفق مع رسالته أنه خاتم الرسل أجمعين. فالرسول الأمين ﷺ هو الحافظ لرسالة الحق، وهو الذي يرشد الناس إلى الطريق القويم.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة: ١٥-١٦).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني فتقتحمون فيها»[2].

- وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٣١٣) عن محمد بن أحمد بن الوليد نا سعيد بن عمرو السكوني نا بقية بن الوليد عن محفوظ بن مسور عن محمد بن المنكدر.. به، والهيثمي في معجم الزوائد (١ / ١٤٨) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محفوظ بن ميسور ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٤٧.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣١٢) عن عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرزاق بن همام ثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا.. به، والترمذي في الأمثال، باب ما جاء في مثل بن آدم وأجله وأمله (٢٨٧٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٩٦.

أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »[١].

– وعن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ: « مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعته طائفة من قوم فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق »[٢].

– وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال ثم كان رسول الله ﷺ يقول هل رأى أحد منكم رؤيا قال فيقص عليه من شاء وإنه قال ذات غداة: « إنه أتاني الليلة آتيان ملكان فقعد واحد عند رأسي والآخر عند رجلي قال أحدهما للآخر اضرب مثله ومثل أمته فقال إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا يرجعون فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل مرجل في حلة حبرة فقال: أرأيتم إن أوردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم ألم آتكم على تلك الحال فقلت لكم فصدقتم فقالوا بلى فقال إن بين أيديكم أرضا أعشب من هذا وحياضا أروى من هذه فاتبعوني فقال طائفة صدق والله لنتبعن وقال طائفة قد رضينا بهذه نقيم عليه »[٣].

– وعن أبي قلابة عن النبي ﷺ قال: « قيل لي لتنم عينك وليعقل قلبك ولتسمع أذنك فنامت عيني وعقل قلبي وسمعت أذني ثم قيل سيد بنى دارا ثم صنع مأدبة وأرسل

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في العلم، (٧٩) عن محمد بن العلاء قال حدثنا حماد بن أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبي بردة.. به. وقوله: أجادب: هي الأرض التي لاتنبت ولا تشرب الماء. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٩٧.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في الرقاق، (٦٤٨٢) عن محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة.. به. ولم أعثر عليه بهذا اللفظ أو الإسناد عند البيهقي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩١٤.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٤٣٩) عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني ثنا يحيى بن محمد الذهلي ثنا مسدد بن سليمان عن عوف ثنا أبو رجاء.. ثم ذكره، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والهيثمي في مج=مع الزوائد (٨ / ٢٦٠) بإسناده، وقال: رواه أحمد والطبراني والبزار وإسناده حسن.

داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ورضي عنه السيد ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار الإسلام والمأدبة الجنة والداعي محمد »[1].

– وعن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم أن رسول الله ﷺ قال: « قيل لي يا محمد لتنم عينك ولتسمع أذنك وليع قلبك فنامت عيني ووعى قلبي وسمعت أذني »[2].

– وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال خرج إلينا النبي ﷺ يوما فنادى ثلاث مرار فقال: « يا أيها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يتراءى لهم فبينما هم كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشي ليدركهم العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه أيها الناس أتيتم ثلاث مرات »[3].

– وعن عبد الله بن مسعود قال قال عمرو إن عبد الله بن مسعود قال: استتبعني رسول الله ﷺ فانطلقنا حتى أتينا موضعا فخط لي خطة فقال لي: كن بين ظهري هذه ولا تخرج منها فإنك إن خرجت هلكت، فكنت فيها، ومضى رسول الله ﷺ أو قال أبعد شيئا ثم قال: إنه ذكرهنينا كأنهم الرحى أو كما شاء الله ليس عليهم ثياب ولا أرى سوأتهم طوال قليل لحمهم، فأتوا فجعلوا يركبون رسول الله ﷺ، وجعل رسول الله ﷺ يقرأ عليهم وجعلوا يأتون فيحيلون حولي، ويفرطون بي فأرعبت منهم رعبا شديدا فجلست أو كما قال فلما انشق عمود الصبح جعلوا يذهبون ثم إن رسول الله ﷺ جاء ثقيلا وجعا أو يكون وجعا

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبري في تفسيره (١١ / ١٠٣) عن محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب.. ثم ذكره، والطبراني في المعجم الكبير (٥ / ٦٥) عن محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلام ح وحدثنا عبدان بن أحمد ثنا أبو بكر بن أبي النضر قالا ثنا ريحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن عطية أنه سمع ربيعة الجرشي يقول ثم إن نبي الله ﷺ أتى فقيل له:... به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٦٠) بإسناد الطبراني، وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠١٩.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد فس الطبقات الكبرى (١ / ١٩٦) عن محمد بن مصعب القرقساني أخبرنا أبو بكر بن عبد الله.. ثم ذكره. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٢٠.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٣٤٨) عن أبي نعيم حدثنا بشير حدثني عبد الله بن بريدة.. به. وابن كثير في تفسيره (٣ / ٥٤٤) بإسناده، وقال: تفرد به أحمد. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٢٢.

مما ركبوه قال: إني أجدني ثقيلا فوضع رسول الله ﷺ رأسه في حجري، ثم هنيينا أتوا عليهم ثياب بيض طوال وقد أغفى رسول الله ﷺ، فأرعبت أشد مما أرعبت المرة الأولى فقال: بعضهم لقد أعطى هذا الرجل خيرا أو كما قالوا إن عينيه نائمتان أو قال عينه نائمة وقلبه يقظان، ثم قال بعضهم لبعض هلم فلنضرب له مثلا فقال بعضهم لبعض، اضربوا له مثلا ونؤول نحن أو نضرب نحن وتؤولون فقال بعضهم مثلهم كمثل رجل سيدا وقالوا هو سيد بنى بنيانا حصينا ثم أرسل إلى الناس الطعام فمن لم يأت طعامه أو قالوا لم يتبعه عذبه عذابا شديدا، أو قال الآخرون، أما السيد فهو رب العالمين وأما البنيان فهو الإسلام والطعام الجنة وهذا هو الداعي فمن اتبعه كان في الجنة ومن لم يتبعه عذب، ثم إن رسول الله ﷺ استيقظ قال: ما رأيت يا ابن أم عبد، قلت: رأيت كذا وكذا فقال نبي الله ﷺ ما خفي علي مما قالوا شيء قال نبي الله ﷺ: هم نفر من الملائكة أو قال: هم الملائكة أوكما شاء الله[1].

- وتتبلور أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة والعمل بهما في تحقيق وحدة الأمة الإسلامية والارتقاء بها، لأن وحدة الأمة هي الأساس المتين الذي يمكن أن يعلو عليه بنيان الأمة ويرتفع، بحسب قوة توحد أفرادها والبعد عن النزاع والخلاف، حيث يحكمهم وحدة المصادر الفكرية والثقافية، المتمثلة في وحدة العقيدة، كما يحكمهم وحدة الهدف والمنطلق، وتتمثل عوامل تحقيق تلك الوحدة في النقاط التالية:

١ - التزام منهاج الله ورسوله كركيزة أساسية لتوحد الأمة ولذلك فقد كان كل جهد الرسول ﷺ أن يجمع المؤمنين على ذلك الالتزام تحت رايته لأن اختلاف الأفكار الناتجة عن نزعات هوى النفوس تؤدي إلى تفتت الأمة الإسلامية، وانتشار البدع، والبعد عن الحق.

قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى:١٣).

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٤٦/ ٤٦٠) عن أبي الفتح يوسف بن عبدالواحد أنا شجاع بن علي أنا أبو عبد الله بن مندة أنا بكر بن أحمد أبو أحمد المروزي نا أبو الأحوص محمد بن الهيثم نا علي بن المديني نا حفص بن غياث أنا أبو محمد هبة الله بن سهل بن عمر الفقيه أنا أبو سعيد محمد بن المعتمر عن أبيه حدثني أبو تميمة عن عمرو ولعله أن يكون قد قال البكالي يحدث عمرو.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٧٠.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٩)

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران:١٠٥).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب قلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا قال: « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[١].

- وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: « إنكم اليوم على دين وإني مكاثر بكم الأمم فلا تمشوا بعدي القهقرى »[٢].

- وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه »[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. رجه أحمد في مسنده (٤ / ١٢٦) عن عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية يعني ابن صالح عن ضمرة بن حبيب عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي.. به، وأبو داود في السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧) بإسناده، والترمذي في العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦) بإسناده، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٤) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ١٧٤) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح ليس له علة وقد احتج البخاري بعبد الرحمن بن عمرو وثور بن يزيد وروي هذا الحديث في أول كتاب الاعتصام بالسنة والذي عندي أنهما رحمهما الله توهما أنه ليس له راو عن خالد بن ثور بن يزيد وقد رواه محمد بن إبراهيم بن الحارث المخرج حديثه في الصحيحين عن خالد بن معدان، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٧٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٣٥٤) عن خلف بن الوليد حدثنا عباد بن عباد عن مجالد عن الشعبي.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩١٣.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٢٤٧) عن سفيان حدثنا ابن عجلان عن أبيه.. به، ومسلم <

– وعن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب قلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا قال: « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد »[1].

– وعن الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا إبراهيم بن بشار حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، وسفيان عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فما أمرتم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتم عنه فانتهوا وما أخبرتكم به أنه من عند الله فهو لا شك فيه »[2]

> في الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧) بإسناده، والنسائي في مناسك الحج، باب وجوب الحج (٢٦١٩) بإسناده، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩١٦.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١٢٦) . به، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٤) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ١٧٥) بإسناده، وقال: كان أسد بن وداعة يريد في هذا الحديث فإن المؤمن كالجمل الأنف حيث ما قيد انقاد وقد تابع عبد الرحمن بن عمرو على روايته عن العرباض بن سارية ثلاثة من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام منهم حجر بن حجر الكلاعي، ووافقه الذهبي. قال المناوي في فيض القدير (٤ / ٥٠٦): البيضاء: هي جادة الطريق مفعلة من الحج القصد والميم زائدة، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا؛ فيه من معجزاته الإخبار بما سيكون بعده من كثرة الاختلاف وغلبة المنكر وقد كان عالما به جملة وتفصيلا لما صح أنه كشف له عما يكون إلى أن يدخل أهل الجنة والنار منازلهم ولم يكن يظهره لأحد بل كان ينذر منه إجمالا ثم يلقي بعض التفصيل إلى بعض الآحاد، فعليكم: الزموا التمسك بما عرفتم من سنتي؛ أي طريقتي وسيرتي القديمة بما أصلته لكم من الأحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة وتفسير السنة بما طلب لازم اصطلاح حادث قصد به تمييزها عن الفرض وسنة أي طريقة الخلفاء الراشدين المهديين والمراد بالخلفاء الأربعة والحسن رضي الله عنهم، عضوا عليها بالنواجذ: أي عضوا عليها بجميع الفم كناية عن شدة التمسك ولزوم الاتباع لهم والنواجذ الأضراس والضواحك والأنياب أو غيرها وعليك بالطاعة أي الزموها وإن كان الأمير عليكم من جهة الإمام عبدا حبشيا فاسمعوا له وأطيعوا؛ فإنما المؤمن كالجمل الأنف أي المأنوف وهو الذي عقر كلاهما فلم يمتنع على قائده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٢٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١ / ١٩٨) عن عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية يعني ابن صالح عن ضمرة بن حبيب عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٧٤.

٢ - طاعة أولي الأمر الذين ينفذون شريعة الله في الأرض لحماية الأمة من الصراع على السلطة ولكن تلك الطاعة يجب ألا تكون عمياء بل يحميها بصيرة المؤمنين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (النساء:٥٩).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «من مشى إلى سلطان الله ليذله أذله الله يوم القيامة مع ما ذخر له من العذاب»[1].

٣- التزام جماعة المسلمين لأن ذلك الالتزام يوطد عرى الإيمان، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا والتزام الجماعة يساعد على توحيد كلمة المسلمين ومواجهة الفتن التي تتجدد بأشكال مختلفة مع تجدد العصور؛ مما يحقق وحدة الأمة الإسلامية، وهذا أهم ما تسعى إليه قوانين الشريعة وأهدافها.. فتلك الوحدة يحققها وحدة الفكر ووحدة التشريع ووحدة القوانين التي تحكم تعاملات الأمة في جميع الميادين..

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ (البقرة:٢٠٨).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ (التوبة:٧١).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١١٤) عن ابن حنبل ثنا محمد بن أبان الواسطي ثنا أبو شهاب عن أبي محمد الجزري وهو حمزة النصيبي عن عمرو بن دينار..به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٧٤.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف:٤).

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران:١٠٣-١٠٥).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: « مـن فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه »[١].

- وعن عرفجة بن شريح الأشجعي قال رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس فقال: « ستكون بعدي هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد كائنا من كان فاقتلوه فإن يد الله على الجماعة وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض »[٢].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٢٩٧) عن عبد الله حدثنا أحمد بن محمد حدثنا أبو بكر يعني ابن عياش عن مطرف عن أبي الجهم عن خالد بن وهبان.. به، وأبو داود في السنة، باب في قتل الخوارج (٤٧٥٨) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ٢٠٣) بإسناده، وصححه، ووافقه الذهبي. ومعنى الربقة: هي في الأصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام؛ يعني ما يشد المسلم به نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٨٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه النسائي في تحريم الدم، باب قتل من فارق الجماعة (٤٠٢٠) عن أحمد بن يحيى الصوفي قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا يزيد بن مردانبة عن زياد بن علاقة.. به، وابن حبان في صحيحه (١٠ / ٢٥٥) بإسناده. قال المناوي في فيض القدير (٤ / ٩٩): ستكون بعدي هنات وهنات: شدائد وعظائم وأشياء قبيحة منكرة وخصلات سوء جمع هنة، وهي كناية عما لا يراد التصريح به لشناعته، فمن رأيتموه فارق الجماعة: الصحابة ومن بعدهم من السلف، أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد كائنا من كان؛ أي سواء كان من أقاربي أو غيرهم؛ فاقتلوه في رواية فاضربوه بالسيف؛ فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض فإن الله تعالى جمع المؤمنين على معرفة واحدة وشريعة واحدة ألا تراه يقول ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠)، فمن فارقهم خالف أمر الرحمن فلزم الشيطان. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩١٩.

– وعن عطاء قال: « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والناحية وإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد »[1].

– وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: « لن تجتمع أمتي على ضلالة أبدا فعليكم بالجماعة وإن يد الله على الجماعة »[2].

– وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: « لا يجمع الله عز وجل أمر أمتي على ضلالة أبدا اتبعوا السواد الأعظم يد الله مع على الجماعة من شذ شذ في النار »[3].

– وعن عرفجة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يد الله على الجماعة، والشيطان مع من خالف الجماعة يركض »[4].

–وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن موتته موتة جاهلية »[5].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٢١) موقوفا عن عبد الرزاق عن معمر عن أبان عن شهر بن حوشب،.. به، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣٢) مرفوعا، عن حدثنا روح حدثنا سعيد عن قتادة حدثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل أن نبي الله ﷺ قال:.. به. مرسلا فإن العلاء بن زياد لم يسمع من معاذ. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٢٦.

(٢) حديث حسن الإسناد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٤٧) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا الفاء بن سليمان عن مرزوق مولى آل طلحة عن عمرو بن دينار.. به. والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢١٨) بإسناده، وقال: رواه الطبراني بإسنادين رجال احدهما ثقات رجال الصحيح خلا مرزوق مولى طلحة وهو ثقة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٢٩.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحكيم الترمذي في نوادره (١/ ٤٢٢) عن ابن عمر، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٠٠) عن إبراهيم بن محمد بن يحيى ثنا محمد بن المسيب ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سليمان حدثني أبو سفيان المديني عن عبد الله بن دينار.. به. و(١/ ٢٠١) عن أبي الوليد حسان بن محمد الفقيه إملاء وقراءة ثنا محمد بن سليمان بن خالد ثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أنبأ إبراهيم بن ميمون أخبرني عبد الله بن طاوس أنه سمع أباه يحدث أنه سمع بن عباس يحدث أن النبي ﷺ قال:.. ثم ذكره. وصححه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٣٠.

(٤) حديث حسن الإسناد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١٤٥) عن القاسم بن زكريا ومحمد بن داود التوزي قالا ثنا محمد بن سعيد الجوهري ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردانية عن زياد بن علاقة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٣١.

(٥) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٥٠) عن أبي منصور محمد بن القاسم العتكي ثنا أبو سهل حسن بن سهل اللباد ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ثنا الليث عن يحيى بن سعيد عن خالد بن أبي عمران عن نافع.. به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقد حدث به الحجاج بن محمد أيضا عن الليث ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٣٥.

– وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «مـن فارق المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ومن مات ليس عليه إمام فميتته ميتة الجاهلية ومن مات تحت راية عمية يدعوإلى عصبية أو ينصر عصبية فقتلة جاهلية»[١].

– وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مـن فارق جماعة المسلمين شبرا أخرج من عنقه ربقة الإسلام والمخالفين بألويتهم يتناولونها يوم القيامة من وراء ظهورهم ومن مات من غير إمام جماعة مات ميتة جاهلية»[٢].

– وعن معاوية قال قال رسول الله ﷺ: «مـن فارق الجماعة شبرا دخل النار»[٣].

– وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ: «مـن فارق أمته أوعاد أعرابيا بعد هجرته فلا حجة له»[٤].

– وعن ربعى بن حراش قال انطلقت إلى حذيفة بالمدائن ليالي سار الناس إلى عثمان فقال يا ربعي ما فعل قومك قال قلت عن أي بالهم تسأل قال من خرج منهم إلى هذا الرجل فسميت رجالا فيمن خرج إليه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مـن فارق الجماعة واستذل الإمارة لقي الله ولا وجه له عنده»[٥].

---

(١) حديث حسن. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٢٨٩) عن الحسن بن جرير الصوري ثنا أبو الجماهر ثنا خليد بن دعلج عن قتادة عن سعيد بن المسيب.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٣٧.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ةالحاكم في المستدرك (١ / ١٥٠) عن أبي منصور محمد بن القاسم العتكي ثنا أبو سهل حسن بن سهل اللباد ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ثنا الليث عن يحيى بن سعيد عن خالد بن أبي عمران عن نافع.. به، ثم ذكره ضمن حديث طويل وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقد حدث به الحجاج بن محمد أيضا عن الليث ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٣٨.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ةالحاكم في المستدرك (١ / ٢٠٥) عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ بالكوفة ثنا عبد الله بن غنام بن حفص بن غياث حدثني أبي ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي صالح.. به، وصححه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٣٩.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه ةالحاكم في المستدرك (١ / ٢٠٥) عن أبي بكر محمد بن أحمد بن حاتم الداربردي بمرو ثنا أحمد بن عيسى المزني ثنا العقبي وحدثنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه واللفظ له أنبأ أبو المثنى ثنا العقبي ثنا أسامة بن زيد عن أبيه عن جده.. به، وقال: قد اتفق الشيخان على إخراج حديث غيلان بن جرير، ووافقه الذهبي، والبخاري في التاريخ الكبير (٢ / ٢٣) في ترجمة أسامة بن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني، وقال: وقال لي علي بن المديني هو ثقة وأثنى عليه خيرا وقال لي علي أدركت أحدهما أسامة أو عبد الله بن زيد. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٤٠.

(٥) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٣٨٧) عن إسحاق بن سليمان حدثنا كثير أبو النضر.. به. >

- وعن الحارث بن قيس قال قال لي عبد الله بن مسعود قال: أتحب أن يسكنك الله وسط الجنة عليك بالجماعة[١].

- وعن أبي مسعود قال: كنا نتحدث أن الآخر فالآخر شر، اتهموا الرأي، وعليكم بالجماعة، فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على الضلالة[٢].

- وعن عمرو بن دينار قال: رأيت جابر بن عبد الله وبيده السيف والمصحف وهو يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نضرب بهذا من خالف ما في هذا[٣].

- وعن أبي رجاء العطاردي قال سمعت ابن عباس يخطب على المنبر يقول: من فارق الجماعة شبرا مات ميتة جاهليه[٤].

- وعن عبد الله بن مسعود قال: الزموا هذه الطاعة والجماعة، فإنه حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة، إن الله لم يخلق شيئا قط إلا جعل منتهى، وإن هذا الدين قد تم وإنه صائر إلى نقصان، وإن أمارة ذلك أن تنقطع الأرحام، ويؤخذ المال بغير حقه، وتسفك الدماء، ويشتكي ذو القرابة قرابته لا يعود عليه بشيء، ويطوف السائل لا يوضع في يده شيء، فبينما هم كذلك إذ خارت الأرض خوار البقرة يحسب كل ناس أنها خارت من قبلهم: فبينما الناس كذلك إذ قذفت الأرض بأفلاذ كبدها من الذهب والفضة لا ينفع بعد شيء منه شيء ذهب ولا فضة[٥].

> والحاكم في المستدرك (١ / ٢٠٦) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح صحيح فإن كثير بن أبي كثير كوفي سكن البصرة روى عنه يحيى بن سعيد القطان ونصف بن يونس ولم يذكر بجرح، ووافقه الذهبي.

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة مصنفه (٧ / ٤٨٨) عن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد ربه عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن يحيى بن هانئ عن الحارث بن قيس.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٥٤.

(٢) أثر صحيح الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة مصنفه (٧ / ٥٠٨) عن يزيد بن هارون عن التيمي عن نعيم بن أبي هند أن أبا مسعود خرج من الكوفة ورأسه يقطر وهو يريد أن يحرم فقالوا له اوصنا فقال أيها الناس:.. به.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٢ / ٢٧٩) عن أبي عبد الله الحسين بن عبد الملك أنبأنا أبو طاهر بن محمود أنبانا أبو بكر ابن المقرئ أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مروان الدمشقي حدثنا ابو عبيد التستري محمد بن حاتم حدثنا سعيد بن منصور المكي حدثنا سفيان بن عيينة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٦٤.

(٤) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة مصنفه (٧ / ٤٥٣) عن غندر عن شعبة قال سمعت أحمر أو ابن أحمر يحدث عن أبي رجاء العطاردي قال.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٦٨.

(٥) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٤٧٤) عن حسين بن علي عن زائدة قال حدثنا أبو حصين الأسدي عن عامر عن ثابت بن قطبة.. به، والحاكم في المستدرك (٤ / ٥٩٨) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٦٩.

- وعن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: لأنا على أمتي في اللبن أخوف مني عليهم من الخمر قالوا: كيف يا رسول الله. قال يحبون اللبن فيتباعدون من الجماعات ويضيعونها »[1].

٤- النهي عن الاختلاف والفرقة وتكفير البعض للآخرين لأن هذا يجعل الأمة على شفا حفرة من النار حيث تطحنها الخلافات وتستنفذ قوتها الصراعات. فاتباع الأهواء والنزعات يذهب بالشعوب مذاهب شتى ويبدد طاقاتها.

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران:١٠٣-١٠٥).

وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال:١).

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال:٤٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات:١٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال ثم من منح منحة ينوي أو منحة لبن أو هدى زقاقا فهو كعتاق نسمة ومن قال لا إله إلّا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فهو كعتاق نسمة قال وكان يأتي ناحية الصف إلى ناحيته يسوى صدورهم ومناكبهم يقول: « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم »[2].

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ٢٤٤) عن بقية بن الوليد عن معاوية بن يحيى بن سعيد التجيبي عن أبي قبيل..به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٧٢.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٥) عن عبد الله حدثني أبي ثنا عفان ثنا محمد بن طلحة >

– وعن سعد بن أبي وقاص قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة فقالوا إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وتؤمنا فأوثق لهم فأسلموا قال فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة إلى جنب جهينة فأغرنا عليهم وكانوا كثيرا فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام فقلنا إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام في الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض ما ترون فقال بعضنا نأتي نبي الله ﷺ فنخبره وقال قوم لا بل نقيم هاهنا وقلت أنا في أناس معي لا بل نأتي عير قريش فنقتطعها فانطلقنا إلى العير وكان الفيء إذ ذاك من أخذ شيئا فهو له فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر فقام غضبانا محمر الوجه فقال: « أذهبتم من عندي جميعا وجئتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة »[1].

– وعن ابن عباس ثم أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيكم إن كل مسلم أخو المسلم المسلمون أخوة ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس ولا تظلموا ولا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »[2].

> عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة.. به، وأبو داود في الصلاة، تفريع أبواب الصفوف باب تسوية الصفوف (٦٦٤) عن هناد بن السري وأبو عاصم بن جواس الحنفي عن أبي الأحوص عن منصور عن طلحة اليامي عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يمسح صدورنا ومناكبنا ويقول:.. به، والنسائي في الإمامة، باب من يلي الإمام ثم الذي يليه (٨١١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٨٩٥.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ١٧٨) عن عبد الله قال وجدتم هذا الحديث في كتاب أبي بخط يده حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب حدثني يحيى بن سعيد الأموي قال أبو عبد الرحمن وحدثنا سعيد بن يحيى حدثنا أبي حدثنا المجالد عن زياد بن علاقة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٢٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ١٧١) عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أنبأ العباس بن الفضل الأسفاطي ثنا إسماعيل بن أبي أويس وأخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني ثنا جدي ثنا بن أبي أويس حدثني أبي عن ثور بن زيد الديلي عن عكرمة.. به، وقال: وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة واحتج مسلم بأبي أويس وسائر رواته متفق عليهم وهذا الحديث لخطبة النبي ﷺ متفق على إخراجه في الصحيح، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٤١.

- وعن عبد الله قال ثم أقرأني رسول الله ﷺ سورة الرحمن فخرجت إلى المسجد عشية والحاصل إلي رهط فقلت لرجل اقرأ علي فإذا هو يقرأ أحرفا لا أقرؤها فقلت من أقرأك فقال أقرأني رسول الله ﷺ فانطلقنا حتى وقفنا على النبي ﷺ فقلت اختلفنا في قراءتنا فإذا وجه رسول الله ﷺ فيه تغير ووجد في نفسه حين ذكرت الاختلاف فقال: « إنما أهلك من كان قبلكم الإختلاف »[1].

- وعن أسامة بن زيد قال قال رسول الله ﷺ: « من فرق بين أمتي وهم جميع فاضربوا رأسه كائنا من كان »[2].

٥- ونظرا لأهمية الاعتصام بالكتاب والسنة في حياة الأمة، فقد نهى الرسول ﷺ عن استقاء الفكر من منابع غريبة عن الإسلام، حيث يؤدي ذلك إلى خلل في العقيدة والوجدان، وبالتالي ضياع الهوية الإيمانية ومعالم الشخصية.. فالشريعة تحرص حرصا بالغا على الحفاظ على قلب المسلم وعقله ووجدانه حتى يكون فكره رشيدا ليس فيه زيغ ولا بعد عن الحق قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران:٨٥).

وقال تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (آل عمران:٦٩).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٠٠).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٢) عن محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز قال حدثنا معمر بن سهل قال حدثنا عامر بن مدرك قال حدثنا إسرائيل عن عاصم عن زر.. به، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٣) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٩٧١.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٧٩) عن محمد بن بشر قال حدثنا مجالد عن زياد بن علاقة.. به، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٨٦) بإسناده. وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٢٦) بإسناده، وقال محققه الشيخ الألباني: حديث صحيح ورجاله ثقات رجال مجالد وهو ابن سعيد فهو من رجال مسلم لكنه مقرون عنده كما ذكر المنذري في آخر ترغيبه وليس بالقوي في حفظه وقد خولف في إسناده كما يأتي في الكتاب بعد حديث على أنه قد تابعه زيد بن عطاء بن السائب فقال عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك به نحوه دون قوله كائنا ما كان، أخرجه النسائي (٢١٦٦) لكن زيد بن عطاء هذا مجهول الحال فلا يحتج بمتابعته. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٤٥.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة:٧٧).

وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة:١٢٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عمر قال: انطلقت في حياة النبي ﷺ حتى أتيت خيبر فوجدت يهوديا يقول قولا فأعجبني فقلت هل أنت مكتبي بما تقول؟ قال: نعم، فأتيته بأديم فأخذ يملي علي، فلما رجعت قلت: يا رسول الله إني لقيت يهوديا يقول قولا لم أسمع مثله بعدك فقال: لعلك كتبت منه؟ قلت: نعم، قال: ائتني به، فانطلقت فلما أتيته قال: اجلس اقرأه فقرأت ساعة ونظرت إلى وجهه فإذا هو يتلون فصرت من الفرق لا أجيز حرفا منه، ثم رفعته إليه ثم جعل يتبعه رسما رسما يمحوه بريقه وهو يقول: لا تتبعوا هؤلاء فإنهم قد تهوكوا حتى محا آخر حرف »[١].

- وعن إبراهيم النخعي قال: كان بالكوفة رجل يطلب كتب دانيال وذلك الضريبة فجاء فيه كتاب من عمر بن الخطاب أن يرفع إليه، فلما قدم على عمر علاه بالدرة ثم جعل يقرأ عليه ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ حتى بلغ الغافلين. قال: فعرفت ما يريد فقلت: يا أمير المؤمنين دعني فوالله لا أدع عندي من تلك الكتب إلا أحرقته فتركه[٢].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥ / ١٣٦) عن سليمان بن أحمد قال ثنا عمرو بن اسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي قال ثنا أبي قال ثنا عمرو بن الحارث بن الضحاك حدثني عبد الله بن سالم عن محمد بن الوليد الزبيري قال ثنا سليم بن عامر أن جبير بن نفير حدثهم أن رجلين تحابا في الله بحمص في خلافة عمر وكانا قد اكتتبا من اليهود ملء صفنين فاخذاهما الوقوف يستفتيان فيهما أمير المؤمنين وكان أرسل اليهما عمر فيمن أرسل اليه من أهل حمص فقالا يا أمير المؤمنين إنا بأرض أهل الكتابين وانا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا أفنأخذ منهم أم نترك ؟ قال لعلكما اكتتبتما منه شيئا فقالا لا قال سأحدثكما إني انطلقت في حياة النبي ﷺ :.. ثم ذكره.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦ / ١٦٤) عن عبد الرزاق قال أخبرنا إسماعيل بن عبد الله عن ابن عون عن إبراهيم النخعي قال كان يقول بالكوفة رجل يطلب كتب دانيال وذاك الضرب فجاء فيه كتاب من عمر ابن الخطاب أن يرفع إليه فقال الرجل ما أدري فيما رفعت فلما قدم على عمر علاه بالدرة:.. ثم ذكره. والسيوطي في الدر المنثور (٤ / ٤٩٨) وعزاه إلى عبد الرزاق في مصنفه، وابن الضريس عن إبراهيم النخعي.

- إن الاعتصام بالكتاب والسنة يحمي الأمة من الانبهار بالتيارات الثقافية المعاصرة التي قد تؤدي إلى ضياع هويتها الإيمانية وزعزعة عقيدتها فيفقدها أغلى ما عندها وهو كنوز الإيمان، فيصبحون كثرة كغثاء السيل.

ويبين لنا الرسول ﷺ كيف نتعامل مع الغير في النقاط التالية:

- يجب الاعتزاز بالدين الإسلامي والتمسك به لأن هو المهيمن على كل الرسالات وبالتالي فيه من القيم والمبادئ ما لا يوجد في غيره، والانحراف عن خاتم النبيين إلى غيره فيه ضلال كبير.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (الفتح:٢٨).

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران:٨٣).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أن عمر أتاه فقال إنا نسمع أحاديث من اليهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها فقال: « لتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي »[١].

- وعن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك قال فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ فقال عمر رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا قال فسري عن النبي ﷺ ثم قال: « والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ضلالا بعيدا ألا إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من الأنبياء »[٢].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٢٠٠) عن يحيى بن بكير وعن موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد وقد روينا عن مجالد عن الشعبي.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠١٠.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٢٦٥) عن عبد الرزاق قال أنبأنا سفيان عن جابر عن الشعبي.. >

- وعن جابر أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال يا رسول الله هذه نسخة من التوراة فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير فقال أبو بكر ثكلتك الثواكل ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ﷺ: « والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل ولو كان حيا وأدرك نبوتي لا اتبعني »[1].

- وعن الزهري أن حفصة زوج النبي ﷺ جاءت إلى النبي ﷺ بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرأ عليه والنبي ﷺ يتلون وجهه فقال: « والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتوني لضللتم »[2].

- عدم تقليد أصحاب الديانات الأخرى لأن هؤلاء قد ضلوا السبيل وتقليدهم يعني انحراف المسلمين عن الصراط المستقيم، وضياع معالم الدين، مما يؤدي إلى تفكك الأمة وانهيارها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة:٧٧).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (البقرة:١٦٥).

> به، والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ٣٠٧) بإسناده. والطبراني في المعجم الكبير (٩ / ١١٨) بإسناده، والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ٣٠٧) عن علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا محمد بن غالب بن حرب ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن جابر الجعفي عن الشعبي عن عبد الله بن الحارث قال دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي ص بكتاب فيه مواضع من التوراة فقال هذه كتب أصبتها مع رجل من أهل الكتاب أعرضها عليك فتغير وجه رسول الله ص تغيرا شديدا لم أر مثله قط فقال عبد الله بن الحارث لعمر أما ترى وجه رسول الله ص فقال عمر رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسرى عن النبي ص فقال النبي ص:.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠١١.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الدارمي في المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ وقول غيره ثم قوله ﷺ (٤٣٦) عن محمد بن العلاء حدثنا ابن نمير عن مجالد عن عامر.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠١٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦ / ١١٣) عن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر.. به، والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ٣٠٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠١٣.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده قال ثم كنا قعودا حول رسول الله ﷺ في مسجده بالمدينة فجاءه جبريل عليه السلام بالوحي فتغشى رداءه فمكث طويلا حتى سري عنه وكشف رداءه فإذا هو تعرق عرقا شديدا وإذا هو قابض على شيء فقال أيكم يعرف ما يخرج من النخل فقال الأنصار نحن يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا ليس شيء يخرج من النخل إلا نحن نعرفه نحن أصحاب نخل ثم فتح يده فإذا فيها نوى فقال ما هذا ؟ فقالوا: هذا يا رسول الله نوى قال: نوى أي شيء ؟ قالوا: نوى سنة قال: « صدقتم جاءكم جبرائيل يتعاهد دينكم لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل ولتأخذن بمثل أخذهم إن شبرا فشبرا وإن ذراعا فذراعا وإن باعا فباعا حتى لو دخلوا في جحر ضب دخلتم فيه، ألا إن بني إسرائيل افترقت على موسى سبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام ثم أنكم تكونون على ثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة الإسلام وجماعتهم »[1].

- إن اتباع القرآن والسنة يحقق سيادة الشريعة والمسارعة في الخيرات الناتجة عن تقوى القلوب، مما يرتقي بالمؤمنين إلى مدارج عالية، كما يحمي الأمة من الابتعاد عن النهج السليم الذي يؤدي بها إلى الارتداد للقهقرى، وهو ما يسمى في عصرنا الحاضر بالتخلف. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ (المؤمنون:٥٧-٦١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام:٧١).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٣).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧ / ١٣) عن علي بن المبارك الصنعاني ثنا إسماعيل بن أبي أويس ثنا كثير بن عبد الله.. به. والحاكم في المستدرك (١ / ٩٣) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٥٩.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن جري بن كليب السدوسي قال رأيت عثمان بن عفان ينهى عن المتعة وعلي بن أبي طالب يأمر بها فأتيت عليا فقلت إن بينكما لشرا: عـن جري بن كليب قال: رأيت عليا يأمر بشيء وعثمان ينهى عنه. فقلت لعلي: إن بينكما لشرا؟ قال: ما بيننا إلا خير، ولكن خيرنا اتبعنا لهذا الدين [1].

- وعن أبي بن كعب قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه وما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فأقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة ييبس ورقها فهي كذلك إذ أصابها ريح شديد فتحات عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه، كما تحات عن تلك الشجرة ورقها وإن اقتصادا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنة فانظروا أن يكون عملكم إن كان جهادا أواقتصادا أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم[2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه البزار في مسنده (٣/ ٩٧) عن محمد بن المثنى قال نا محمد بن جعفر قال نا شعبة عن قتادة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٣٩.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٤) عن علي بن محمد بن أحمد بن بكر ثنا الحسن بن عثمان انبا يعقوب بن سفيان ثنا عبد الله بن عثمان انبا عبد الله بن المبارك أنا الربيع بن أنس عن أبي داود.. به، وعبد الله بن المبارك في الزهد (١/ ٢٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٦٠.

فصل في البدع

يأتي هذا الفصل تبعا للباب السابق وهو « الاعتصام بالكتاب والسنة » حيث أن منابع الاجتهاد لجميع المتغيرات التي تطرأ مع كل عصر يجب أن تكون من القرآن والسنة الشريفة، ثم سنة الخلفاء الراشدين، ثم إجماع الأمة من العلماء العابدين العاملين المتفقهين في علوم الدين والدنيا. وهذا هو الاجتهاد المحمود الذي يخلق روافد متعددة تجمع بين أصول الشريعة ومتغيرات العصر.. أما التجديد الذي لا يلتزم بتعاليم الشريعة وقائم على الرأي النابع من هوى النفوس، أو التأثر بالنظريات الغربية أو الشرقية أو الديانات الأخرى، فهو مرفوض كلية، وهو ما يسمى البدع التي تقوض العقيدة وتحيد عن أصول الشريعة وقد حذر الرسول ﷺ من تلك البدع لأنها تقود الأمة إلى منحدرات خطرة وتيارات هادمة ونرى هذا التحذير في النقاط التالية:

- يبين الرسول ﷺ أن الاتباع لأصول الشريعة وروافدها هو المطلوب، أما الابتداع خارجها فهو مرفوض كلية، لأن الشريعة فيها من القوانين ما يكفي حيث أنها تتسم بالاتساع والمرونة التي تتوافق مع كل العصور.

قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف:٣).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال:٦٤).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الزمر:٥٥).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن عبد الله قال: « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »[1].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٥٤) عن محمد بن النضر الأزدي ثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي عبد الرحمن السلمي.. به، موقوفا، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨١) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١١٢.

- يحذر الرسول ﷺ كل من تسول له نفسه السعي على انحراف الأمة عن المنهاج القويم بابتداع قوانين ونظريات مستوردة ما أنزل الله بها من سلطان، فهذا غش للأمة يزلزل عقيدتها و يشيع الفساد في الأرض. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٥).

وقال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ٥٠).

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (الأعراف:٣٧).

وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (آل عمران:٨٧).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال خطبنا علي فقال من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة صحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب وقال فيها قال رسول الله ﷺ: « من أحدث حدثا أو أوى محدثا أو ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا »[١].

- وعن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: « من خالف جماعة المسلمين شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه »[٢].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث (٢١٢٧) عن هناد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش.. به، وقال: هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن علي عن النبي ﷺ. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٢٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٠٢) عن جرير بن عبد الحميد الضبي عن مطرف خالد بن وهبان.. به، وقال: خالد بن وهبان لم يجرح في رواياته وهو تابعي معروف إلا أن الشيخين لم يخرجاه وقد روي هذا المتن عن عبد الله بن عمر بإسناد صحيح على شرطهما أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل ثنا أبو صالح حدثني الليث حدثني يحيى بن سعيد قال كتب إلي خالد بن أبي عمران قال حدثني نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال ثم من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه وقال من مات وليس عليه إمام جماعة فإن موته موتة جاهلية الحديث الرابع فيما يدل على إجماع العلماء حجة، ووافقه الذهبي وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٢٢.

- ويبين الرسول ﷺ أن الله لا يقبل من أصحاب البدع أي عمل من صلاة أو صوم أو صدقة أو حج أو عمرة أو جهاد أو غير ذلك إلا أن يتوبوا. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:٧٧).

﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾ (التوبة:٥٣-٥٤).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:٢٧).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[1].

- وهناك بعض الأحاديث الشريفة التي تبين أن الله لا يقبل التوبة من أصحاب البدع وهذه يقصد بها من مات مصرا على ضلاله لأمة الإسلام. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (البقرة:١٦١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (البروج:١٠).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء:١٧).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١١٩) عن أبي عمرو محمد بن عبد الله الأديب أنبأ أبو بكر الإسماعيلي أخبرني أبو يعلى ثنا محمد يعني الدولابي ثنا إبراهيم بن سعد ثنا أبي عن القاسم بن محمد.. به، وأبو يعلى في مسنده (٨ / ٧٠) بإسناده، وأبو داود في السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٦) بإسناده، وابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه (١٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٠١.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن ابن عباس وعن القاسم بن محمد عن عائشة قالا ثم دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا أصوات كدوي النحل قراءة القرآن فقال: « إن الإسلام يشيع ثم تكون له فترة فمن كانت فترته إلى غلو وبدعة فأولئك أهل النار »[1].

- وتبين السنة الشريفة أن من يبتدع ابتداعا سيئا في المعاملات سوف تدور عليه الدوائر ويشرب من نفس الكأس التي أذاق منها أمة محمد مصداقا لقول الحق: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ (النساء:٨٥).

وقال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (النحل:٢٥).

و نرى ذلك في الحديث التالي:

- عن بشر بن عبيد وكان شيخا قديما قال كنا مع طاوس ثم المقام فسمعنا ضوضاءة فقال ما هذا فقيل قوم أخذهم ابن هشام في سبب فطوقهم فسمعت طاوسا يحدث عن بن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « ما من أحد يحدث في هذه الأمة حدثا لم يكن فيموت حتى يصيبه ذلك »[2].

- ومن أصحاب البدع الذين وصفهم الرسول ﷺ ويستحقون القتل هم الرافضة حيث يرفضون الإسلام و يلفظونه، فهم مشركون مفسدون. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (محمد:٣٢).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣١٨) عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا مسروق بن المرزبان سنان ثنا المسيب بن شريك العامري عن عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب القرظي.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٣) بإسناده، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وقد تقدمت أحاديث بنحو هذا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٠٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٤) عن خلف بن عمرو العكبري ثنا الحميدي ثنا سلمة بن سيسن الخياط المكي حدثني بشر بن عبيد.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥١) بإسناده، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال سلمة بن سيسن ووثقه ابن حبان. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٠٩٩.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة:٣٣)

و نرى ذلك في الحديث التالي:

– عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ، « يكون قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الإسلام ويلفظونه فاقتلوهم فإنهم مشركون »[١].

– ومن البدع التي ستظهر التكذيب بكل ما أخبر عنه الرسول ﷺ من الدجال وطلوع الشمس من مغربها والشفاعة والحوض وخروج بعض الناس من النار بعدما امتحشوا.. وهؤلاء عاقبتهم وخيمة حيث قال الحق جل شأنه:

﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ (الشعراء:٦).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ (غافر:٧٠).

وقال تعالى: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ (الرحمن:٤٣).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن يوسف بن مهران أنه سمع ابن عباس يقول أمر عمر بن الخطاب مناديا فنادى أن الصلاة جامعة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس إنه سيكون يكذبون بالدجال، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بالحوض، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا[٢].

---

(١) حديث حسن الإسناد أخرجه عبد بن حنميد في مسنده (١/ ٢٣٢) عن هشام بن القاسم ثنا عمران بن زيد ثنا الحجاج بن تميم عن ميمون بن مهران..به والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٤٢) بإسناده، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ١١٦) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢) بإسناده، وقال رواه الطبراني وإسناده حسن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٢٨.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٣٣٠) عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن جدعان عن يوسف بن مهران.. به، والحارث في مسنده (٢/ ٧٥٥) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٧٤.

- ومن البدع التي ستظهر قوم يقولون: « الإيمان كلام » وهذا يتناقض مع قول الحق حيث الإيمان لابد له من عمل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف:٢-٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ (النساء:٦٦).

وقال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:١٨٨).

- كما يدعون أن الصلاة اثنتين وليس خمسة وهذا يتعارض مع سنة الرسول ﷺ النابعة من أوامر القرآن. قال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر:٧).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن حذيفة قال: إني لأعرف أهل دينين هما في النار، قوم يقولون الإيمان كلام، وقوم يقولون ما بال الصلوات الخمس وإنما هما صلاتان[1].

- إن يوم القيامة هو يوم الندم لجميع من حاد عن المنهاج النبوي الشريف واتبع أخلاء لن يغنوا عنه من الله شيئا.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ (الفرقان:٢٧-٢٩).

---

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٢٤) عن أبي نا الوليد بن مسلم نا أبو عمرو يعني الاوزاعي عن يحيى ابن أبي عمرو السيباني.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٧٧.

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ (٦٦) وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ (٦٧) رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (الأحزاب:٦٦-٦٨).

ونرى ذلك فى الحديث التالى:

-عن أنس عن النبي ﷺ: «ما من داع دعا رجلا إلى شيء إلا كان معه موقوفا يوم القيامة لا زما به لا يفارقه وإن دعا رجل رجلا »[١].

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٨٦) عن عن بشر.. به، والدارمي في المقدمة (٥١٦) بإسناده، والترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة الصافات (٣٢٢٨) عن أحمد بن عبدة الضبي حدثنا المعتمر بن سليمان حدثنا ليث بن أبي سليم عن بشر عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ:.. به وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٧) بإسناده، وقال: هكذا حدث به الحسن بن أحمد التستري عن عبد الله بن معاذ عنه ولو جاز لنا قبوله منه لكنا نصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١١٠.

الباب الثالث

في لواحق كتاب الإيمان

وفيه ستة فصول

الفصل الأول

في الصفات

إن الأحاديث التي تتناول صفات الله في هذا الفصل هي دعوة إلى ترسيخ أعماق الإيمان في قلوب المؤمنين فالإيمان بحر لجي متلاطم الأمواج يحتاج إلى الاسترشاد بالنبوة لتنير لنا السبيل في كيفية اعتلاء تلك الأمواج لتحقيق النجاة.. ويوضح لنا الرسول ﷺ في هذا الفصل بعض الخطوات في هذا المجال.. نذكرها فيما يلي:

- تدعو الأحاديث الشريفة إلى التوجه إلى الله بالدعاء والتوسل إليه، لأن يمين الله ملأى لا ينقص منها الإنفاق على العباد آناء الليل وأطراف النهار وإن الدعاء مخ العبادة، وانتظار الفرج يدعو إلى الخشوع لله واليقين بقدرته فهو الخافض والرافع وهو الرزاق ذو القوة المتين. قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النمل:٦٢).

وقال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٦).

وقال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون:٧).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر: ٢١).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:٢٦).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة:١٠٧)

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض »[١]

- وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع »[٢].

- يعلم الرسول ﷺ المؤمنين كيفية اليقين بالله فلا يستشفع بالله على أحد إلا بإذنه، ويعلمهم بذلك المكانة السامية لله، فهو فوق عرشه، وعرشه على سماواته وإنه ليئط به من شدة الأنوار الإلهية.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (البقرة:٢٥٥).

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (الزمر:٤٤).

وقال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الشورى:٥).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٥٠٠) عن عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرزاق بن همام ثنا معمر عن همام بن منبه قال.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٣٠.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الدارقطني في الصفات (١/ ١٨) عن أبي الفضل جعفر بن محمد بن يعقوب الصندلي حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا شبابة بن سوار حدثنا ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٦٣.

و نرى ذلك فى الحديث التالى:

– عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال يا رسول الله جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك قال رسول الله ﷺ ويحك أتدري ما تقول وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: « ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد إن شاء والله أعظم من ذلك ويحك أتدري ما الله؟ إن الله فوق عرشه وعرشه على سمواته، وأرضه مثل القبة وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب »[1].

– ومن صفات الحق جل شأنه العفو و الكرم فى الحساب فمن عمل حسنة فله عشر أمثالها، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو يغفرها الله حيث لا يغفر الله الشرك به ولكن يغفر ما دون ذلك لمن يشاء. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٤٨).

وقال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (الأنعام:١٦٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: « يقول الله من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئا جعلت له مثلها مغفرة ومن اقترب إلي شبرا اقتربت إليه ذراعا ومن اقترب إلي ذراعا اقتربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة »[2].

– وعن المعرور بن سويد أن أبا ذر قال حدثنا الصادق المصدوق ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: « قال ربكم عز وجل: الحسنة بعشر والسيئة بواحدة أو أغفرها ومن لقيني

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو داود في السنة، باب في الجهمية (٤٧٢٦) عن عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار وأحمد بن سعيد الرباطي قالوا حدثنا وهب ابن جرير قال أحمد كتبناه من نسخته وهذا لفظه قال حدثنا أبي قال سمعت محمد بن إسحق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٣٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٦٩) عن أبي معاوية حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٣٣.

بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي لقيته بقراب الأرض مغفرة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا »[1].

- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: « يقول الله عز وجل ابن آدم قم إلي أمش إليك وامش إلي أهرول إليك، ابن آدم إن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا، وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا، ابن آدم إن حدثت نفسك بحسنة فلم تعملها كتبتها لك حسنة وإن عملتها كتبتها لك عشرا وإن هممت بسيئة فحجزك عنها هيبتي كتبتها لك حسنة واحدة وإن عملتها كتبتها لك سيئة »[2].

- ومن صفات المولى عزَّ وجلَّ حبه العظيم لأوليائه، وهذا الحب نتيجة أداء ما فرضه الله على المؤمنين بكل إخلاص وتفاني ومحاولة القرب من الله ليس بأداء الفروض فقط، بل والنوافل أيضا، وكل سبل الخير التي أهمها ذكر الله على كل حال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وساعتها فإنه ينال الخير الكثير من الحق وأهمها الاستجابة له والمعية معه والنصرة له على أن يعلم المؤمن أن تلك الاستجابة تكون بحكمة الله فهو الحكيم الخبير. و لذا فهناك دعوة من الحق للمؤمنين بذكر الله والاقتراب منه بقدر المستطاع، لأن هذا القرب يقابله قرب أعظم من المولى عزَّ وجلَّ. قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس:٦٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة:١٨٦).

وقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة:١٥٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف:٥٦).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٤٨) عن عفان حدثنا همام حدثنا عاصم عن المعرور بن سويد.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٧٨.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٢٧٥) عن علي بن حمشاذ العدل ثنا إسماعيل بن إسحاق ومحمد بن غالب قالا ثنا أبو همام محمد بن محبب ثنا إبراهيم بن طهمان عن منصور عن ربعي بن حراش عن المعرور بن سويد.. به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٨٣.

وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (يونس:٢٦).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون:١-١١).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي صالح قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل: « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة »[1].

- وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: « قال الله تعالى من آذى لي وليا فقد استحل محاربتي وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها وأذنه التي يسمع بها ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته وذاك لأنه يكره الموت وأنا أكره مساءته »[2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣١٤) عن عفان قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا سليمان الأعمش قال حدثنا أبو صالح قال.. به، وابن ماجه في الأدب (٣٨٢١) بإسناده. والبيهقي والترمذي في الموضعين السابقين. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٣٥.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٥٦) عن عبد الله حدثني أبى ثنا حماد وأبو المنذر قالا ثنا عبد الواحد مولى عروة عن عروة.. به، والحكيم الترمذي في نوادره (٢/ ٢٣٢) بإسناده، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٥٢٠) بإسناده، والطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ١٣٩) بإسناده، والبيهقي في الزهد الكبير (٢/ ٢٧٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٥٧.

- وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منه وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة»[1].

- وينبه المولى عزَّ وجلَّ أن تلك الولاية لا تستلزم تنفيذ رغبات المؤمن في كل حال، بل هي تخضع لمشيئة الله وعلمه بمصلحة العباد. قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر:٢١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام:١١٧).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن أنس عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه تبارك وتعالى قال: من أخاف وفي لفظ من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي المؤمن يتنفل إلي حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا، إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته، وفي لفظ دعاني فأجبته، وسألني فأعطيته ونصح لي فنصحت له، وما ترددت في شيء أنا فاعله، وما ترددت في قبض نفس مؤمن يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه، وإن من عبادي المؤمنين لمن يشتهي الباب من العبادة فأكفه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده، ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو بسطت له لأفسده ذلك،

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٣٨) عن عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة.. به، وعبد بن حميد في مسنده (١ / ٣٥٣) بإسناده.

قال المناوي في فيض القدير (٤ / ٤٩٤): قال الله تعالى عبدي: بحذف حرف النداء، إذا ذكرتني خاليا عن الخلائق أو عن الالتفات لغيري وإن كنت معهم ذكرتك خاليا أي إن ذكرتني بالتنزيه والتقديس سرا ذكرتك بالثواب والرحمة سرا وقال ابن أبي جمرة يحتمل كونه كقوله تعالى فاذكروني أذكركم البقرة ١٥٢ معناه اذكروني بالتعظيم اذكركم بالإنعام وقال تعالى ولذكر الله أكبر العنكبوت ٤٥ أي أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف أمنه أو مستوحش آنسه ألا بذكر الله تطمئن القلوب الرعد ٢٨. وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وأكبر: وهذا تنويه عظيم بشرف الذكر قال بعض العارفين الذاكر ربه حياته متصلة دائمة لا تنقطع بالموت فهو حي وإن مات بحياة هي خير وأتم من حياة المقتول في سبيل الله ومن لا يذكر الله ميت وإن كان في الدنيا بين الأحياء فإنه حي بالحيلة العالم حي بحياة الذكر فمثل الذاكر وغيره مثل الحي والميت. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٧٧.

وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته لأفسده ذلك، إني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير[1] .

- ومن صفات الله سبحانه وتعالى التي يجب أن يؤمن بها المؤمنون أنه لا ينام وإلا فسدت السموات والأرض وإليه يرفع عمل الليل والنهار، وحجابه النور، لو تجلى على العباد لاحترقوا.. قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٥).

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف:١٤٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور:٣٥).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن أبي موسى قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣١٩) عن أبي علي محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا عبد الجبار بن عاصم ح وحدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ثنا أحمد بن يحيى الحلواني ح وحدثنا مخلد بن جعفر ثنا أحمد بن محمد بن يزيد البرائي قالا ثنا الحكم بن موسى ثنا عبد الملك بن يحيى الحسني عن صدقة الدمشقي عن هشام الكناني.. به، و البخاري في الرقاق (٦٥٠٢) بإسناده باختلاف يسير في اللفظ. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٨٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان (١٧٩) عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا >

- ومن صفات الله أنه يتجلى للمؤمنين ضاحكا يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (يونس:٢٦).

وجاء في تفسير ابن كثير لتلك الآية: الزيادة هي تضعيف ثواب الأعمال فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضا، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين.. وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم[1].. ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة:٢٢-٢٣).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن الزبير قال: سألت جابرا عن الورود قال جابر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يتجلى لهم ضاحكا »[2].

- هناك أحاديث كثيرة تأمر المؤمنين باتقاء الوجه في القتال فلا يتعمد تشويهه، لأن الله خلق آدم على صورته، ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك.. والمقصود من تلك الأحاديث أن الصورة ليست حقيقية ولكن معنوية وهذا نستدل عليه من قول الإمام النورسي: « إن صفات الله عزَّ وجلَّ كالعلم والقدرة، وأسمائه الحسنى كالحكيم والرحيم والمالك و.... لأنها مطلقة لا حدود لها ومحيطة بكل شيء لا شريك لها ولا ند ولا يمكن الإحاطة بها، لذا كان لابد من وضع حد فرضي وخيالي لتلك الصفات والأسماء المطلقة ليكون وسيلة لفهمها.. وهذا ما تفعله « أنا » في الإنسان، فهي وحدة قياسية تعرف بها أوصاف الربوبية وشئون الإلهية. فمثلا: يفهم الإنسان بمالكيته الظاهرية في الدنيا، مالكية خالقه الحقيقية فيقول: كما أنني مالك لهذا البيت فالخالق سبحانه كذلك مالك لهذا الكون، ويعلم بعلمه الجزئي

> أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة.. به.وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (١٩٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٣٩.

(١) صحيح مختصر تفسير ابن كثير. دار السلام. المجلد الثاني. ص٨٤٤.

(٢) حديث حسن لغيره. أخرجه الدارقطني في الصفات (١ / ٢٩) عن يوسف بن يعقوب النيسابوري حدثنا نصر ابن علي حدثنا الحسين بن أبي عروبة و الحجاج بن منهال و مهنا بن شبل قالوا حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ:.. به.

علم الله المطلق.. أي أن «أنا» يفتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى»[١] ومن هنا جاء القول من عرف نفسه فقد عرف ربه»، وجاءت الأحاديث التي تبين أن الله خلق آدم على صورته، فالصورة قبس معنوي من أسماء الله الحسنى وصفاته.

وهذا نراه في قول الحق، حيث عبر عن جوهر الإنسان بالوجه فقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٣٠).

وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ (الروم:٤٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:١١٥).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٢).

وقال تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الروم:٣٨).

ونرى ما تقدم في الأحاديث التالية:

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليتق الوجه»[٢].

- وعن عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا المغيرة يعني الحزامي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته»[٣].

---

(١) كليات رسائل النور - بديع الزمان سعيد النورسي - الكلمات، الكلمة الثلاثون «رسالة الأنا» بتصرف.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في البر والصلة، (٢٦١٢).. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٤٠.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٦١٢) عن شيبان بن فروخ حدثنا أبو عوانة عن سهيل عن أبيه.. به. وعبد بن حميد في مسنده (١ / ٢٨٣) عن إبراهيم بن الأشعث ثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٤٢.

– وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه»[1].

– وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته»[2].

– وعن قتادة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا ضربتم فاتقوا الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته»[3].

– وتبين لنا الأحاديث أن رؤية الله في المنام ممكنة نبعا من قول الحق عزَّ وجلَّ:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورى:٥١).

و قد رأى الرسول ﷺ ربه فى المنام عدة مرات و كانت هناك محاورات عما يختصم فيه الملأ الأعلى أهمية تمام الوضوء لتحقيق الطهارة اللازمة لحضرة الحق، وكذلك ملازمة بيوت الله لإقامة الصلاة وانتظار الصلاة بعد الصلاة..

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة:٦).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩/ ٤٤٤) عن عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش عن عطية العوفي.. به، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٨) بإسناده، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٨٠) بإسناده. وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٨) بإسناده.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩/ ٤٤٥) عن عبدالرزاق عن يحيى البجلي عن ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم.. به، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤٥) بإسناده، والدارقطني في الصفات (١/ ٣٥) بإسناده، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٥٥). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٤٥.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩/ ٤٤٤) عن عبد الرزاق عن معمر.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٤٧.

وقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (النور:٣٦).

وقال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (النور:٣٧).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (المعارج:٢٣).

و نرى ذلك في الحديث التالي:

- عن أبي رافع قال ثم خرج علينا رسول الله ﷺ مشرق اللون فعرف السرور في وجهه فقال: « رأيت ربي في أحسن صورة فقال: لي يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت يا رب في الكفارات قال وما الكفارات قلت إبلاغ الوضوء أماكنه على الكراهيات والمشي على الأقدام إلى الصلاة وانتظار الصلاة بعد الصلاة »[1].

- يعلمنا الرسول الأمين ﷺ أن الله لا يهمه الأعمال الظاهرية، ولكن يهمه القلوب وبما عمرت به من اليقين، فما كان منها عامرا بالخير وحب الحق يثبته، ومن كان يشوبه الزيغ والميل إلى الباطل فإنه يصرفه عن طريق الحق جزاء وفاقا لأنهم لم يعملوا بقولهم ولم يصدقوا الله ما وعدوه.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:٧).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف:٥).

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران:٨).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١ / ٣١٧) عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري الكوفي ثنا عباد بن يعقوب الأسدي ثنا عبد الله بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن الحسن عن أبيه عن جده عن عبيد الله بن أبي رافع.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٣٧) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن إبراهيم بن الحسين عن أبيه ولم أر من ترجمها قلت ويأتي أحاديث من هذا النوع في انتظار الصلاة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٥١.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (الأنفال:٧٠).

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (إبراهيم:٢٧).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله يقول: « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الله كقلب واحد فإذا شاء صرفه وإذا شاء بصره »[١].

- وعن شهر بن حوشب قال قلت لأم سلمة يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك قالت كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت فقلت يا رسول الله ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال: « يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ »[٢].

- وعن أبي إدريس الخولاني يقول سمعت النواس بن سمعان الكلابي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من قلب إلا وهو معلق بين أصبعين من أصابع الرحمن إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويضع آخرين إلى يوم القيامة »[٣].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٨٨) عن المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال أخبرني أبو هانىء الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٦٥.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٤٤٤) عن أبي موسى الأنصاري حدثنا معاذ بن معاذ عن أبي كعب صاحب الحرير حدثني شهر بن حوشب قال.. به، وقال: وهذا حديث حسن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٦٧.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٨٢) عن الوليد بن مسلم قال سمعت يعني ابن جابر يقول حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول.. به، وابن ماجه في المقدمة، (١٩٥) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢١) من طريقين آخرين عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم تركها الذهبي وإنما هو على شرطهما كما ذكرنا فإن رجاله كلهم من رجالهما ثم رأيته أخرجه في مكان آخر ٢ ٢٨٩ وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٦٨.

– وعن سبرة بن فاتك أن رسول الله ﷺ قال: « الميزان بيد الله يرفع قوما ويضع قوما وقلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرب عز وجل إذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه »[١].

– ويحذر الرسول ﷺ الناس جميعا من نار جهنم حيث لها القدرة على استيعاب ما لا يعد من البشر.. كما يرغبهم أيضا في الجنة واتساعها أيضا.

قال تعالى:

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ (ق:٣٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه فتنزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط، وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله خلقا آخر فيسكنهم في فضول الجنة »[٢].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (١/ ٤٠٣) عن المعمري الحسن بن علي نا ابن مصفا نا محمد بن حرب حدثني الزبيدي عن من حدثه عن جبير بن نفير.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١١٧) بإسناده، الهيثمي في المجمع (٧/ ٢١١) بإسناده، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٩) و (٤/ ٣٢١) من طريقين آخرين عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي. ومعنى قوله: بين أصبعين: أي هو سبحانه قادر على تقليب القلوب باقتدار تام كما يقال فلان بين أصبعي ويراد به كمال التصرف فيه فهو تمثيل، أو أراد بالأصبعين الداعيتين؛ لأن القلب صالح لميله إلى الإيمان والكفر ولا يميل لأحدهما إلا عند حدوث داعية وإرادة يحدثها الله تعالى قال الطيبي وفي جمع القلوب إشعار برأفته ورحمته على أمته من أصابع الرحمن نسب تقلب القلوب إليه تعالى إشعارا بأنه تولى بنفسه أمر قلوبهم ولم يكله لأحد من ملائكته وخص الرحمن تعالى بالذكر إيذانا بأن ذلك لم يكن إلا لمحض رحمته وفضل نعمته كي لا يطلع أحد غيره على سرائرهم ولا يكتب عليهم ما في ضمائرهم. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٧٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٣٤) عن بهز وعفان قالا حدثنا أبان قال بهز بن يزيد العطار حدثنا قتادة.. به، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٣٥٦) بإسناده، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٨) بإسناده، والترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة ق (٣٢٧٣) بإسناده، والنسائي في السنن الكبرى (٧٧١٩) بإسناده، وقال:، وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٥٩) بإسناده، وابن حبان في صحيحه (١/ ٥٠١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٧١.

- وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: « إن جهنم تسأل المزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط »[1].

- وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فهنالك تنزوي وتقول قط قط »[2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الدارقطني في الصفات (١ / ١٤) عن أبي عبد الله المعدل أحمد بن عمر بن عثمان بواسط حدثنا عيسى بن أبي حرب حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا عبد الغفار بن القاسم قال حدثني عدي بن ثابت حدثني زر بن حبيش.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٧٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الدارقطني في الصفات (١ / ١٥) عن أحمد بن محمد بن سعيد أخبرنا أحمد بن الحسن بن سعيد بن عثمان حدثنا أبي حدثنا حصين بن مخارق عن يونس بن عبيد وداود بن أبي هند وصالح المري عن محمد بن سيرين.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٧٣.

الفصل الثاني

في قلة الإسلام وغربته

إن موضع ذلك الفصل لم يكن عبثا، حيث وضعه عالمنا الشيخ تقي الدين الهندي رضي الله عنه وأرضاه في موضع ذكي بعد الاعتصام بالكتاب والسنة والبدع وصفات المولى عزَّ وجلَّ.. وهو يقصد بذلك الموضع ما يلي:

- أن الاعتصام بالكتاب والسنة يحمي المسلمين من استحداث البدع التى ليس لها أصول شرعية، كما يحمي المسلمين من الانبهار بالحضارات المعاصرة والأخذ من قوانينهم وثقافاتهم، فهذا يؤدي إلى زيغ القلوب والبعد عن مصادر الحق، فيغير الله على دينه ويقلب قلوبهم، فيصبح الإسلام غريبا على نفوسهم، لا يتقبلون مبادئه بشوق ولهفة ويقين أن فيها نفع حياتهم الدنيوية والأخروية، وبدون تلك المبادئ لن تقوم لهم قائمة مهما اغترفوا من ثقافات عصرهم.

- إن غربة الإسلام ليس لها زمن معين، بل هي في دورات وتقلبات حسب قلوب المسلمين ومدى اعتصامهم بهدي الرسول الأمين، فكلما اقترب المسلمون من نبع الشريعة فإنها تضيء قلوبهم نورا يسدد خطاهم ويهديهم إلى الطريق القويم، وكلما ابتعدوا عنها وضعف تطبيقهم لمبادئ الشريعة واقعا عمليا، كلما ضعف الإسلام وأهله وشعروا بالغربة والتشتت في الحياة و التاريخ خير دليل على ذلك.. قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ (مريم:٥٩-٦٠).

إن الإخلاص للدين من متطلبات العقيدة، و إلا حدث انحراف عن المنهاج القويم يؤدى إلى فساد الأمم وهلاكها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف:٢٩-٣٠).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ (إبراهيم:٢٨).

- يجب أن يحرص المسلمون على هدى الإسلام و يعضوا عليه بالنواجذ حتى لا تجرفهم تيارات أهل الكتاب من اليهود و النصارى الذين يريدون زلزلة المسلمين عن عقيدتهم. قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة:١٠٩).

وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة:١٢٠).

وقال تعالى: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٠٩).

و قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٠٠).

- إن موت الرسول ﷺ لا يعني انقلاب المسلمين عن دينهم و البعد عن مصادرهم الشرعية من الكتاب و السنة التي تحيى مواتهم المعنوي و المادي، فإذا فعلوا ذلك فلن يضروا إلا أنفسهم. قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٤).

وهكذا فإن قلة الإسلام و غربته ناشئة عن تفريط المسلمين في الاعتصام بالكتاب و السنة و انتشار البدع مما يعني الخضوع لتحديات اليهود والنصارى التي تهدف إلى افتتان الناس في دينهم، لإضعاف الإسلام وغربته في نفوس أهله، فتلك الغربة ناتجة عن عدم الاعتصام بالكتاب والسنة وانتشار البدع، وتزداد وتنقص تلك الغربة حسب اقتراب الناس

من مصادر الشريعة أو البعد عنها. وشرح الفقهاء قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: من الآية:٣) بقولهم: «إن تلك أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الأنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه عن طريق رسوله الأمين، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق ولا كذب فيه كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام: من الآية:١١٥) أي صدقا في الأخبار وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة، فيجب أن يرضاه المؤمنون لأنفسهم، لأنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام وأنزل به أشرف كتبه.. وقال السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام»[1].

ونظرا لأن كل كمال يعقبه نقصان، فسوف تظل تلك دورة الإسلام في القلوب وفي التطبيق العملي... فعلى قدر قوة يقين المؤمنين على قدر شموخ الإسلام والمسلمين، أما من يضعف منهم أمام التحديات التي تزعزع العقيدة، فلن يضر إلا نفسه، لأن راية الحق ستظل قائمة برجال يحبهم الله ويحبونه لا يبالون بمن ضل عن سبيل الهدى.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:٥٤).

ونستشف تلك المعاني من أحاديث هذا الفصل بكامله وهي الأحاديث التالية:

– عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال: «لينقضن الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة»[2].

---

(١) صحيح مختصر ابن كثير. دار السلام. المجلد الأول ص٤٩٣، ٤٩٤.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٢٥١) عن الوليد بن مسلم حدثني عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله أن سليمان بن حبيب حدثهم.. به. وابن حبان في صحيحه (١٥ / ١١١) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٤ / ١٠٤) بإسناده، وقال: عبد العزيز هذا هو بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب وإسماعيل هو بن عبيد الله بن المهاجر والإسناد كله صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٩٠.

- وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء »[١].

- وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها »[٢].

- وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز إلى جحرها »[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وإنه يأرز بين المسجدين (١٤٥) عن محمد بن عباد وابن أبي عمر جميعا عن مروان الفزاري قال ابن عباد حدثنا مروان عن يزيد يعني ابن كيسان عن أبي حازم.. به، وابن ماجه في الفتن، باب بدأ الإسلام غريبا (٣٩٨٦) بإسناده، وابن ماجه في الفتن، باب بدأ الإسلام غريبا (٣٩٨٧) عن حرملة بن يحيى حدثنا عبد الله بن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال:.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٤٦) عن محمد بن زريق بن جامع المصري وزكريا بن يحيى الساجي قالا ثنا بن السرح ثنا أبو سليم بكر بن سليم الصواف ثنا أبو حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله ﷺ :.. به، و (٦/ ٢٥٦) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا إبراهيم بن الحسن العلاف ثنا عبيس بن ميمون عن عون بن أبي شداد عن أبي عثمان عن سلمان قال قال رسول الله ﷺ :.. به، و (١١ / ٧٠) عن علي بن عبد العزيز ثنا صالح بن عبد الله الترمذي ثنا جريو عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ :.. به. قال المناوي في فتح القدير (٢/ ٣٢٢): ومعنى بدأ الإسلام غريبا:أي ظهر غريبا في قلة من الناس ثم انتشر، وسيعود؛ أي وسيلحقه النقص والخلل حتى لا يبقى إلا في قلة غريبا كما بدأ هكذا ثبتت هذه اللفظة، والمراد: أنه لما بدأ في أول وهلة نهض بإقامته والذب عنه ناس قليلون من أشياع الرسول ونزاع القبائل فشردوهم عن البلاد ونفروهم عن عقر الديار يصبح أحدهم معتزلا مهجورا ويبيت منبوذا كالغرباء، ثم يعود إلى ما كان عليه لا يكاد يوجد من القائمين به إلا الأفراد ويحتمل أن المماثلة بين الحالة الأولى والأخيرة قلة ما كانوا يتدينون به في الأول وقلة من يعملون به في الآخر ثم إنه أكد ذلك بقوله كما بدأ ولم يكتف بقوله وسيعود غريبا لما في الموصول من ملاحظة التهويل، وأراد بالإسلام أهله؛ لدلالة ذكر الغرباء. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٩٢.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وإنه يأرز بين المسجدين (١٤٦) عن محمد بن رافع والفضل بن سهل الأعرج قالا حدثنا شبابة بن سوار حدثنا عاصم وهو ابن محمد العمري عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٩٣.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٢٨٦) عن حماد بن أسامة حدثنا عبيد الله عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم.. به، وابن ماجه في المناسك، باب فضل المدينة (٣١١١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٩٧.

– وعن عبد الرحمن بن سنة أنه سمع النبي ﷺ يقول: « بدأ الإسلام غريبا ثم يعود كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس والذي نفسي بيده لينحازن الإيمان إلى المدينة كما يحوز السيل والذي نفسي بيده ليأرزن الإسلام ما بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها »[١].

– وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « يوشك أن ينطوي الإسلام في كل بلد إلى المدينة كما تنطوي الحية إلى جحرها »[٢].

وينصحنا الرسول ﷺ في حالة غربة الإسلام أن نعتصم بالله بكل شدة، وأن نفر إليه بديننا حتى تتحقق لنا النجاة في الآخرة. قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٦).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (لقمان:٢٢).

وقال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات:٥٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ابن زيد بن ملحة عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: « إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي »[٣].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٧٣) عن عبد الله قال ثنا أبو أحمد الهيثم بن خارجة قال ثنا إسماعيل بن عياش عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٠١.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الرامهرمزي في الأمثال (١ / ١٢٨) عن هاشم بن القاسم الهاشمي ثنا الزبير بن بكار ثنا ابن نافع عن عطية بن رفاعة المري عن عمه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٠٣.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الترمذي في الإيمان، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا (٢٦٣٠) عن عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا إسمعيل بن أبي أويس حدثني كثير بن عبد الله بن عمرو.. به، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٩٤.

- وعن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله ﷺ: « **إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قالوا: يا رسول الله وما الغرباء قال: الذين يصلحون عند فساد الناس** »[1].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٦٤) عن حمد بن زريق بن جامع المصري وزكريا بن يحيى الساجي قالا ثنا بن السرح ثنا أبو سليم بكر بن سليم الصواف ثنا أبو حازم.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٧) عن سهل رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال بكر بن سليم وهو ثقة، (٧/ ٢٨٧) عن عبد الرحمن بن سنة، وقال: رواه عبد الله والطبراني وفيه إسحق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١١٩٨.

الفصل الثالث

في خطرات القلب وتقلبه

تبين الأحاديث الشريفة في هذا الفصل دور القلب في حفظ أنوار الحق حيث أشد القلوب حفظا لتلك الأنوار هي أكثرها لينا ورقة مما يجعلها تخضع لله و رسوله و تخشى الرحمن بالغيب، و تعمر القلوب بالرأفة و الرحمة النابعين من التقوى و ابتغاء رضوان الله. كما تبين الأحاديث تعاون القلب مع الجوارح في تنفيذ شريعة الحق منهاجا تطبيقيا، فإذا صلح القلب صلحت معه الجوارح وصار المنهاج راقيا يحقق الحضارة والرقي للأمة الإسلامية.. وإذا فسد القلب فسدت معه الجوارح، فصار المنهاج معوجا لا يحقق الغرض المنشود منه.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٩).

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزمر:٢٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحجرات:٣).

وقال تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ق:٣٣).

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (الحديد:٢٧).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « يـدخل الجنة أقوام أفئدتهم مـثل أفئدة الطير »[1].

- وعن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: « إن في الرجل مضغة إذا صحت صح لها سائر جسده وإن سقمت سقم لها سائر جسده قلبه »[2].

ويوضح لنا الرسول ﷺ تقلبات القلوب، وقد سمي القلب قلبا لتقلبه، لهذا فهو يحتاج من المؤمن إلى تثبيت للإيمان والاعتصام بحبل الله المتين حتى لا تؤدي أعمال الجوارح إلى رين القلوب وزيغها عن الحق، والانحراف وراء تيارات الباطل العاتية. ويتم ذلك بالمداومة على ذكر الله والطاعات.. وهذا ما كان يشغل الرسول ﷺ حرصا ورأفة على قلوب المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (إبراهيم:٢٧).

وقال تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ (الكهف:١٤).

وقال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة:١٠).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٣١) عن أبي النضر حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا أبي عن أبي سلمة.. به، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير (٢٨٤٠) بإسناده. قال المناوي في فيض القدير (٦ / ٤٦٠): يدخل الجنة أقوام أفئدتهم: أي قلوبهم، مثل أفئدة الطير في رقتها ولينها كما في خبر أهل اليمن أرق أفئدة أي أنها لا تحمل أشغال الدنيا فلا يسعها الشيء وضده كالدنيا والآخرة أو في التوكل كقلوب الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وفي الهيبة والرهبة لأن الطير أفزع شيء وأشد الحيوان خوفا لا يطيق حبسا ولا يحتمل إشارة هكذا أفئدة هؤلاء مما حل بها من هيبة الحق وخوف جلال الله وسلطانه لا يطيق حبس شيء يبدو من آثار القدرة ألا ترى كان إذا رأى شيئا من آثارها كغمام فزع فإذا أمطرت سري عنه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٠٨.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه معمر بن راشد في جامعه (١١ / ٢٢١) عن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الأعمش عن خيثمة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٢٣.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (آل عمران: ١٥٤).

وقال تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ (الأنفال: ١١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (الصف: ٥).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال قال عمر بن الخطاب لعلي بن ابي طالب يا ابا الحسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاث اسالك عنهن هل عندك منهن علم قال علي وما هن قال الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا قال نعم قال رسول الله ﷺ أن الأرواح في الهواء جنود مجندة تلتقي فتشام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف قال عمر واحدة والرجل يحدث الحديث اذا نسيه اذ ذكره فقال علي سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من القلوب إلا وله سحابة كسحابة القمر بينما القمر يضيء إذا علته سحابة فأظلم إذ تجلت »[1].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥ / ٢٤٨) عن محمد بن الفضل السقطي قال حدثنا محمد بن عبد الله بن ابي حماد العطار الطرسوسي قال حدثنا عبدالرحمن بن مغراء قال حدثنا عن الأزهر بن عبد الله الأودي قال حدثنا محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله بن عمر.. ثم ذكره، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٦٢) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أزهر بن عبد الله قال إذنه محفوظ عن ابن عجلان وهذا الحديث يعرف من حديث إسرائيل عن أبي إسحق عن الحارث عن علي موقوفا وبقية رجاله موثقون. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٠٩.

- وعن أبي كبشة قال سمعت أبا موسى يقول على المنبر قال رسول الله ﷺ: « إنما سمي القلب من تقلبه إنما مثل القلب مثل ريشة بالفلاة تعلقت في أصل شجرة تقلبها الريح ظهر البطن »(١).

- وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ: « مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح »(٢).

- وعن سليمان بن سليم قال قال المقداد بن الأسود لا أقول في رجل خيرا ولا شرا حتى أنظر ما يختم له يعني بعد شيء سمعته من النبي ﷺ قيل وما سمعت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لـقلب ابن آدم أشد تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا »(٣).

- وعن أبي عبيدة بن الجراح قال: « قـلب ابن آدم مثل العصفور تتقلب في اليوم سبع مرات »(٤).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٤٠٨) عن عبد الله حدثني أبي ثنا عفان ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا عاصم الأحول عن أبي كبشة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢١٠.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٤٧٣) عن أبي طاهر الفقيه وأبو علي الروذباري قالا ثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن معاوية النيسابوري أنا أبو عمر أحمد بن عبدالجبار العطاردي أنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي سفيان.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٢٩.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ٤) عن هاشم بن القاسم حدثنا الفرج حدثنا سليمان بن سليم قال.. به، والحاكم في المستدرك (٢ / ٣١٧) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ورده الذهبي بأن فيه معاوية بن صالح لم يرو له البخاري اه وقال الهيثمي رواه الطبراني بأسانيد أحدها ثقات. قال المناوي في فيض القدير (٥ / ٢٨١): لقلب ابن آدم أشد انقلابا من القدر إذا استجمعت غليانا؛ فإن التطارد لا يزال فيه بين جندي الملائكة والشياطين فكل منهما يقلبه إلى مرامه ويلفته إلى جهته فهو محل المعركة دائما إلى أن يقع الفتح لأحد الحزبين فيسكن سكونا تاما. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢١٢.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٤٧٤) موقوفا عن أبي طاهر الفقيه أنا أبو بكر القطان ثنا أحمد بن يوسف ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن ثور عن خالد بن معدان.. به، ومرفوعا عن أبي عبدالرحمن السلمي أنا عبد الله بن محمد بن علي ثنا عبد الله بن شيرويه ثنا إسحاق الحنظلي ثنا بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن أبي عبيدة بن الجراح عن رسول الله ﷺ قال:.. به. قال المناوي في فيض القدير (٢ / ٤٧٥): العصفور: الطائر المعروف، يتقلب في اليوم سبع مرات: الظاهر أن المراد بالسبع تكثير التقليب لا التحديد أخذا من نظائره، ثم الكلام في قلب الإنسان لا في مطلق الحيوان كما نطق به الخبر، وخصه لأنه محل المعارف والعلوم والأفعال والاختيارية وإدراك الكليات والجزئيات، والحيوان وإن وجد فيه شكله وقام به ما يدرك مصالحه ومنافعه ويميز به بين مفاسده ومضاره لكنه إدراك جزئي طبيعي وشتان ما بينه وبين إدراك العلميات والاعتقاديات وبهذا المعنى امتاز عن بقية الأعضاء وكان صلاحها بصلاحه وفسادها بفساده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢١٣.

- وعن أبي إدريس الخولاني يقول سمعت النواس بن سمعان الكلابي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من قلب إلا وهو معلق بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة »[١].

- وعن أنس قال كان النبي ﷺ يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال فقلنا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال فقال نعم: « إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها »[٢]

- وعن أبي عبد الرحمن الحبلي أنه سمع عبد الله ابن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف شاء »[٣].

- إن هذا التقلب للقلب كان يشعر به المؤمنون بحسهم الإيماني المرهف حيث كانوا يرون خشوع القلب في حضرة الرسول ﷺ خشوعا يجعلهم كأنهم يرون الجنة والنار رأى العين، فإذا خرجوا من عنده تغيرت حالتهم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحجرات: ٣).

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٩١) عن الوليد بن مسلم قال سمعت يعني ابن جابر يقول حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول.. به، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهيمة (١/ ١٩٩) بإسناده. والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٦) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح عن أنس بن مالك، ووافقه الذهبي. قال المناوي في فيض القدير (٥/ ٤٩٣): قال الفخر الرازي هذا عبارة عن كونه مقهورا محدودا مقصورا مغلوبا متناهيا وكلما كان كذلك امتنع أن يكون له إحاطة بما لا نهاية له والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢١٥.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٨٢) عن حدثنا أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان.. به، والترمذي في القدر (٢١٤٠) بإسناده، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٣) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢١٦.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٦٨) عن أبي عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي.. به، ومسلم في القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٦٥٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢١٧.

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح ٢٩).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن حنظلة التميمي الأسيدي الكاتب قال كنا عند رسول الله ﷺ فذكرنا الجنة والنار حتى كأنا رأي عين فأتيت أهلي وولدي فضحكت ولعبت وذكرت الذي كنا فيه فخرجت فلقيت أبا بكر فقلت نافقت نافقت فقال إنا لنفعله فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «والذي نفسي بيده لو كنتم تكونون في بيوتكم على الحالة التي تكونون عليها عندي لصافحتكم الملائكة ولأظلتكم بأجنحتها ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»[1].

- وعن حنظلة الكاتب الأسيدي، وكان من كتاب النبي ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ فذكرنا الجنة والنار حتى كأنا رأي عين، فقمت إلى أهلي وولدي فضحكت ولعبت فذكرت الذي كنا فيه، فخرجت فلقيت أبا بكر فقلت: نافقت يا أبا بكر. قال: وما ذاك؟ قلت نكون عند النبي ﷺ يذكرنا الجنة والنار كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عنده عافسنا[2] الأزواج والأولاد الضيعات فنسينا. فقال أبو بكر إنا لنفعل ذلك، فأتيت النبي ﷺ، فذكرت له ذلك فقال: يا حنظلة لو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطريق، يا حنظلة ساعة وساعة[3].

ويبين الرسول ﷺ أنواع القلوب، و هي أربعة:

- قلب أجرد: وهو قلب المؤمن سراجه فيه نور، لأنه عمر بنور الإيمان.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١٧٨) عن أبي نعيم حدثنا سفيان عن سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي.. به، والترمذي في صفة القيامة، باب ٥٩ (٢٥١٤) بإسناده، وابن ماجه في الزهد، باب المداومة على العمل (٤٢٣٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٢١.

(٢) أي لامسنا ولاعبنا.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١٧٨) عن أبي نعيم حدثنا سفيان عن سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة بن الربيع الأسيدي.. به، وابن ماجه في الزهد، باب المداومة على العمل (٤٢٣٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٩٦.

يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور:٣٥).

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٥٧).

- قلب أغلف (وهو قلب الكافر): وهو القلب الذي طبع عليه الله فلا يخرج منه الضلال ولا يدخل إليه الهدى.

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٠١).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (غافر:٣٥).

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون:٣).

- قلب منكوس (وهو قلب المنافق): وهو القلب الذي يعرف الحق ثم ينكره لما فيه من مرض. قال تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (الحج:٥٣).

- قلب مصفح: قلب فيه إيمان ونفاق فأيها غلب كانت العاقبة. قال تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ١٤٣).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (الحديد:١٦).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– **عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الأجرد فقلب** المؤمن سراجه فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق كمثل القرحه يمدها القيح والدم فأي المدتين غلبت على الآخرى غلبت عليه»[1].

ونتيجة تحذير الرسول صلى الله عليه و سلم من تقلبات القلوب لذا فسقد حرص المؤمنون على ألا يدخل تقلبات القلب في أحكامهم حتى لا يكون الحكم تبعا للهوى بل يكون الحكم خاضعا لأوامر الحق. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٣٥).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٨).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– **عن قتادة قال ذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان يقول: أما قلبي فلا أملك، ولكن أرجو أن أعدل فيما سوى ذلك**[2].

كما حرص المؤمنون على تثبيت القلب بعبادة الله في كل وقت لتجديد الأنوار وإزالة ما علق بالقلب من أغيار.

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٧) عن أبي النضر حدثنا أبو معاوية يعني شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البختري.. به، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٦٨) عن أبي معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة:.. به موقوفا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٢٦.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٣١٤) عن بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٩٣.

قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج:٥٤).

وقال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:١١٤).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ومن مسند عبد الله بن رواحة عن أبي الدرداء قال: كان عبد الله بن رواحة يأخذ بيدي فيقول: تعال نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانها[١].

- وعن بلال بن سعد أن أبا الدرداء قال: كان عبد الله بن رواحة إذا لقيني قال لي يا عويمر اجلس نتذاكر ساعة، فنجلس فنتذاكر، ثم يقول: هذا مجلس الإيمان مثل الإيمان مثل قميصك بينا إنك قد نزعته إذ لبسته وبينا إنك قد لبسته إذ نزعته، القلب أسرع تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانها[٢].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٢٥٣) عن إبراهيم بن محمد بن عرق الحمصي ثنا عمرو بن عثمان ثنا بقية بن الوليد ثنا عبد الله بن سالم عن أبي سلمة سليمان بن سليم عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه.. به، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٠٢) بإسناده، وقال: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات وبقية هو ابن الوليد وقد صرح بالتحديث على أنه لم يتفرد به بل واحد كما في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٧٢). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٠٠.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق (٢٨/ ١١١) عن أبي محمد بن الأكفاني نا عبد العزيز بن أحمد أنا تمام بن محمد أنا أبوعبد الله بن مروان نا أبو الحسن أحمد بن نصر بن شاكر نا أبوسلمة إسحاق ابن سعيد الجمحي نا سعيد بن عبد العزيز.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٠١.

الفصل الرابع

في الشيطان ووسوسته

يحذر الرسول ﷺ في هذا الفصل من الشيطان ووسوسته، نبعا من تحذير الحق لنا من خطورة الشيطان علينا وذلك فيما يلي:

- أن عداوته للإنسان أزلية ومنذ بدء الخليقة، وأنه عدو يرانا ولا نراه كما قال المولى عزّ وجلّ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف:٢٧).

- أنه أعلن عداوته للإنسان أمام الله بكل تبجح. قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر:٣٩).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأعراف:١٦-١٨).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء:٦٢-٦٤).

- أن من يدخل في رحاب الإيمان بطاعة الله ورسوله فإنه يكون في مأمن من كيد الشيطان وسيطرته على الإنسان كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء:٦٥).

– أما من اختار الكفر والفسوق والعصيان فإن الشياطين تستحوذ عليهم وتزيد من تيار التمرد عندهم. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (مريم:٨٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (المجادلة:١٩).

– ولهذا فقد وضع لنا الرسول ﷺ الخطوات العملية في رد كيد الشيطان بوسوسته للإنسان، وذلك فيما يلي:

– وقف الرسول ﷺ موقفا حازما تجاه القضايا الجدلية أو الفلسفية التى تثار تحت مسميات شتى وتلك القضايا ينفذ منها الشيطان ليوهن عقيدة المسلمين ومنها السؤال عن بداية الخلق والتسلسل منها إلى خالق الكون، ثم الانحدار منها إلى السؤال الذي يؤدي إلى هاوية الفكر وهو: من خلق الله جل شأنه ؟ وهنا ينبهنا الرسول الأمين ﷺ، معلم البشرية الأكبر، بضرورة التوقف عند ذلك السؤال والرجوع إلى الحق، امتثالا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف:٢٠١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخلاص).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: « إن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول من خلقك فيقول الله فيقول من خلق الله فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه »[1].

– وعن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « قال الله تعالى إن أمتك لا تزال تقول ما كذا ما كذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله »[2].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ٢٥٧) عن محمد بن إسماعيل قال حدثنا الضحاك عن هشام بن عروة عن أبيه.. به. والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣٣) بإسناده، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٣٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣١٧) عن عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرزاق بن همام ثنا معمر عن همام بن منبه قال.. به، ومسلم في الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (١٣٦) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٣١.

– وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « يـأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقولوا من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينتهي »[١].

– وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « يـوشك الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم »[٢].

– وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله ورسوله »[٣].

– وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم »[٤].

– وعن محمد بن سيرين قال كنت عند أبي هريرة فسأله رجل عن شيء لم أدر ما هو قال فقال أبو هريرة الله أكبر سأل عنها اثنان وهذا الثالث سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن رجالا سترتفع بهم المسألة حتى يقولوا الله خلق الخلق فمن خلقه »[٥].

– وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: « لـن يدع الشيطان أن يأتي أحدكم فيقول من خلق السموات والأرض فيقول الله فيقول فمن خلقك فيقول الله فيقول فمن خلق الله فإذا أحس أحدكم بذلك فليقل آمنت بالله ورسوله »[٦].

---

(١) حديث صحيح. أخرجه أبو عوانة في مسنده (١ / ٨٠) عن أبي إسماعيل الترمذي قال ثنا الحميدي قال ثنا سفيان قال ثنا هشام ابن عروة عن أبيه.. به، وقال: قالوا لسفيان هو عن أبي هريرة قال نعم لا شك فيه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٣٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في السنة، باب في الجهمية (٤٧٢١) عن هارون بن معروف حدثنا سفيان عن هشام عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٣٦.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في السنة، باب في الجهمية (٤٧٢١) عن هارون بن معروف حدثنا سفيان عن هشام عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٤١.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٣١٣) عن أبي اليمان حدثنا صفوان عن ماعز التميمي.. به، ومسلم في صفة القيامة، (٢٨١٢) بإسناده، والترمذي في البر والصلة، (١٩٣٧) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٤٦.

(٥) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٢٨٢) عن عبد الرزاق قال سمعت هشام بن حسان يحدث عن محمد بن سيرين قال.. به. وابن منده في الإيمان (١ / ٤٨١) بإسناده. ولم أجده عند الطبراني في أي من معاجمه بهذا اللفظ. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٤٨.

(٦) حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١ / ٣٦٢) عن العباس بن أحمد بن حسان السامي >

– وعن المحرر بن أبي هريرة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: « لا يزال الناس يقولون كان الله قبل كل شيء فما كان قبله »[١].

– ويعلمنا الرسول ﷺ كيفية التفرقة بين الخواطر الشيطانية والخواطر الملائكية. حيث الأولى تحرك نوازع الشر والتكذيب بالحق في نفس الإنسان، أما الأخرى، فهي تحرك نوازع الخير والتصديق بالحق في نفس الإنسان.. فإذا وجد المسلم خواطر الخير في نفسه فعليه أن يحمد الله، وإذا وجد خواطر الشر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا يسب الشيطان اعتمادا على نفسه حتى لا يتعاظم عليه الشيطان.

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ٢٠٠).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان »[٢].

– ومن تعاليم الرسول ﷺ القيمة أنه يحذر كل مسلم من قرينه من الجن، وهذا لتمام مجاهدة المسلمين على طريق الحق، فكلما علم المسلم أن هناك عدوا لا يغفل عنه، كلما ازدادت يقظته وحذره من هذا العدو فيحاسب نفسه على كل تقصير صدر منها، لاستقامتها على طريق الحق.

> بالبصرة حدثنا كثير بن عبيد المذحجي حدثنا مروان بن معاوية أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٥٠.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٣١) عن يحيى عن مجالد قال حدثنا عامر عن المحرر بن أبي هريرة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٥١.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة (٢٩٨٨) عن هناد حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني..به، والنسائي في السنن الكبرى (١١٠٥١)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٧٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٤٠.

قال تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (الصافات:٥١-٥٧)..

وقال تعالى: ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴾ (ق:٢٧-٢٨).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ (النساء:٣٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف:٣٦-٣٩).

وقال تعالى: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ (فصلت:٢٥).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك قال وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير »[1].

- وعن شريك بن طارق قال قال رسول الله ﷺ: « ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا ولك يا رسول الله قال ولي ولكن الله أعانني عليه فأسلم وما منكم من أحد يدخله عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »[2].

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٨٥) عن يحيى عن سفيان حدثني منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه.. به، ومسلم في صفة القيامة، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا (٢٨١٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٤٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣٢٦) عن بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز بالبصرة حدثنا بشر بن معاذ العقدي حدثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة.. به، وابن قانع في معجم الصحابة >

- ويحذرنا الرسول ﷺ من اتجاهات الشيطان في إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، لتنفك عرى الأمة.. وهذا التحذير نابع من تحذير المولى عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء:٥٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة:٩١).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم »[1].

- ويحذر الرسول ﷺ من الاستسلام لوسوسة الشيطان. إن أخطر دسائس الشيطان هو أنه يلبس على ذوي القلوب الصافية والحس المرهف، ويوهمهم بالشك في بعض يقينيات الإيمان، وعندئذ يظن هذا المؤمن ذو الحس المرهف أنه قد هوى في الكفر والضلالة، ويتوهم أنه قد زال يقينه الإيماني، فيقع في اليأس والقنوط. و يطمئن الرسول ﷺ المؤمنين الذين ينزعجون من تلك الوساوس ويبين لهم أنها دليل الإيمان حيث لم يقدر الشيطان على غير ذلك.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المجادلة:١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ (ق:١٦).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت:٦٩).

> (١ / ٣٣٨) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ٤٢١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٧٧.

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٣١٣) عن أبي اليمان حدثنا صفوان عن ماعز التميمي.. به، ومسلم في صفة القيامة (٢٨١٢) بإسناده، والترمذي في البر والصلة (١٩٣٧) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٤٦.

وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:٨٧).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عبد الله قال ثم سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة فقال: « ذاك محض الإيمان »[١].

- وعن ابن مسعود قال: سألنا رسول الله ﷺ عن الرجل يجد الشيء لو خر من السماء فتخطفه الطير كان أحب إليه من أن يتكلم به. قال: ذاك محض الأيمان، أو صريح الأيمان[٢].

- وعن عمارة بن أبي حسن المازني عن عمه ثم أن الناس سألوا رسول الله ﷺ عن الوسوسة التي يجدها أحدهم لأن يسقط من الثريا أحب إليه من أن يتكلم به فقال رسول الله ﷺ: « ذاك صريح الإيمان إن الشيطان يأتي العبد فيما دون ذلك فإن عصم منه وقع فيما هنالك »[٣].

- وعن عائشة رضي اللهم عنها قالت شكوا إلى رسول الله ﷺ ما يجدون من الوسوسة وقالوا: يا رسول الله إنا لنجد شيئا لو أن أحدنا خر من السماء كان أحب إليه من أن يتكلم به فقال النبي ﷺ: « ذاك محض الإيمان »[٤].

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٨٣) عن محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا يوسف بن يعقوب الصفار ثنا علي بن عثام بن علي بن سعيد بن الخمس عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة.. به، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٧ / ٨٩) بإسناده. والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣٤) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح وشيخ الطبراني ثقة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٠٨.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٧ / ٨٩) عن أبي حفص عمر بن محمد بن الحسن الفرغولي نا أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الدهستاني الحافظ وكتبه لي بخطه أنا المحسن بن طاهر بن أفلح الطرسوسي أبو الفضل المالكي بدمشق أنا عبد الرحمن بن عثمان الشاهد نا أبو الوليد هشام بن محمد بن جعفر الكندي نا عثمان بن خرزاذ نا يوسف بن يعقوب قال سمعت علي بن عثام يذكر عن سعير بن الخمس عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٠٩.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٥٠٨) عن عمرو بن علي عن أبي داود قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عمارة بن أبي حسن المازني.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣٥) بإسناده، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات أئمة. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٥٧.

(٤) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ١٠٦) عن مؤمل حدثنا حماد عن ثابت عن شهر بن حوشب عن خاله..به، وأبو يعلى في مسنده (٧ / ١٥٦) عن محمد بن بكار حدثنا عباد بن عباد المهلبي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قالوا ثم يا رسول الله أرأيت أحدنا يحدث نفسه بالشيء الذي لأن يخر من السماء فينقطع أحب إليه من أن يتكلم به فقال رسول الله ﷺ: « تلك محض الإيمان »، والطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٨٣) >

– وعن ابن عباس قال قيل ثم يا رسول الله الرجل منا يجد الشيء يحدث نفسه لأن يكون حممة أحب اليه من أن يتكلم به قال قال أحدهما: « الحمد لله الذي لم يقدره منكم إلا على الوسوسة »[١].

– وعن معاذ بن جبل قال قلت ثم يا رسول الله ﷺ والذي بعثك بالحق إنه ليعرض في صدري الشيء لأن أكون حممة أحب إلي من أن أتكلم به فقال رسول الله ﷺ: « الحمد لله إن الشيطان قد آيس أن يعبد بأرضي هذه، ولكن قد رضي بالمحقرات من أعمالكم »[٢].

– ويعلمنا الرسول ﷺ كيف يواجه المسلم وسوسة الشيطان ونزعاته وذلك بأن يستعيذ بالله حيث يحفظه الله من الشيطان الذي يخنس بذكر الله.

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (فصلت:٣٦).

وقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (المؤمنون:٩٧).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف:٢٠١)

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ (سورة الناس).

> عن محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا يوسف بن يعقوب الصفار ثنا علي بن عثام بن علي بن سعيد بن الخمس عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال ثم سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة فقال:.. به.ومعنى قوله « محض الإيمان » أي صدق الإيمان. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٥٨.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١./ ٣٥٢) عن يونس قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة عن منصور والأعمش عن ذر عن عبد الله بن شداد بن الهاد.. به، والطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٣٣٨) بإسناده، والبيهقي في شعب الإيمان (١ / ٣٠٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٦٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ١٧٢) عن علي بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا عمر بن ذر قال سمعت أبي يذكر.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣٤) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير وهو من رواية ذر بن عبد الله عن معاذ ولم يدركه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٦٣.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن ابن عباس ثم أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يخيل إليه في صلاته أنه أحدث ولم يحدث فقال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان يأتي أحدكم وهو في صلاته حتى يفتح مقعدته فيخيل إليه إنه أحدث ولم فإذا وجد أحدكم ذلك فلا ينصرف حتى يسمع صوت ذلك بأذنه أو يجد ريح ذلك بأنفه »[١].

- وعن ابن عباس ثم أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يخيل إليه في صلاته أنه أحدث ولم يحدث فقال رسول الله ﷺ : » إن الشيطان يأتي أحدكم فينقر عند عجانه فلا يخرجن حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا أو يفعل ذلك متعمدا »[٢].

- وعن سعيد المقبري قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: « إن أحدكم إذا كان في الصلاة جاء الشيطان فأبس به كما يأبس الرجل بدابته فإذا سكن له أضرط بين إليتيه ليفتنه عن الصلاة فإذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا »[٣].

- وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ. » إن أحدكم إذا كان في المسجد جاء الشيطان فأبس منه كما يأبس الرجل بدابته فإذا سكن له زنقه وألجمه »[٤].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١ / ٢٢٢) عن العباس بن الفضل الأسفاطي ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أبي عن ثور بن زيد عن داود بن الحصين عن عكرمة.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٤٢) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير والبزار بنحوه ورجاله رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٦٩.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١ / ٢٢٢) عن العباس بن الفضل الأسفاطي ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أبي عن ثور بن زيد عن داود بن الحصين عن عكرمة.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٤٢) عن رواه الطبراني في الكبير والبزار بنحوه ورجاله رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٧٠.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٣٠) عن أبي بكر الحنفي حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري قال.. به.والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٤٢) بإسناده، وقال: رواه أحمد و أبو داود باختصار ورجال أحمد رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٧١.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٣٠) عن أبي بكر الحنفي حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري.. به، ثم ذكر بعده: قال أبو هريرة فأنتم ترون ذلك أما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر الله وأما الملجوم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٧٢.

- وعن عبيد بن رفافة الزرقي قال: قلت يا رسول الله الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي. فقال: ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسست به فاتفل على يسارك ثلاثا، وتعوذ بالله من شره[1].

- وقد تعلم الصحابة نتيجة ما تلقونه من فقه عن رسول الله ﷺ كيف يواجهون نزعات الشيطان فيحافظون على وضوئهم وصلاتهم وعباداتهم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (فاطر:٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (النحل:٩٩).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون:١-٢).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي رجاء العطاردي قال: قدم طلحة والزبير فخففف، فقلنا: ما هذا؟ قال: بادرت الوسواس[2].

- وعن أبي رجاء قال: صلى بنا الزبير صلاة فخفف فقيل له، فقال: إني أباد، الوسواس[3].

- ويبين لنا الرسول الأمين ﷺ بدليل مادي واقعي عداوة الشيطان للإنسان المؤمن، حيث اجترأ على السول ﷺ شيطان رجيم يلقي عليه شرر النار ليفتنه عن الصلاة ولكنه لم يقدر علي النبي المعصوم ﷺ فإذا كان هذا حال الشيطان مع سيد الخلق، فما بالنا نتغافل عن عداوته ؟!.

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢ / ٨٥) عن عبد الرزاق عن الثوري عن سعيد الجريري قال حدثنا يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عثمان بن أبي العاص قال قلت يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين قراءتي فقال النبي ﷺ :.. به، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦ / ٧٦) بإسناده، وأحمد في مسنده (٤ / ٢١٦) بإسناده، ومسلم في السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة (٢٢٠٣) بإسناده.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢ / ٣٦٦) عن عبد الرزاق عن معمر.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٠٤.

(٣) أثر حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢ / ٣٦٧) عن عبد الرزاق عن الثوري عن عوف.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٠٥.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحج:٥٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ (النساء:١١٩).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (فاطر:٦).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن جابر: « إن الشيطان كان يلقي علي شرر النار ليفتنني عن الصلاة فتناولته فلو أخذته ما انفلت مني حتى يناط إلى سارية من سواري المسجد ينظر إليه ولدان أهل المدينة »[١].

– وعن أبي الدرداء قال قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال: « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة »[٢].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٢٢٤) عن بشر بن موسى ثنا خلف ثنا إسرائيل عن سماك.. به، وعبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٢٤) بإسناده، وأحمد في مسنده (٥/ ١٠٤) بإسناده. والهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٨٧) بإسناده، وقال: رواه أحمد وله في رواية صلي بنا رسول الله ﷺ فجعل ينتهر شيئا قدامه والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٨٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة (٥٤٢) عن محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح يقول حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني.. به، والنسائي في السهو، باب لعن إبليس والتعوذ بالله منه في الصلاة (١٢١٥) بإسناده. قال النووي في شرحه (٥/ ٣٠): قال القاضي يحتمل تسميتها تامة أي لا نقص فيها ويحتمل الواجبة له المستحقة عليه أو الموجبة عليه العذاب سرمدا وقال القاضي وقوله ﷺ: =

- وعن أبي عبيد صاحب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلي معتما بعمامة سوداء مرخ طرفها من خلف مصفر اللحية فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال: « لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل »[١].

- وعن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: « مر علي الشيطان فتناولته فأخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي وقال أوجعتني أوجعتني ولولا دعاء سليمان لأصبح مناطا إلى اسطوانة من أساطين المسجد ينظر إليه ولدان أهل المدينة »[٢].

- وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه رضي الله عنه قال قام رسول الله ﷺ يصلي صلاة الغداة فأهوى بيده قدامه فسأله رجل من القوم حين قضى الصلاة فقال: « جاء الشيطان فانتهرته ولو أخذته لربطته إلى سارية من سواري المسجد حتى يطوف به ولدان أهل المدينة »[٣].

= ألعنك بلعنة الله وأعوذ بالله منك: دليل الجواز الدعاء لغيره وعلى غيره بصيغة المخاطبة خلافا لابن شعبان من أصحاب مالك في قوله: إن الصلاة تبطل بذلك. قلت: وكذا قال أصحابنا تبطل الصلاة بالدعاء لغيره بصيغة المخاطبة كقوله للعاطس رحمك الله أو يرحمك. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٨٢.

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٨٢) عن أبي أحمد حدثنا مسرة بن معبد حدثني أبو عبيد صاحب سليمان قال.. به. والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٨٧) بإسناده، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٨٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤١٣) عن أسود بن عامر أنبأنا إسرائيل قال ذكر أبو إسحاق عن أبي عبيدة.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٨٨) بإسناده، وقال: رواه أحمد وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه وبقية رجاله رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٨٦.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٨٩) عن أبي جعفر البغدادي ثنا محمد بن أحمد بن سعيد الرازي ثنا أبو زرعة الرازي ثنا محمد بن سعيد بن سابق ثنا عمرو بن أبي قيس عن سماك عن عبد الله بن عتبة بن مسعود.. به، وقال هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (١/ ٤٥٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٨٧.

– وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: خرجت لصلاة الصبح فلقيني شيطان في السدة سدة المسجد فزحمني حتى إني لأجد مس شعره فاستمكنت منه فخنقته حتى إني لأجد برد لسانه على يدي فلولا دعوة أخي سليمان لأصبح مقتولا ينظرون إليه »[١].

– وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إذا أصبح إبليس بعث جنوده فيقول من أضل اليوم مسلما ألبسته التاج فيجيؤون فيقول هذا لم أزل به حتى طلق امرأته فيقول يوشك أن يتزوج ويجيء هذا فيقول لم أزل به اليوم حتى عق والديه فيقول يوشك أن يبر ويجيء هذا فيقول لم أزل به حتى أشرك فيقول أنت أنت ويلبسه التاج »[٢].

– وعن أبي علي الحداد أنا أبو نعيم نا إسحاق بن حمزة ثنا إبراهيم بن يوسف ثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ثنا أبو بكر بن عياش عن حميد يعني الكندي عن عبادة بن نسي عن أبي ريحانة قال قال رسول الله ﷺ: « إن إبليس ليضع عرشه على البحر دونه الحجب يتشبه بالله عز وجل ثم يبث جنوده فيقول من لفلان الآدمي فيقوم إثنان فيقول قد أجلتكما سنة فإن أغويتماه وضعت عنكما البعث وإلا صلبتكما »[٣].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٩٤) عن علي بن عاصم ثنا أبو هارون العبدي.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٨٨.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٠) ب عن أبي زكريا يحيى بن محمد العنبري ثنا إبراهيم بن أبي طالب ثنا أبو كريب ونصر بن علي قالا ثنا أبو أحمد الزهري ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٤) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه عطاء بن السائب اختلط وبقية رجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٨٩.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٢٣/ ٢٠١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٤) عن أبي ريحانة، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن طلحة اليربوعي ضعفه النسائي وذكره ابن حبان في الثقات، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٩٠.

الفصل الخامس

في ذم أخلاق الجاهلية والتفاخر بالآباء

(دعوة لاكتمال الإيمان وتحقيق المساواة ومجابهة التمييز العنصري بكل أشكاله)

جاهد الرسول ﷺ جهادا عظيما لتحرير الناس من العادات والتقاليد التي لا تتفق مع مبادئ الإسلام السامية.. ومن تلك العادات التفاخر بالآباء وذلك لإرساء حجر الأساس للمساواة في القيمة الإنسانية المشتركة والقضاء على التمييز العنصري القائم على الاعتزاز بالنسب والحسب، لمنع الاستعلاء الذي يولد الظلم. وهكذا فإن أحاديث هذا الفصل تدور في إطار تطبيق مبادئ الحق حيث يفتح الإسلام آفاقاً جديدة من الحرية أمام الإنسانية تتذوق فيها معاني المساواة الحقيقية وتنسى حزازات الماضي ومساوئه، وتنظر إلى المستقبل بنظرة إيمانية جديدة وتوحيد الوجهة وتحرير القلوب من العبودية لغير الله...ونرى جهاد الرسول فى تطبيق الشريعة فى النقاط التالية:

- يقرر الإسلام أنه لا فرق بين الناس بحسب الأصل فكلهم لآدم وآدم من تراب، فالتفاضل الأخروي يكون بالعمل الصالح، أما في الدنيا فلا مكان لإهدار كرامة الإنسان بالتمييز العنصري حتى تقام دعائم الأمة على أسس متينة من العدل والمساواة لذلك قد حذر المولى عزَّ وجلَّ من افتتان الناس بآبائهم والاتكال عليهم في استمداد الجاه والعظمة لأنهم سيقفون أمام الحق حيث الموازين الإلهية التي تقيس أعمال الناس بالتقوى. وقد بين المولى عزَّ وجلَّ أن الإيمان يمنع التفاخر بالآباء إذ يطهر القلب من حمية الجاهلية التي تظهر مع الكفر. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات:١٣).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ (لقمان:٣٣).

وقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (التوبة: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾ (الفتح: ٢٦).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أبي بن كعب قال رأيت رجلا تعزى عند أبي بعزاء الجاهلية افتخر بأبيه فأعضه بأبيه ولم يكنه ثم قال لهم أما إني قد أرى الذي في أنفسكم إني لا أستطيع إلا ذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا سمعتم من يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا »[(١)].

– وعن أبي ريحانة أن رسول الله ﷺ قال: « مـن انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا وكرما كان عاشرهم في النار »[(٢)].

– وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن »[(٣)].

---

(١) حديث صحيح الإسناد أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٣٦) عن يحيى بن سعيد حدثنا عوف عن الحسن عن عتي.. به، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٨١٠) بإسناده، وابن حبان في صحيحه (٧ / ٤٢٤) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (١ / ١٩٨) بإسناده، قال المناوي في فيض القدير (١ / ٣٨١): إذا سمعتم من يعتزي بعزاء الجاهلية فأعضوه: أي اشتموه بهن، ولا تكنوا عن ذلك بما لا يستقبح؛ فإنه جدير بأن يستهان به ويخاطب بما فيه قبح وهجر زجرا له عن فعله الشنيع وردعا له عن قوله الفظيع، وقيل معناه من انتسب وانتمى إلى الجاهلية بإحياء سنة أهلها واتباع سبيلهم في الشتم واللعن والتعبير ومواجهتكم بالمنكر فاذكروا له قبائح آبائه من عبادة الأصنام وشرب الخمر وغيرهما صريحا لا كناية ليرتدع به عن التعرض للأعراض. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٩١.

(٢) حديث صحيح الإسناد أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١٣٤) عن حسين بن محمد حدثنا أبو بكر بن عياش عن حميد الكندي عن عبادة بن نسي.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٨٥) بإسناده، وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى ورجال أحمد ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٩٣.

(٣) حديث صحيح الإسناد أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٦١) عن حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري.. به، وأبو داود في الأدب، باب في التفاخر بالأحساب (٥١١٦) بإسناده. وقوله: عبية: هي الكبر والترفع والتفاخر. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٩٤.

- وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « ليتنهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرأ بأنفه إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب »[١].

- وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: « لا تفتخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية فو الذي نفسي بيده لما يدهده الجعل بمنخره خير من آبائهم الذين ماتوا في الجاهلية »[٢].

- ولم تقف شريعة الإسلام عند هذا الحد، بل إنها جعلت معايير الحب القلبي تقوم على روابط الإيمان الوشيجة بين المؤمنين، وليس بين الآباء والإخوة الذين حادوا عن طريق الحق، وذلك لتحرير الإنسانية من الروابط القبلية التى تقوم على التعصب للقبائل، وتدعيم الروابط الإلهية التي هي أوسع وأعمق. وإن ما فعله عمر بن الخطاب فى توبيخ من يعتز بآبائه من أشراف الجاهلية، كان تطبيقا عمليا لنهج النبوة النابع من تعليمات القرآن الكريم الذى يعلى راية الحب القائمة على مبادئ الحق.

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٠).

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الترمذي في المناقب، باب في فضل الشام واليمن (٣٩٥٥) عن محمد بن بشار حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري.. به، وقال: وهذا حديث حسن غريب. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٩٥.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٣٠١) عن سليمان بن داود حدثنا هشام يعني الدستوائي عن أيوب عن عكرمة.. به، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١ / ٣٨٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٠٥.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن أبي بن كعب قال انتسب أو قال استب رجلان على عهد رسول الله ص فقال أحدهما أنا فلان بن فلان أنا فلان بن فلان فقال رسول الله ﷺ: « انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة فمن أنت لا أم لك قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المنتسبين أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة »[1].

- وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: « انتسب رجلان من بني إسرائيل على عهد موسى أحدهما مسلم والآخر مشرك فقال أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة آباء ثم قال لصاحبه انتسب لا أم لك فقال: أنا فلان ابن فلان وأنا بريء مما وراء ذلك فنادى موسى في الناس فجمعهم ثم قال: قد قضي بينكما أما أنت الذي انتسبت إلى تسعة آباء فأنت توفيهم العاشر في النار وأما أنت الذي انتسبت إلى أبويك فأنت امرؤ من أهل الإسلام »[2].

- وعن عمر أنه استأذن عليه رجل فقال استأذنوا لابن الأخيار فقال عمر: ائذنوا له فلما دخل قال من أنت؟ فقال أنا ابن فلان ابن فلان ابن فلان فعد رجالا من أشراف الجاهلية، فقال عمر: أنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قال: لا قال: ذاك ابن الأخيار، فأنت ابن الأشرار إنما تعد على رجال أهل النار[3].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٨٧) عن علي بن عبدان أنا أحمد بن عبيد ثنا اسماعيل بن الفضل البلخي ثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الله بن نمير ثنا يزيد بن أبي زياد بن أبي الجعد عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.. به، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٣/ ٤٣٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٠٧.

(٢) حديث حسن، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١٤٠) عن الحسين بن إسحاق التستري ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.. به،، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨٥) بإسناده، وقال: رواه الطبراني وأحمد موقوفا على معاذ وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح وكذلك رجال أحمد. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٢٩٩.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٨) عن أبي العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه قال:.. به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وعلي بن رباح تابعي كبير، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٢٦.

- وقد سجل القرآن بحروف من نور كيف أن الإيمان يحقق العزة للمؤمنين بصرف النظر عن المحسوبية والانتماء القبلي، وذلك بعدما دخلت عناصر الفتنة بين المهاجرين والأنصار، واستغلها المنافقون. قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون:٨).

قال تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (فاطر:١٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال: وقع بين المغيرة بن شعبة وبين عمرو بن العاص كلام فسبه المغيرة فقال عمرو: يا لهصيص[١] يسبني المغيرة فقال له عبد الله ابنه إنا لله وإنا إليه راجعون دعوت بدعوى القبائل فاعتق عمرو بن العاص ثلاثين رقبة[٢].

- وعن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول كنا مع رسول الله ﷺ، فكسع رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجر: يا للمهاجرين. فسمع رسول الله ﷺ فقال ما بال دعوى الجاهلية فأخبروه بالذي كان، فقال النبي ﷺ: دعوها فإنها منتنة وكان المهاجرون لما قدم رسول الله ﷺ أقل من الأنصار ثم إن المهاجرين كثروا بعد فسمع ذلك عبد الله بن أبي فقال: أقد فعلوها ؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال: دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه[٣].

---

(١) هو - جد أجداده.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤ / ٢٩٢) عن أبي نصر بن قتادة ثنا أبو بكر محمد أنا أبو عمرو بن مطر ثنا إبراهيم بن علي ثنا يحيى بن يحيى أنا سفيان بن عيينة عن عمرو قال كان بين عمرو بن العاص وبين المغيرة بن شعبة كلام في الوهط فسبه المغيرة فقال عمرو:.. به.

(٣) حديث صحيح الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩ / ٤٦٨) عن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر وابن عيينة عن عمرو بن دينار قال.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٢٧.

الفصل السادس

في المتفرقات

يبين هذا الفصل ملامح أخرى من ملامح الإيمان، بحيث تكتمل معالمه مع تعدد الفصول، ونعرض تلك الملامح فيما يلي:

- إن دين الإسلام هو دين الفطرة التي يخلق الله الناس عليها من بطون أمهاتهم وهي الحنيفية السمحة، ولكن الأهل هم الذين يميلون عن تلك الفطرة فيلقنون الابن مبادئ اليهودية أو النصرانية أو أية ملة أخرى. قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن الأسود بن سريع قال قال رسول الله ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »[١].

- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه قيل: فمن هلك قبل ذلك، قال: الله أعلم بما كانوا عاملين »[٢].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٢٤٠) عن شيبان بن فروخ حدثنا أبو حمزة العطار إسحاق بن الربيع حدثنا الحسن.. به، والطبراني غي المعجم الكبير (١/ ٢٨٤) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٠٣) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣١٦) بإسناده، وقال: رواه أحمد بأسانيد والطبراني في الكبير والأوسط كذلك إلا انه قال فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال ما بال اقوام جاوز بهم القتل حتى قتلوا الذرية فقال رجل والباقي بنحوه وبعض اسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٠٦.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في القدر، باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة (٢١٣٨) عن محمد بن يحيى القطعي البصري حدثنا عبد العزيز بن ربيعة البناني حدثنا الأعمش عن أبي صالح.. به، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٠٧.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل إنسان تلده أمه على الفطرة أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فإن كانا مسلمين فمسلم، كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في خصيتيه إلا مريم وابنها»[١].

- وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلا الفطرة، وأبواه يهودانه وينصرانه، كما تنتجون الإبل فهل تجدون فيها جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها قالوا: يا رسول الله أرأيتمن يموت صغيرا قال: الله أعلم بما كانوا عاملين»[٢].

- ويبين الرسول ﷺ أن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره، فمن كان عنده استعداد لتلقي هذا النور اهتدى، ومن كان على غير قابلية لهذا النور ضلَّ.

قال تعالى:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور:٣٥).

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٥٧).

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام:١٢٥).

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٩٧) عن محمد بن عبد الله الحافظ أنبا أبو عبد الله بن يعقوب ثنا محمد بن شاذان ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عبدالعزيز بن محمد عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه.. به، وقال: رواه مسلم في الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٣٧.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٩٣) عن عبد الله حدثني أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن قيس عن طاوس.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٣٨.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن عبد الله بن الديلمي قال ثم دخلت على عبد الله بن عمرو: « **إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل** »(١).

– وعن حكيم بن حزام قال قلت يا رسول الله أرأيت أمورا كنت أتحنث بها في الجاهلية من عتاقة وصلة رحم هل لي فيها أجر فقال له النبي ﷺ: « أسلمت على أسلفت من خير »(٢).

– وعن حكيم بن حزام قال ثم أعتقت أربعين محررا في الجاهلية فسألت النبي ﷺ هل لي فيهم من أجر فقال: « أسلمت على ما سبق لك من الأجر »(٣).

ـ من مميزات الإيمان أنه يزيد القلب نورا مع زيادة الطاعات والقرب من الله، أما النفاق فهو يزيد القلب سوادا لما اكتسبوه من الظلمات. قال تعالى في وصف المؤمنين:

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ١٧٦) عن عبد الله حدثني أبي ثنا معاوية بن عمرو ثنا إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفزاري ثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد.. به، والترمذي في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٢) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١ / ٨٤) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣١٤.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٠٢) عن عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير.. به، والبيهقي في شعب الإيمان (٥ / ٤٧٨) بإسناده. قال النووي في شرح مسلم: وأما قوله ﷺ : أسلمت على ما أسلفت من خير: فاختلف فى معناه، فقال الامام أبو عبد الله المازرى رحمه الله: ظاهره خلاف ما تقتضيه الاصول لأن الكافر لا يصح منه التقرب فلا يثاب على طاعته ويصح أن يكون متقرب كنظيره فى الايمان فانه مطيع فيه من حيث كان موافقا للامر والطاعة عندنا موافقة الأمر ولكنه لا يكون متقربا لأن من شرط المتقرب أن يكون عارفا بالمتقرب اليه وهو فى حين نظره لم يحصل له العلم بالله تعالى بعد فاذا تقرر هذا علم أن الحديث متأول وهو يحتمل وجوها أحدها أن يكون معناه اكتسبت طباعا جميلة وأنت تنتفع بتلك الطباع فى الاسلام وتكون تلك العادة تمهيدا لك ومعونة على فعل الخير والثانى معناه اكتسبت بذلك ثناء جميلا فهو باق عليك فى الاسلام والثالث أنه لا يبعد أن يزاد فى حسناته التى يفعلها فى الاسلام ويكثر أجره لما تقدم له من الأفعال الجميلة وقد قالوا فى الكافر اذا كان يفعل الخير فانه يخفف عنه به فلا يبعد أن يزاد هذا فى الاجور. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣١٥.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٥٠) عن أبي العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه.. به، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٤١.

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر:٢٢).

وقال تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الحديد:١٢).

وقال جلَّ شأنه في وصف المنافقين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون: ٣-٤).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن عوف عن عبد الله بن عمرو بن هندي الجملي قال قال علي بن أبي طالب: إن الإيمان يبدو لمظة[١] بيضاء في القلب فكلما ازداد الإيمان عظما ازداد البياض فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب كله، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء فكلما ازداد النفاق عظما ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق اسود القلب، وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود[٢].

- كما يجب أن يؤمن المؤمن بعلم الله الذي لا يحده حدود ولا تقيده قيود.

قال تعالى:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة:٢٥٥).

(١) لمظة: بضم اللام وإسكان الميم: نكتة.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٥٠٤) عن أبي عمر بن حيوية حدثنا يحيى حدثنا الحسين أخبرنا ابن المبارك أخبرنا عوف عن عبد الله بن عمرو بن هندي.. به، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٧٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٣٤.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن سمعت سعيد بن جبير يقول : إن العبد إذا قال لشيء لم يكن الله يعلم ذلك يقول الله عز وجل عجز عبدي أن يعلم عبدي[1].

- ومن أساسيات الإيمان أن يؤمن المؤمنون أن الله تعالى خالق كل شيء فهو الذي علمهم العلم الذي يكتشفون به أسرار الأرض وما يستلزم من صناعات واكتشافات لمعاشهم في الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات:٩٦).

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (غافر:٦٢).

وقال تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون:١٤).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى صانع كل صانع وصنعته »[2].

- ومن أساسيات الإيمان تسليم القلب والوجهة لله رب العالمين حتى يتحقق الإخلاص الكامل لله واليقين المطلوب.

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ٤٧٧) عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي يعلى قال سمعت سعيد بن جبير.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٤١.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٣/ ٥٣٨ ح ٩٤٢) عن عبد الله بن مسلم بن يحيى بن عبد الله وعبيد الله بن عبد الله وعبيد الله بن محمد قالوا أخبرنا الحسين بن إسماعيل قال ثنا هارون بن إسحاق قال ثنا أبو خالد الأحمر عن سعد بن طارق عن ربعي بن خراش.. به، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥) بإسناده، وصححه، ووافقه الذهبي. قال المناوي في فيض القدير (٢/ ٢٣٨): كل صانع وصنعته: أي مع صنعته فهو خالق للفاعل والفعل لقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون الصافات ٩٦ وبهذا أخذ أهل السنة وهو نص صريح في الرد على المعتزلة وكمال الصنعة لا يضاف إليها وإنما يضاف إلى صانعها وهذا الحديث قد احتج به لما اشتهر بين المتكلمين والفقهاء من إطلاق الصانع عليه تعالى قال المؤلف فاعتراضه بأنه لم يرد وأسماؤه تعالى توقيفية غفلة عن هذا الخبر وهذا حديث صحيح لم يستحضره من اعترض ولا من أجاب بأنه مأخوذ من قوله «صنع الله» (النمل: ٨٨) انتهى ومنعه بعض المحققين بأنه لا دليل لما صرحوا به من اشتراط إذ لا يكون الوارد على جهة المقابلة نحو أم نحن الزارعون الواقعة ٩٤ والله خير الماكرين آل عمران ٥٤ والأنفال ٣٠ وهذا الحديث من ذلك القبيل وبأن الكلام في الصانع بأل بغير إضافة وما في الخبر مضاف وهو لا يدل على جواز غيره. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣١٩.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ٧١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (لقمان: ٢٢).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن ابن سيرين أن ابن عمر كره هذه الكلمة، أن يقول أسلمت في كذا وكذا، إنما الإسلام لله رب العالمين[1].

– ومن أفضل الإيمان أن يعلم المؤمن دائما أن الله معه يراقبه في أعماله مما يوقظ الضمير ويرشده إلى الطريق المستقيم. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الحديد: ٤).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ: « إن من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان »[2].

– ومن قواعد الإيمان أن يسلم المؤمنون الحكم لله العليّ القدير، فتكون أحكام الشريعة هي المنهاج الذي يحكم حياتهم، ويكون التسليم هو المنهاج الذى يحكم قلوبهم.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام: ١٨).

---

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ١٥) عن عبد الرزاق قال أخبرنا إسماعيل عن ابن عون.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٣٨.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٧٠) عن أبي عبد الله الحافظ وأبو بكر بن الحسن قالا ثنا أبو العباس بن يعقوب ثنا يزيد بن محمد بن عبدالصمد الدمشقي ثنا نعيم بن حماد ثنا عثمان بن كثير بن دينار عن محمد بن مهاجر أخي عمرو بن مهاجر عن عروة بن رويم اللخمي عن عبدالرحمن بن غنم.. به. وفيه عروة بن رويم يروي المراسيل. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٣٩.

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (الرعد:٤١).

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف:٨٤).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن شريح عن أبيه هانئ أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال: « إن الله هو الحكيم وإليه الحكم »[1].

– ويحتاج الإيمان إلى الثبات والعزيمة من المؤمن لمواجهة التحديات حيث يثبت الإيمان في قلبه فلا يتعرض لتقلبات النفس أو الشيطان أو الدنيا، فقد شبه الرسول الإيمان بأنه كالقميص يلبس مرة ويخلع مرة ولهذا فهو يحتاج إلى تثبيت دوما.

قال تعالى:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٦-١٤٧).

وقال تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران١٤٠: ١٤٢).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة:٢١٤).

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أبو داود في الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح (٤٩٥٥) عن الربيع بن نافع عن يزيد يعني ابن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده شريح.. به، والنسائي في آداب القضاة، باب إذا حكموا رجلا فقضى بينهم (٥٣٨٧) بإسناده، وابن حبان في صحيحه (٢ / ٢٥٧) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣١٨.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن قيس عن خباب قال أتينا رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة متوسدا بردة له فقلنا يا رسول الله ادع الله تبارك وتعالى لنا واستنصره قال فاحمر لونه أو تغير فقال: « كان الرجل قبلكم يؤخذ فيحفر له الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنين ما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون »[1].

– وعن قيس عن خباب قال ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو مضطجع تحت شجرة واضع يده تحت رأسه فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله على هؤلاء القوم الذين قد خشينا أن يردونا عن ديننا قال فصرف وجهه عني فتحولت إليه فصرف وجهه عني ثلاث مرات كل ذلك أقول له فيصرف وجهه عني والحاصل في الثالثة ثم قال: « أيها الناس اتقوا الله واصبروا، فوالله إن كان الرجل من المؤمنين قبلكم ليوضع المنشار على رأسه فيشق باثنين وما يرتد عن دينه، اتقوا الله عز وجل فاتح لكم وصانع »[2].

– ويحتاج الإيمان إلى التجديد بصفة مستمرة لأنه يتعرض إلى النقصان مع تجدد أحداث الحياة التي يئن منها قلب المؤمن أو الإغراءات التي يتعرض لها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال:٢).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٠٩) عن محمد بن عبيد حدثنا إسماعيل.. به، والبخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٢) بإسناده، وأبو داود في الجهاد، باب في الأسير يكره على الكفر (٢٦٤٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٢٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٦٥) عن إبراهيم بن أحمد الوكيعي ثنا الأزرق بن علي ثنا حسان بن إبراهيم ثنا محمد بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن المغيرة.. به، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٤١) بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٣٤.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (التحريم:٨).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ: « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم »[١].

– وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: « مثل المؤمن والإيمان كمثل الفرس في آخيته يجول ثم يرجع في آخيته وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان فأطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين »[٢].

– وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: « مثل المؤمن والإيمان كمثل الفرس في آخيته يجول ثم يرجع إلى آخيته وكذلك المؤمن يقترف ما يقترف ثم يرجع إلى الإيمان فأطعموا طعامكم الأبرار وخصوا بمعروفكم المؤمنين »[٣].

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٤٥) عن أبي جعفر محمد بن صالح بن هانئ ثنا محمد بن إسماعيل بن مهران ثنا أنبأنا بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن ميسرة عن أبي هاني الخولاني حميد بن هانئ عن أبي عبد الرحمن الحبلى.. به، وقال: هذا حديث لم يخرج في الصحيحين ورواته مصريون ثقات وقد احتج مسلم في الصحيح بالحديث الذي رواه عن بن أبي عمر عن المقري عن حيوة عن أبي هاني عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال إن الله تعالى ذكره كتب مقادير الخلائق قبل أن أصحهما السماوات والأرض الحديث، ووافقه الذهبي. والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٥٢) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣١٣.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن المبارك في الزهد (١ / ٢٤) عن أبي عمر بن حيويه وأبو بكر الوراق قالا أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين قال أخبرنا ابن المبارك قال حدثنا سعيد بن أبي أيوب الخزاعي قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن أبي سليمان الليثي.. به، وأحمد في مسنده (٣ / ٣٨) بإسناده، وأبو يعلى في مسنده (٢ / ٣٥٧) بإسناده، وابن حبان في صحيحه (٢ / ٣٨١) بإسناده، والبيهقي في شعب الإيمان (٧ / ٤٥٢) بإسناده، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨ / ١٧٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٣١.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه الرامهرمزي في أمثال الحديث (١ / ٨١) عن قتادة بن رستم الطائي ثنا عبيد بن آدم العسقلاني ثنا أبي عن ابن أبي ذئب عن نافع.. به، وقال: الآخية عود يعرض على الحائط تشد إليه الدابة والجمع. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٣٢.

– ويبين الرسول ﷺ كيف أن تجديد الإيمان يحمي المؤمن من ارتكاب المعاصي، لأنه إذا تعرض المؤمن لإغراءات الفتن يرتفع عنه إيمانه في ذلك الوقت حيث غلبت شهوته على إيمانه، وبالتجديد الذي شرحناه في النقطة السابقة، يستعيد نورانياته قال تعالى:

﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ (المؤمنون:١٠٦).

فأصل الإيمان هو الطهر والبعد عن المعاصي التزاما بقول الحق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الممتحنة:١٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:٣٢).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة:٣٨)

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة:٩٠).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأعراف:١٥٣).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن»[1].

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٤٧٩) عن محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن سليمان عن ذكوان.. به، والنسائي في قطع السارق، باب تعظيم السرقة (٤٨٧٠) بإسناده، والبخاري في الحدود، باب وقول الله تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (٦٨١٠) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٠٩.

– وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن »(١).

– وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد »(٢).

– وعن بن عباس رضي الله عنهما وابن عمر وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « لا يزني الرجل وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف وهو مؤمن فإن تاب تاب الله عليه »(٣).

– وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن يخرج منه الإيمان فإن تاب رجع إليه »(٤).

– ومن أهم ملامح الإيمان الإسلام: تقوى الله والتسليم له، وأداء النوافل والجهاد لإعلاء كلمة الحق. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (المائدة:٣٥).

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٨٦) عن بهز وعفان قالا حدثنا همام عن قتادة عن الحسن وعطاء.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١٨٦) بإسناده ولفظه، والنسائي في الأشربة، باب ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر (٥٦٥٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣١٠.

(٢) حديث صحيح الإسناد. أخرجه مسلم في الإيمان (٥٧) عن حدثني محمد بن المثنى حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن ذكوان.. به، والبخاري في الحدود (٦٨١٠) بإسناده، وأبو داود في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٦٨٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣١١.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٣٨٦) عن علي بن عبد العزيز ثنا معلى بن مهدي الموصلي ثنا أبو عوانة عن جابر عن عكرمة.. به، والخطيب البغدادي في تاريخه (١١ / ١٧٠) عن عبد الملك بن محمد بن عبد الله الواعظ حدثنا احمد بن الفضل بن العباس بن خزيمة حدثنا عيسى بن عبد الله رغاث حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس وعن أبي هريرة وعن ابن عمر قالوا قال رسول الله ﷺ :.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٢٧.

(٤) حديث صحيح الإسناد. أخرجه: الطبراني في المعجم الأوسط (١ / ١٧٠) عن أحمد بن القاسم قال حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى قال حدثني أبي عن بن أبي ليلى عن أبي حمزة عن الحسن عن.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٢٨.

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن فضالة بن عبيد أنه سمعه يقول: الإسلام ثلاثة أبيات، سفلي وعلي وغرفة، فالسفلي الإسلام، والعلي النوافل، والغرفة الجهاد[١].

– وتفرض الشريعة على من أراد الدخول في رحاب الإيمان أن يغتسل ليتطهر من أدران الكفر وليكون أهلا لحضرة الحق لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (النساء:٤٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة:٢٢٢).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن قتادة بن الفضل بن قتادة الرهاوي عن أبيه حدثني عم أبي هاشم بن قتادة الرهاوي عن أبيه قال أتيت رسول الله ﷺ فأسلمت فقال لي يا قتادة: « اذهب فاغتسل بماء وسدر وألق عنك شعر الكفر »[٢].

– وعن عثيم بن كليب عن أبيه عن جده أنه جاء النبي ﷺ فقال قد أسلمت فقال: « ألق عنك شعر الكفر واختتن »[٣].

---

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٠ / ١٨) عن أبي الحسن علي بن المسلم حدثنا عبد العزيز بن أحمد أنبأنا أبو محمد بن أبي نصر أنبأنا أبو الميمون حدثنا أبو زرعة حدثني يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان حدثني كثير بن الحارث عن القاسم أنه حدثه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٣٩.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩ / ١٤) عن محمد بن النضر الأزدي ثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد الحراني ثنا قتادة بن الفضل بن قتادة الرهاوي عن أبيه حدثني عم أبي هاشم بن قتادة الرهاوي عن أبيه.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٨٣) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٢١.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٤١٥) عن عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عن عثيم بن كليب عن أبيه عن جده.. به، وأبو داود في الطهارة، باب في الرجل يسلم فيؤمر كمال (٣٥٦). وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٢٢.

– وعن قتادة بن الفضل بن قتادة الرهاوي عن أبيه حدثني عم أبي هاشم بن قتادة الرهاوي عن أبيه قال ثم أتيت رسول الله ﷺ فأسلمت فقال لي: « يا قتادة اغتسل بماء وسدر واحلق عنك شعر الكفر »[1].

– ويبين الرسول ﷺ أن من سمع به من اليهود والنصارى ولم يؤمن به لن يدخل الجنة، حيث قد أقيمت الحجة عليه. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:٦٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (المجادلة:٥).

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة:١٣٧).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

– عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: « من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة »[2].

– وعن سعيد بن أبي راشد مولى لآل معاوية قال قدمت الشام فقيل لي في هذه الكنيسة رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ قال فدخلنا الكنيسة فإذا أنا بشيخ كبير فقلت له أنت رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ فقال نعم قال قلت حدثني عن ذلك قال ثم انه لما غزا تبوك كتب إلى قيصر كتابا وبعث به مع رجل يقال له دحية بن خليفة فلما قرأ كتابه وضعه معه على سريره وبعث إلى بطارقته ورؤوس أصحابه فقال أن هذا الرجل قد بعث إليكم رسولا وكتب إليكم

---

(١) حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩ / ١٤) عن محمد بن النضر الأزدي ثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد الحراني ثنا قتادة بن الفضل بن قتادة الرهاوي عن أبيه حدثني عم أبي هاشم بن قتادة الرهاوي.. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٨٣) بإسناده، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٥٢.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣٩٦) عن محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير.. به، والطبري في تفسيره (١ / ٣٢٣) بإسناده، ولم أجده عند الطبراني. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٤٩.

كتابا يخيركم إحدى ثلاث أما أن تتبعوه على دينه أو تقروا له بخراج يجرى له عليكم ويقركم على هيئتكم في بلادكم أو أن تلقوا إليه بالحرب قال فنخروا نخرة حتى خرج بعضهم من برانسهم وقالوا لا نتبعه على دينه وندع ديننا ودين آبائنا ولا نقر له بخراج يجرى له علينا ولكن نلقى إليه الحرب فقال قد كان ذاك ولكني كرهت أن أفتأت دونكم بأمر قال عباد فقلت لابن خثيم أو ليس قد كان قارب وهم بالإسلام فيما بلغنا قال بلى لولا أنه رأى منهم قال فقال ابغوني رجلا من العرب أكتب معه إليه جواب كتابه قال فأتيت وأنا شاب فانطلق بي إليه فكتب جوابه وقال لي مهما نسيت من شيء فاحفظ عنى ثلاث خلال انظر إذا هو قرأ كتابي هل يذكر الليل والنهار وهل يذكر كتابه إلى وانظر هل ترى في ظهره علما قال فأقبلت حتى أتيته وهو بتبوك في حلقة من أصحاب منتجين فسألت فأخبرت به فدفعت إليه الكتاب فدعا معاوية فقرأ عليه الكتاب فلما أتى على قوله دعوتني إلى جنة عرضها السماوات والأرض فأين النار قال رسول الله ﷺ لذا جاء الليل فأين النهار قال فقال انى قد كتبت إلى النجاشي فخرقه فخرقه الله مخرق الملك قال عباد فقلت لابن خثيم أليس قد أسلم النجاشي ونعاه رسول الله ﷺ بالمدينة إلى أصحابه فصلى عليه قال بلى ذاك فلان بن فلان وهذا فلان بن فلان قد ذكرهم بن خثيم جميعا ونسيتهما وكتبت إلى كسرى كتابا فمزقه فمزقه الله تمزيق الملك وكتبت إلى قيصر كتابا فأجابني فيه فلم تزل الناس يخشون منهم بأسا ما كان في العيش خير ثم قال لي من أنت قلت من تنوخ قال: « يـا أخا تنوخ أني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه والله يمزقه ويمزق ملكه وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرقها والله مخرقه ومخرق ملكه وكتبت إلى صـاحبك بصحيـفة فأمسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأسا ما دام في العيش صفوة »[1].

– وقد حذر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب من اختلاط المسلمين باليهود والنصارى في عيدهم، لأنه يخشى عليهم من التخلق بأخلاقهم وأن يصيبهم من السخط الذي ينزل عليهم في ذلك اليوم.

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٧٤) عن عبد الله قال ثنا سريج بن يونس من كتابه قال ثنا عباد بن عباد يعنى المهلبي عن عبد الله بن عثمان بن خثيم.. به. والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٣٥) بإسناده، وقال: رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى ورجال أبي يعلى ثقات ورجال عبد الله بن أحمد كذلك. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٥١.

قال تعالى:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة:٢٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (الممتحنة:١).

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

- عن سليمان بن أبي زينب وعمرو بن الحارث سمع سعيد بن سلمة سمع أباه سمع عمر بن الخطاب يقول: اجتنبوا أعداء الله اليهود في عيدهم[١].

- وعن سعيد بن سلمة سمع أباه سمع عمر بن الخطاب يقول: اجتنبوا أعداء الله اليهود والنصارى في عيدهم يوم جمعهم، فإن السخط ينزل فأخشى أن يصيبكم ولا تعلموا بطانتهم فتخلقوا بأخلاقهم[٢].

- وقد وضح الرسول ﷺ أن سبب امتناع عامة اليهود والنصارى عن الإيمان برسالته هو أحبارهم ورهبانهم، حيث جبلوا على اتباعهم وتقديسهم. قال تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة:٣١).

---

(١) أثر حسن الإسناد. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ١٤) عن ابن أبي مريم أنا نافع بن يزيد سمع سليمان بن أبي زينب وعمرو بن الحارث.. به، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٣٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٢٩.

(٢) أثر حسن الإسناد. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ١٤) عن ابن أبي مريم أنا نافع بن يزيد سمع سليمان بن أبي زينب وعمرو بن الحارث سمع سعيد بن سلمة سمع أباه.. به، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٣) بإسناد. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٣٢.

ونرى ذلك في الأحاديث التالية:

-عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود »[١].

- وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « لو آمن بي عشرة من أحبار اليهود لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض »[٢].

- وقد فند الرسول ﷺ لأسقف نجران ادعاءه بأنه أسلم بأنه حال بينه وبين الإسلام ادعاؤه أن لله ولدا، وأكل الخنزير وشرب الخمر وهذا يتعارض مع حقائق الإيمان والإسلام.

قال تعالى: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (الكهف: ٤-٥).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

- عن قتادة قال رسول الله ﷺ لأسقف نجران يا أبا الحارث أسلم، قال: إني مسلم قال: يا أبا الحارث أسلم قال: قد أسلمت قبلك فقال نبي الله ﷺ : كذبت منعك من الإسلام ثلاثة: ادعاؤك لله ولدا، وأكلك الخنزير، وشربك الخمر[٣].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في المناقب، باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة هادوا صاروا يهودا (٣٩٤١) عن مسلم بن إبراهيم حدثنا قرة عن محمد.. به. قال المناوي في فيض القدير (٥ / ٣١١): والمراد عشرة مخصوصة ممن ذكر في سورة المائدة وإلا فقد آمن به أكثر والمعنى لو آمن بي في الزمن الماضي كالزمن الذي قبل قدوم النبي المدينة أو حال قدومه أو المراد عشرة من رؤسائهم وأحبارهم وفيه إشارة إلى أن اليهود أتباع ومقلدون قال السهيلي ولم يسلم من أحبار اليهود إلا اثنان ابن سلام وابن صوريا بالإجماع. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣١٦.

(٢) حديث حسن الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٤١٦) عن عفان حدثنا أبو هلال قال حدثنا محمد بن سيرين.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٤٧.

(٣) حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٤٢٧) عن الفاء عن أبيه.. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٧٤٢.

– ويبشر الرسول المؤمنين أن الإسلام سينتشر في العالم كله، يعز به الله أنصار الحق ويذل به الكافرين الداعين إلى الباطل. قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٦).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:٣٣).

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الصف:٨).

ونرى ذلك في الحديث التالي:

– عن تميم الداري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله عز وجل بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين يعز عزيزا أو يذل ذليلا عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر »[1].

---

(١) حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٠٣) عن أبي المغيرة قال حدثنا صفوان بن سليم قال حدثني سليم بن عامر.. به، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٥٨) بإسناده، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٦٤) بإسناده، وقال: هذا حديث رواته مجمع عليهم بأنهم ثقات إلا أبو فروة يزيد بن سنان وله شاهد من حديث إبراهيم بن قعيس، ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (س٩/ ١٨١) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٣٤٥.

خاتمة الكتاب الأول

كيف يواجه الإسلام في غربته في صدور المؤمنين

حاولنا قدر الجهد عرض الأحاديث الشريفة التي تتعلق بحقيقة الإيمان والإسلام، بما يتفق ومفهوم العصر، وبما يحقق الهدف المعلن من (تجديد لغة الخطاب الديني).. فنحن نعتصم بثوابتنا الأصلية الشامخة من الكتاب والسنة، ونجتهد في فهمها بأسلوب عصرنا، وهذا بلا شك يعالج تلك الازدواجية التي يعيشها المسلمون حاليًا نتيجة الفجوة بين المهج والتطبيق التي نشأت في حياة المسلمون بعد غلق باب الجهاد الديني، وفي نفس الوقت التي تطورت فيه النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتغيرت معها المفاهيم والأفكار.. وأصبح المسلم تائهًا كيف يواجه تلك التغيرات مع الاحتفاظ بالقيم الإسلامية التي يعتز بها اعتزازا كبيرًا.

وبحثنًا هذا محاولة متواضعة لكي يستعيد المسلم عقيدته الراسخة، ومبادئه الإيمانية العريقة مهما تعددت تيارات الحياة من أفكار وثقافات.. فهو يعرف كيف يميز الغث من السمين، وكيف يعيش الحضارة الحديثة في ثبات واطمئنان، لأن تلك الحضارة تتناول وسائل المعيشة المادية.. أما حضارة الإسلام فهي ترتقي بالعقل والوجدان وكل كيان الإنسان، مما يجعل روحه تتعلق بالماء لأنها شربت سمو المعاني والأخلاق، وتعلمت كيف تواجه كل التحديات بقلوب مطمئنة بحقائق الإيمان.

فاللّهم اجعل بحثنا هذا نورًا يضيء الطريق أمام الحيارى والتائهين، واجعله برهانًا على عظمة هذا الدين ومرونته في مواجهة تغيرات كل العصور.. واجعله دليلًا عمليًا على أن الرسول ﷺ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم:٣-٤) فكل أحاديث الرسول ﷺ المعلم تنبع من دستور القرءان الكريم.. مما يدل بالدلالة العملية على أن السنة هي المذكرة التفصيلية للقرآن العظيم.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

فهرس كتاب

كيف يواجه الإسلام غربته في صدور المؤمنين